جيم كان

GAMECAN

جيم كان

الكاتب: أحمد غنيم

إخراج فني: الباشا عبدالباسط

رقم الإيداع: 8405 / 2020

الترقيم الدولي: 6 - 111 - 844 - 977 - 978

Facebook Page: دار الزيات للنشر والتوزيع

E_mail: bentelzayat1@gmail.com

Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم

01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / **49351**

9 789778 441116

G A M E C A N

جيم كان

مِنْ رحمِ الشدائد يولدُ الإبداعُ

أحمد غنيم

دار الزيان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

سأجعل عقلك يبحر في عالمي ليشعر بما أشعر به.. لا تطلب خيالًا من الواقع، ولا منطقًا من خيال خصب.

❋ ❋ ❋

عندما يصبح كل شيء غير منطقي سيتوقف العقل وتبدأ الفوضى..

رسمت سيلًا من الدخان في شكل حلقات متوازية قد خلجها شعاع نور باهت بالكاد عبر النافذة خلف السرير.. لا شيء أفضل من أنفاس لهذه السيجارة -pop marley-.

-لعنة الله على سيد- ذلك الديلر الذي لا يتوانى عن إعطائي خليطًا من الحشيش الذي يعالجه.. الطقس باهت كزجاج سيارة أمامي عبر توًّا ضبابًا كثيفًا.. لا يهم قدر النوم ما دامت اللذة تأتي.. الهاتف ينادي كعادته.. وجوم وصمت متدفق قاطعه رنين الهاتف..

جلست على حافة السرير متصنعًا الشرود، قبل أن ألتقط الهاتف، مجيبًا بصوت مبحوح استيقظ توًا ويقاوم نعاس أهل الكهف..

- خير؟!
- إزيك يا فارس؟
- تمام.
- حبيت أطمن عليك. يا ترى فكرت في اللي اتكلمنا فيه؟

زفرت بقوة ثم أطفأت السيجارة، والتقطت سيجارة أخرى أشعلتها بقداحة بالكاد ما زالت متحفزة من إشعال سيجارتي الأولى. انتظرت صامتة بداخلها بركان متوهج أكاد أستشعره.

- صدقيني مش هاعرف أكمِل.

تابعت بصوت اختلج بنبرات حزينة:

- عشان بنتنا يا فارس.

- أنتِ لا تصلحي كأم أو زوجة. أنتِ إنسانة مهملة. أنا باحمِّلك موت رحيم، ومش هاسيب البنت تموت كمان بسبب إهمالك..

- فارس....

أغلقت الهاتف وألقيته على سريري، بعد أن أفسدت ما فعله مخدر بوب مارلي توًا برأسي.. دائمًا ما يأتي الاتصال في ذلك الوقت. هي لم تستطع أن تنسى ما فعلته.. الوحدة التي أحياها خير من العيش مع امرأة سأموت لحظيًا عندما أراها..

أن تقاوم لتحيا حياة بائسة خير من أن تحيا كمن مات. يكفيك أن تحيا..

انتعلت "شبشبًا" وغادرت الغرفة باحثًا عن شيء لأتناوله.. الصالة فوضوية والوضع يشي بأن الشقة مملوكة لشاب عازب ولكن قد تجاوز الأربعين خريفًا.. ملابسي ملقاة فوق الأرضية، وسيل من الأوراق بكل أنملة.. ما زال الـ **laptop** على حالته منذ الأمس فوق الترابيزة الصغيرة..

تقدَّمت نحو المطبخ لأفتح الثلاجة.. لا شيء لأتناوله.. ربما نسيت من قبل أن لا طعام في البيت.. ولم يفرق المطبخ عن الصالة؛ بل زاد فوضوية.. أطنان من القمامة.. الأطباق المتسخة.. رائحة عفن مصدرها من كل شيء في مطبخي.. تقدَّمت بوهن أقاوم غياهب التفكير، ودلفت الحمّام لأفتح صنبور المياه، وأطفئ لهيب أفكاري المتواردة بسيل من الماء.. لكن لا ماء هناك كعادة كل يوم، وكان ذلك كافيًا لأطلق زفرة حانقة تتذكر مأساة أحياها دومًا وأعود إلى الصالة مرة أخرى..

جلست أمام شاشة الـ laptop لأرى ما قد أرسل لي.. لا جديد هناك غير رسائل زوجتي التي لا تكف عن ملاحقتي.. تناولت زجاجة بها قليل من الكحول وتجرعتها بسرعة ويأس.. أتصفح مواقع السوشيال ميديا لعلي أجد بها ما يفيد، ولكن لا رسائل..

أصدر البريد جرس تنبيه يخبرني بأن هناك رسالة جديدة.. فتحت الإيميل وكان حسابًا مجهول المصدر لي..

* * *

الإثنين 7 يناير 2019..

من: gamecan88@gmail.com

إلى: fareshussienoff@gmail.com

العنوان: سري جدًّا.

" أستاذ فارس إزيك؟.. أتمنى تكون بخير، على فكرة أنا تقريبًا عارف كل حاجة عنك، وعن معاناتك بسبب موت ابنك، بس مش عيب صحفي مشهور زيك كدا يضيع مستقبله ويفضل قاعد في البيت.. أنت مش أول واحد يحصل له كدا في حياته.. يا ريت تفهم إنك دايمًا كنت سبب في نصرة المظلومين بتحقيقاتك وكشفك للفساد.. ما تحاولش ترد على الإيميل دا لأني مش هافتحه تاني.. ومش مهم تعرف أنا مين دلوقتي.. كل حاجة هتبقى واضحة لما نتقابل.. أنا معايا مستندات مهمة جدًّا هتكشف قضايا فساد كبيرة في البلد.. لو لسّا أستاذ فارس زي ما أنت هتقابلني النهار دا بعد نص الليل الكيلو 70 طريق مصر إسكندرية الصحراوي، ويا ريت ما حدش يعرف حاجة عن الموضوع".

* * *

الشك بدأ يعبث بنفسي كفأر حائر يهرب من الموت، هذا البريد هو شخصي ولا أحد يعلم عنه شيئًا.. كيف توصَّل هذا الشخص له وماذا يريد.. لا بد أنه يعرفني جيدًا.. وعندما كان اليأس يسبب موتي بالبطيء كان هذا البريد أملًا لي.. لكن الشك ما زال يساورني ولم أعتد الخوف من قبل.. فماذا سيحدث لي ومن سيتربص بي؟! ليس لي أعداء وإن كان فاليوم قد تملك مني القنوط والضجر وفقدت ابني الوحيد وعائلتي.. لا عمل أذهب إليه، ولا أفيق من سكرات الخمر.. أنفاسي متهدجة ومتقطعة، والوحدة تلازمني كرفيق أبدي.. فهل يضر الشاة سلخها إن نُحرت؟!

الفضول هو السبيل، وهو سبب كل العلوم البشرية..

أنا فارس حسين صحفي ومُعد برنامج في إحدى الجرائد ذائعة الصيت.. تجاوزت الأربعين عامًا ولكن لا يبدو علي تقدُّم العمر.. قاومت بالأمل والتفاؤل.. قاومت بمالي التقدم في العمر ودنوت من الخلود في عقلي.. تصورت أن كل شيء دائم.. وتأملت الحياة الوردية التي أحياها ونظرات الحسد التي تلاحقني حتى تبدَّل كل شيء.. مات رحيم ابن السبعة أعوام بإهمال من زوجتي ثم انقلبت حياتي رأسًا على عقب.. لم أستطع الصفح وظللت أتذكر لما كنت أعمل والآن بات عليّ أن أفقد أملي في كل شيء.. ريماس ابنتي لم تحبني مثل زوجتي.. لقد غرست بها الكراهية لي.. هي عادة النساء وإن أخطأن حاولن الهرب مما فعلن..

أغلقت الـ laptop وجلست أتفحص صالة الشقة، نظرات يأس من الفوضى تنعكس من عالمي.. أرحت رأسي على الكرسي وتأملت سقف الصالة.. شباك، عنكبوت، زواحف.. حديقة حيوان مصغرة.. العيش بلا امرأة معاناة، والعيش معها موت حتمي.. لكن دائمًا الغريزة تدفعنا لنقع في براثن امرأة.. موت لذيذ وطريق محفوف بالخطر، ومن ثم يأس وزهد.

الحيوان بداخلنا ينتصر وعندما يفكر العقل يصرعه ذلك الحيوان أيضًا. الغريزة لعنة والشهوة قاتلة.

قمت ودخلت غرفة نومي.. تأملت الدولاب، جميع ملابسي رسمية.. لا ضير من القليل من التأنق، وإن كنت أخدع نفسي بتلك اللحية التي زاد طولها وكست وجهي.. تناولت حلة رسمية وهممت لأرتديها أمام المرآة.. نظرت إلى وجهي وشعراتي الداكنة.. غزت بعض الشعرات البيضاء رأسي ولحيتي.. على أعتاب الكبر والشيخوخة.. ربما موت ابني منذ عام قد أثر بي كثيراً.. انتهيت وهندمت ملابسي، ثم تناولت فرشاة شعر ومشطت شعري لتظهر بعضًا من الوسامة التي توارت عن ناظري قبلًا، وكأن شيئًا ما يدفعني لتفاؤل مصطنع..

ارتديت حذائي وتوجهت ناحية باب الشقة ثم خرجت وأغلقته خلفي بصفعة قوية، ترجلت على الدرج بخطوات شاب يافع بما لا يناسب خريف عمري.. لا حاجة لاستخدام المصعد؛ فأنا أسكن بالطابق الأول.. وعندما اقتربت من باب العمارة وجدت "عم سالم".. رجل طيب لا يتحدث كثيراً كأغلب البوابين.. عجوز قد عاصر الكثير، وعيناه تومضان بالحب.. ما إن رآني حتى قام من كرسيه الخشبي وهندم جلبابه الأسود..

اقترب مني وسلَّم عليّ بحرارة وودٍّ قبل أن يردف:

- أستاذ فارس. وحشتنا والله، أخيراً قررت تنزل تشوف شغلك..

- شغل إيه؟! الساعة 2 يا راجل يا طيب. أنا كويس ما تقلقش. قُلت أنزل عشان أرحمك من طلباتي شوية.

فقال بود:

- دا خدمتك شرف ليّ يا أستاذ فارس يا محترم. وأنا أنسالك عملت إيه مع بنتي ومعايا.

ربت على كتفه:
- ما تقولش كدا يا عم سالم أنت أبويا.
- عربيتك قدام العمارة في مكانها. كل يوم كنت باغسلها لك.
- حبيبي يا عم سالم.
ودسست يدي في جيبي ثم ناولته بضعة ورقات فئة العشرة جنيهات
- روح ربنا يكرمك يا فارس بيه ويوفق مقاصدك.

* * *

صففت سيارتي على جانب الطريقِ أمام أحد المقاهي بمنطقة وسط البلد.. الساعة الآن تجاوزت الثالثة عصراً والطقس ضبابي.. قليلٌ من البرد يثلج أنفاس سيل البشر الذين يعبرون الأرصفة الجانبية وبخار الماء يتصاعد كدخان كثيف.. السيارات تسير ببطء.. الرطوبة عالية وتقلَّبت الأجواء لتبدأ السماء تكشِّر عن أنيابها بسيل من المطر.. الجميع يقترب من حافتي الطريق ليستتر عن هذا المطر الساقط أسفل البنايات، لكني ما زلت أقف بالقرب من الباب الأمامي لسيارتي.. أتشمم رائحة المطر وأنغامه العذبة. هي لي كميلاد طفل قد أتى إلى الحياة...

من لا يعشق المطر لا يعشق الحياة...

تحركت ببطء ألتقط أنفاسي بسعادة عامرة، وكأنني أمضي لحفل عشاء برفقة فتاة لاحقتها سيل سنوات عمري.. قد ابتلت حلتي وغمرها الماء.. المقهى لا يبتعد عني سوى خطوات لكني انتظرت حتى أحتضن المطر وأشم رائحة نداه..

اقتربت من باب المقهى على اليسار.. كانت الطاولات متناثرة كصفين تصنع ممرّاً نحو الداخل.. أكثر من رأيتهم couples وهذا لا يناسب مقابلة صديق طفولتي المستشار عمر مكرم.. كان عمر صديقي منذ الصف الأول الابتدائي، وكان مهملًا دراسيّاً من أسرة متواضعة أتت من الريف لتشق طريق كفاحها بالعاصمة.. وظل هذا الطفل منبهراً بالعاصمة حتى تخرج من

كلية الحقوق بتقدير مقبول، والمحصلة لدينا ذات الاهتمامات.. سكير وعربيد يعشق النساء.. لم يتزوج قط، غير أنه أنجب ذات مرة من إحدى فتيات الليل اللواتي يدافع عنهن، لكنه دائمًا ما يجد حيلة لكل شيء.. عمر هو شخص سوي منفصم كأغلب الرجال الشرقيين.. يرى بعضهم منه الوقار وغيرهم يقولون بلا مبدأ، إلا أنه حاول أن يعيد كل شيء بيني وبين زوجتي لما كان عليه.. لكن الرفض قاطع، فباشر عمله ويحاول بين الحين والآخر..

ما زلت أتفحص الطاولات حتى أتى صوته من آخر المقهى:

- فارس، تعالى.

رمقته مبتسمًا.. ما زال يبدو كشاب ذي عشرين ربيعًا متأنق الملبس ومهندمًا.. شعره متوسط الطول.. قمحي البشرة.. حليق اللحية.. حواجبه غليظة فوق عينين حادتين.. ليس وسيمًا لكن من النوع صاحب الكاريزما الساحرة..

اقتربت منه فقام وسلَّم بود:

- إيه يا عم فارس! هو إحنا ما نشوفكش غير عشان مصلحة.

قلت مبتسمًا:

- ماعلش يا عمر أنت عارف الدنيا تلاهي.

ثم أضاف عندما جلسنا:

- ولا يهمك يا فارس. تشرب إيه؟

- مش مهم. قضية إسقاط الحضانة وصلت لفين؟

قال بجدية:

- بص يا فارس، إحنا صحاب من زمان، بس حابب أقول لك إن موقفنا ضعيف بجد. أغلب اتجاهات القضاة في القضايا دي بتبقى رفض. غير إن حادثة موت ابنك بالنسبة لأي قاضي مش إهمال من الأم، ولا تعد قرينة على حالة الإهمال الجسيم، ففكرة إننا بنستند لدا في حد ذاته مش كفاية.

أردفت غاضبًا:

- أنت اللي بتقول كدا يا عمر! أنت عارف إنها سبب موته.

- أنا مقدَّر اللي أنت فيه، لكن أنا باحاول مش ساكت.

- أنت عارف إنها سبب موته. يعني إيه أم تدخل مول وتسيب ابنها لحد ما عربية تقتله؟! واللي قتله ما أخدش يوم واحد!!

قال بأسى:

- دا قضاء وقدر.

- عمر أنا هاخد البنت. بالقانون هاخدها. بالعافية هخدها، ولو حصلت إني أرتكب جناية.

- اهدا يا فارس.

فصحت غاضبًا:

- مش هاهدى، أنت لازم تتصرف، أتعابك هتاخدها يا أخي.

كانت النظرات تلاحقنا فقال بهدوء:

- فارس اهدا، فرجت علينا الناس. أنا من إمتى حسبتها معاك كدا؟ !

- أنا ماشي.

وقمت من الكرسي ثم أضفت:

- عايز أسمع أخبار كويسة.

ثم تحركت تجاه باب المقهى مغادرًا...

* * *

الثلاثاء 8 يناير..

الساعة 1 صباحًا..

طريق مصر إسكندرية الصحراوي.

قدتُّ سيارتي بتربص وخوف بسرعة منخفضة وكأنني مقبلٌ على موت حتمي.. وما زلت أجهل ما دفعني للذهاب لملاقاة ذلك المجهول.. بطريقِ مصر الإسكندرية الصحراوي، بعد خمسة وخمسين كيلومترٍ تقريبا.. السيارات قليلة والطريق على مرمى بصري خالِ تماماً؛ فكل السيارات كانت تسبقني عندما قدت كأنني أركب سلحفاة تجاوزت المائة عاماً.. سرت بالحارة الأخيرة أقصى اليسار بجانب الفاصل الخرساني بين الطريقين.. الإضاءة خافتة ومصابيح السيارات من الجهة الأخرى تعمي عيني.. بدأ النوم يداعب جفنيِ، فيومي كان ممتلئًا ببعض الأحداث، لكني قاومته خوفًا من أن يتغلب عليّ..

أستمع لأغنية رومانسية حزينة تركية تأثرت بها كثيراً، ورغم أني لا أجيد التركية bana bırakأو اتركه لي.. الطريق هادئ كهذا اللحن.. وأسير بما يقرب من ستين كيلومترٍ في الساعة، لكن كان عليّ أن أزيد السرعة قليلًا..

رنَّ الهاتف من رقمٍ غير مسجل، التقطه وأجبت بتوجس فأتى صوت من الجهة الأخرى يقول بود:

- أستاذ فارس، إزيك. كنت عارف إنك جاي. هتلاقيني مستنيك ومولع النور على الهادي. خد أول ملف وتعالى. عربيتي جيب رينجلر.

أجبت بصوت يقاوم الخوف وقلت بحزم:

- آها، شُفتك، هاخد أول دوران وآجي.

بعدما أغلقت الهاتف كنت بالفعل قد رأيت سيارة على جانب الطريق من الجهة الأخرى.. زدت من سرعة المحرك حتى قمت بالدوران متجهًا إليه.. اقتربت من سيارته وصففت سيارتي خلفها، ثم ترجلت ومضيت نحو سيارته بحذر حتى اقتربت من الكرسي الأمامي، وكان يجلس أمام عجلة القيادة.. ما إن رآني حتى ابتسم وقال بود..

- اركب يا أستاذ فارس.

لقد كان يبدو في الخمسين من عمره.. أصلع الرأس وحليق اللحية.. له شارب غليظ.. لم أتبين كافة قسماته لخفوت الإضاءة أمامي.. فتوجهت إلى الجهة الأخرى وركبت بالقرب منه.. حتى تبينت ملامحه.. لا شيء يذكر في تفاصيل وجهه غير ندبة كبيرة في رقبته.. عينان تلمعان..حواجب عريضة وأنف مستقيم.. صمت لبرهة قبل أن يصافحني ببلادة.

- آسف على الطريقة دي. الحقيقة أنا قابلتك هنا لأني عندي طيارة بكرة الصبح في الإسكندرية. أنا متراقب وقدرت أهرب منهم. كنت قاعد في مزرعة واحد حبيبي هنا.

قلت ببلاهة:

- مش فاهم!

- أعرفك بنفسي. أنا دكتور إبراهيم محيي عالم بيولوجي. كنت شغال في مركز أبحاث كبير جدًّا برّا مصر بدون تفاصيل، وكانت مهمتي واضحة. إني أحاول أشوف الجينات المسؤولة عن الضعف وأعمل لها عملية تصبيت، وكان في مجال شغلي برّا التجارب ممنوعة على البشر. الحقيقة التجارب اللي كنا بنعملها كانت هتمثل طفرة كبيرة جدًّا في الحياة البشرية. تخيل إنسان كامل لا بيمرض ولا بيحصل له شيخوخة! إنسان كامل، تقدر تقول كنت باحاول أصنع إكسير الخلود. وفضلت أكتر من 15 سنة باعمل تجارب. لكن للأسف..

- إيه؟!

قال بأسى:

- الحقيقة إني اتخدعت طول الفترة دي، وكنت فاكر إني باقدم خدمة لبلدي. أنا ما كنتش إنسان كامل، وغريزة العلم دفعتني إني أصحي وحش جوايا. إحنا كنا بنستخدم الأطفال في التجارب دي. التجارب كان ليها شقين. شق كان هدفه البحث عن الجينات المسؤولة عن الشيخوخة والشق التاني كان عن طريق تحفيز الجينات دي. بمعنى إن كان جزء من الأبحاث هدفه

تسبيب شيخوخة مبكرة للمتلقي. وبالفعل تطور العقار دا FD11 وهو عقار بيسبب تدمر الميتاكوندريا في الخلية، وبيأدي زي ما قُلت لك لظهور أعراض الشيخوخة بعد فترة قليلة من التلقي.

قلت بريبة:

- لكن إيه الهدف من التجارب بتاعة تسريع عملية الشيخوخة؟

- الهدف كان بسيط؛ عشان نتأكد من إن الجينات المستهدفة دي هي فعلًا المسببة للشيخوخة، ونقدر نعمل لها عملية تصبيت ووقف. والغريبة إننا قدرنا نوصل للعقار دا قبل ما نوصل للهدف اللي اتعملت التجارب عشانه، وهو الإنسان الكامل. لأن ببساطة التجارب دي كان الهدف منها وصول للعقار FD11 في وقت ما كان فريقي بيشتغل على البحث عن الجينات دي كان في فريق تاني بيطور العقار دا، واكتشفت إني أهديتهم سلاح فتاك يقدر يعمل كتير.

- قصدك إيه؟!

- أستاذ فارس العقار FD11 يقدر يخلي طفل عمره خمس سنين يوصل لمرحلة الشيخوخة في فترة أقل من ست شهور. يعني تقدر تقول عجوز عمره ما يفوق سبعين سنة في جسم طفل. صعبة مش كدا؟!. الفكرة هنا في مدى الانتشار وقدرة العقار دا على إبادة مجتمعات كاملة. الحرب ما بقتش بسلاح زي الأول؛ الحرب بقت حرب بيولوجية.

قلت بجدية:

- إيه المطلوب مني؟

- أنا عرفت عنك كتير. عرفت أنت إزاي قدرت تكشف فساد مجموعة مهران وتبين الصفقات المشبوهة ليها. عرفت إنك قدرت تكشف فساد كتير من رجال الأعمال وتواطؤهم مع المسؤولين الفاسدين. وعرفت إنك فقدت

ابنك وطلقت زوجتك. أستاذ فارس أنا بالنسبة لي أكتر صحفي مشهور وعنده مبدأ واتكوى من وجع موت ابنه هو أنت. فيه أطفال كتير ماتوا بسبب تجاربنا دي. ليهم أهل وماتوا زي ما أنت فقدت ابنك كدا، وأكيد حاسس بألم الفراق. حتى أطفال الشوارع اللي مالهمش أهل كانوا مادة خصبة للتجارب.

وأردف بحكمة:

- انحراف المبدأ لا يميز، وأسوأ إنسان ممكن يكون بلا رحمة هو عالم انحرف.

ثم تنهد وأردف ثانية:

- أنا عايزك تتكلم عن الموضوع دا في الجريدة عندك. وتوصله للأجهزة السيادية في الدولة. أنا ما أقدرش أعمل دا بنفسي؛ لأني متورط في الشيء دا وما عنديش قدرة إني أواجه.

فكرت قليلًا وأردفت:

- لكن الكلام اللي قُلته دا خطير جدًّا...

قاطعني بيأس:

- إيه؟ خايف؟ لو قُلت لك إن لسّا فيه أطفال بتموت كل يوم!!

أومأت رأسي فناولني دوسيه وأردف:

- الملف دا فيه الحكاية كلها، وأسماء الناس اللي اشتركت معايا. فيهم جنسيات تانية ومكان الأبحاث وكل شيء عن الموضوع، يا ريت....

صمت إبراهيم وحرّك رأسه يمنة ويسرة بعينين متوجستين.. غزت أمارات الخوف قسماته، ثم نظر لي بعين ثاقبة وقال بخوف:

- شايف العربية اللي واقفة على الناحية التانية دي؟!

- لأ.

أشعل محرك السيارة وقال:

- لازم نهرب.
- فيه إيه؟! طب نزلني.
فنظر لي بأسى وقبل أن يتحدث اخترقت رصاصة غادرة رأسه لم تضل طريقها وكأنها برمجت حاسوبيًا حتى لا تضل الطريق في هذا الظلام الحالك.. تناثرت دماؤه على ملابسي.. مخ مفتت لقطع صغيرة.. موت وشيك بدأ مع سيل الطلقات التي انهمرت عليّ كأمطار رعدية وسحب كثيفة.. تملك الرعب مني وارتعدت خوفًا.. الخيالات تدور في عقلي وذكرياتي جميعها برأسي الآن.. لا شك أن الموت أصبح أقرب مما أعتقد.. فتحت باب السيارة مختبئًا في جثة إبراهيم ثم ألقيتها أرضًا وجلست أمام عجلة القيادة.. أغلقت الباب وأطلقت العنان للسيارة.. أسير بسرعة جنونية.. وأنظر في المرآة لأرى ثلاث سيارات جيب تلاحقني وتقترب مني.. تبًا لك إبراهيم، لماذا أنا؟.. لماذا لم تحدث الشرطة بالأمر؟! لقد تورطت والآن الموت خلفي.. اقتربت مني الثلاث سيارات من الجانب الأيسر.. حتى أصبحت إحداهن تسير في محاذاتي ورأيت سلاحًا آليًا موجهًا إليّ.. زدت سرعة السيارة بفزع وزاد خوفي مع الطلقة التي اخترقت السيارة من الخلف لكن لم تصبني.. أصبحت بالحارة الأخيرة جهة اليمين.. وما زالت تلاحقني السيارات.. اقتربت مني ثانية.. ثم أطلق أحدهم طلقات أصابت عجلة السيارة الأمامية ثم الخلفية.. لم أستطع التحكم في مقود السيارة.. انقلبت السيارة بعنف مع سرعتي الزائدة، وظلت تنقلب وتتدحرج ككرة لتستقر على جانب الطريق..

***

-1-

من لم يرَ الموت بأم عينيه لن يقدِّر قيمة الحياة، ومن اعتاد النعم كان ناقمًا وإن ملك الخلود..

كانت الغرفة وثيرة شاسعة، بيضاء الجدران وسرير معدني بمنتصفها.. على الجانب الأيسر من السرير كومود صغير عليه بعض شرائط وأقراص دواء.. أسلاك متصلة بجسدي كثيرة وصوت جهاز ضربات القلب يصدر طنينًا يسبب الصداع.. إبرة المحلول متصلة بيدي اليسرى ومعلق على عامود بالقرب من السرير.. نظرت إلى المحلول فوجدت زجاجته فارغة.. تفحصت الغرفة ثم نظرت إلى ساعة الحائط أمامي وكانت الثانية عشرة مساء.. النافذة على يمين سريري تأتي بهواء بارد.. جسدي يرتعش من البرد والأمطار كثيفة بالخارج.. باب الغرفة مغلق والتلفاز أمامي معلق على جدار في مواجهة السرير، لكن لم أملك القوة لأقوم بفتحه ولا أرى أين الريموت؟!

فُتح باب الغرفة بهدوء.. كان شابًّا ثلاثينيًا يرتدي عوينات طبية ومعطف الأطباء الأبيض.. اقترب مني ورسم على وجهه ابتسامة باردة أقرب ما يكون لابتسامة طبيب لا يهتم سوى بعمله.. ما إن اقترب حتى رأيت لافتة اسمه على المعطف الأبيض مكتوبة بالإنجليزية.. شارة ذهبية بداخلها كتابة سوداء (محمد علي).. وقف أمام جهاز قياس ضربات القلب، وسرعان ما تحدث وهو يتفحص الأسلاك في جسدي..

- حمد الله على السلامة يا أستاذ فارس.

- الله يسلمك يا دكتور محمد.

فقال مازحًا:

- لا دا أنت كدا عال. احتمال كبير تقابل النقيب تامر النهار دا ياخد أقوالك عشان يقفل المحضر ويبعته النيابة.

توجست نفسي فقلت بقلق:
- أقوال إيه؟ أنا مش فاكر حاجة.
قال بجدية:
- يعني مش فاكر الحادثة ولا أي حاجة؟!
- لا صدقني مش فاكر.
قال في حيرة:
- إشاعة مخك سليمة يا أستاذ فارس. عمومًا ممكن يكون فيه فقدان جزئي في الذاكرة من صدمة الحادثة. هابقى أبعت لك دكتور سلامة اختصاصي المخ والأعصاب عشان يطمنا أكتر. بس أنا كدا كدا لازم أكلم النقيب تامر عشان ياخد أقوالك في المحضر.
ثم أضاف وهو يعبث ببعض الأسلاك:
- هنكلم أستاذ عمر ونبلغه إنك فُقت.
أومأت برأسي فأردف وهو يتجه نحو باب الغرفة:
- هابعت لك الممرضة تشوفك لو محتاج حاجة.
ثم استدار وقال مبتسمًا:
- أستأذنك يا أستاذ فارس، وحمد الله على سلامتك تاني.
- الله يسلمك.

* * *

اقترب الغروب وزادت الأمطار المتساقطة.. أقلِّب في قنوات التلفاز بيأس وملل بعد أن اعتدلت في السرير.. أتفحص الغرفة بهدوء وشرود.. الوجبة التي تناولتها قبلًا سببت لي آلامًا معوية وتقلصات.. طعام المستشفيات بلا طعم كحالها ولكن الجوع قد دفعني لأتناوله بشراهة أسد جائع.. الساعة الآن الخامسة والنصف والغيوم ما زالت على حالها منذ الصباح وكأن الشمس لم تشرق اليوم.. فُتح الباب وتقدَّم عمر. بدا عليه القلق والتوتر

ولكنه كان مبتسمًا.. اقترب مني وسحب كرسيًّا من أمام الجدار ليضعه بالقرب من السرير ويسلم عليّ بلهفة..

- حمد الله على السلامة يا فارس. إيه اللي حصل؟

- الله يسلمك يا عمر.

ثم جلس وأردف:

- أنت كنت رايح إسكندرية تعمل إيه؟

- والله دا موضوع طويل يا عمر.

- مش فاهم.

- حد كلمني بخصوص شغل وفجأة انضرب علينا نار في عربيته فمات ورميت جثته وسقت العربية، فضلوا ورايا وبعدين مش فاكر !

- قصدك إبراهيم محيي.

- آها.

- وأنت إيه علاقتك بدكتور إبراهيم؟

- مش مهم تعرف دلوقتي.

- أنت عارف إن العربية اللي كنت فيها اتفحمت ولقوك مرمي بعيد عنها بحوالي 30 متر تقريبًا. يعني حد أنقذك.

- قصدك إيه؟

- قصدي تخلي بالك في التحقيقات؛ لأنك كنت قدامهم، لو كانوا عايزين يقتلوك كانوا عملوها.

قلت بقلق:

- تفتكر إن ممكن يتهموني بحاجة؟!

- أفتكر جدًّا؛ لأنك سِقت عربية إبراهيم قبل تنفجر. فتح مخك أنت. أنا هابقى أحفظك تقول إيه.

- أنا قُلت إني مش فاكر.

- تمام خليك كدا لحد ما نشوف التحقيقات هتوصل لفين. أنت ممكن تخرج بكرة، بس فيه حاجة كنت عايز أقولها لك.

- إيه؟

قال بودٍ:

- يا ريت ما تحرجنيش.

ثم قام توجه نحو باب الغرفة وأشار:

- تعالي يا ملك.

صحت فيه:

- أنت إيه اللي هببته دا؟!

نظر بضيق وغادر الغرفة عندما كانت ملك تعبر الباب وتتمايل بخطواتها بعذوبة أنثوية.. ما زالت كما هي، تصغرني بعشر سنوات.. ترتدي الكعب العالي الذي علا دبيبه.. أكانت تثير غرائزي أم تثير غيرتي عليها؟! ترتدي فستانًا أسود عاري الصدر، برز منه نصف صدرها، عليه بالطو مفتوح.. كان فوق الركبة بقليل.. لا أعلم ماذا حدث بعدما ابتعدت عنها؟!. هل تحولت لعاهرة أم إنها لا تزال تريد أن تشعر بأنوثتها! ملك هي فرس جامح.. غزال ضلَّ طريقه والصياد لا يبالي به.. صبغت شعرها باللون الأشقر وارتدت عدسات طبية زرقاء.. زادت أنوثتها وترعرعت بفراقي.. نظراتها بين الحب والشهوة والهيام والعتاب.. أنفها دقيق مستوٍ.. حواجبها عريضة كأن فنانًا رسمها بدقة بارعة.. شفتاها بارزتان والجسد مثلهما.. منحنيات إفرست وهضبة التبت.. ملك شيطان بارع هرولت منه خوفًا.. تملك الحيل لكل شيء.. اقتربت ورمتني بنظرات حزن مصطنعة.. لم أتمالك نفسي وأنا أعنفها بسخط كمن أنهى توًّا ليلة حمراء ولم يعطِ عاهرته الأجر..

- إيه القرف اللي أنتِ لبساه دا؟!. أنا كنت صح لما قُلت لازم آخد بنتي منك. بزمتك دا منظر أم محترمة؟! أنتِ هتفضلي زبالة كدا لحد إمتى؟!

قالت بغضب:

- لو سمحت يا فارس.

ثم صمتت واقتربت تجلس على كرسي بجواري وتابعت بخبث:

- لسّا بتغير عليّ؟

- خايف على بنتي. أنتِ إيه اللي جابك؟

قالت بعدما سقطت دمعات من جفنيها كدموع التماسيح:

- جاية أشوف أبو ولادي.

ثم مسحت عينيها برفق وأردفت:

- ولا أنت عايز الناس تاكل وشي؟!

- طب يا ستي متشكرين. آديكِ اطمنتِ، ممكن بقى لو سمحتِ تتفضلي؟

وقفت وقبضت على يدي اليسرى:

- فارس أنت ليه مش قادر تفهم إنه ما كانش ذنبي. فارس أنا بحبك. ما تسيبنيش كدا. يا فارس بجد أنا مشتتة ومش عارفة أعمل أي حاجة في حياتي. فارس أرجوك اديني فرصة واحدة وشوف أنا اتغيرت ولا لأ.

سحبت يدي بقوة ثم دفعتها فسقطت أرضًا حتى برزت مفاتنها وصحت بغضب:

- يا عمر.

- يا عمر.

فتح عمر الباب بعجل ودلف الغرفة وهو يحاول تحاشي النظر إليها ولكنها لم تستر ما ظهر من ملابسها عندما كان الفستان قد ارتفع كثيرًا وأظهر فخذيها ثم قال بتوجس..

- ما لك يا فارس؟ خير يا ملك؟

قالت برعونة:

- اسأل صاحبك.

اقترب منها وساعدها على النهوض، نظرت إليها محتقرًا ردة فعلها لأنها لم تحاول ستر جسدها ثم أردفت:

- مش باقول لك هتفضلي زبالة.

ثم صحت في عمر:

- لو سمحت خرجها برا.

* * *

الليل له عواء كعواء الذئاب وطنين كطنين الذباب.. الليل سرمدي خاشع أمام المتأملين وباطش أمام المنعزلين.. الليل همهمات وصمت وغياهب تفكير.. لا يأتِ سوى بأفكار سوداوية حمقاء حتى لمن تأمل.. الساعة الثامنة والنصف مساء.. هدوء في الممرات.. هدوء خارج المستشفى.. صمت مطبق.. أشعلت التلفاز على محطة إخبارية وشردت أتفحص كل شيء حولي.. لماذا أنا؟! ولماذا ذهبت؟!. تورطت بشيء ليس لي به طاقة ولم أحصل على ما يفيد.. تبًا لفضول البشر.. هل سيتركونني أم سيحاولون قتلي؟! ربما لم يريدوا ذلك وأنقذوني من الموت وهذه هي نهاية الأمر..

ما زالت صورتها أمامي على حالها.. ملك السهم الفتاك الذي يعصر قلبي.. ربما لا أحد يعلم أنني ظللت أشك أنها تخونني منذ يوم زواجنا الأول.. كانت متحررة ومتفتحة لا تريد أن أضيق عليها الخناق بغيرتي.. وسواس قهري بالخيانة ولدي عذر لذلك.. أهملت كل شيء غير الحفلات الصاخبة وزميلات الدراسة.. المال كان في جعبتي وأغدقت عليها ببذخ.. كل شيء يمكنها الحصول عليه.. ابنة اللواء أمين خيري بالطبع كانت تحيا حياة الملوك وعائلة خيري المرموقة التي تمتلك الجاه والمال لا بد لبناتها أن يحيين بذات الشاكلة.. ملك لقد مللت منكِ ومن عائلتك.. فلتذهبوا للجحيم جميعًا..

عمر غادر بقليل من السباب واللعنات.. يتحمل حماقتي ولكن هذا جزاء فعلته.. الصداقة مريضة وأنا لست ذلك الصديق طيب القلب.. هو ليس كذلك أيضًا بل يحاول أن يظهر دومًا في دور المُصلح، وهذا جانب من

غروره الأزلي منذ صبانا.. عمر صديق جيد لكنه عبدٍ للمال ويعشق النساء، بلا قلب أو رحمة.. ومن عشق النساء لا يؤتمن كثيرًا وهكذا نظرت إليه.. أحبه وأثق به لكن ليس لذلك الحد أن أعطيه سائر أسراري وربما أنني لا أعطي سري لأحد أيضًا..

الباب فُتح توًّا دخل الدكتور محمد وبصحبته شاب حليق اللحية.. مفتول العضلات ومهندم الملبس.. عيناه ثاقبتان حادتان.. حواجب خفيفة وأنف معقوف.. شارب خفيف عريض خبأ شفته العليا.. ابتسم بخبث لتظهر أسنانًا صفراء تخبرني بإدمانه للتبغ.. يرتدي بنطالًا جينز وقميصًا أبيض.. ويحمل جاكيت جلديًّا فوق ساعده الأيسر.. وسيم بقدر كافٍ وذو كاريزما. ما إن دخل حتى أشار لدكتور محمد وقال:

- شكرًا يا دكتور. تقدر تتفضل أنت.

فأومأ محمد رأسه وقبل أن يغادر قام هذا الشاب بإشعال سيجارة. فأردف محمد بخجل:

- التدخين ممنوع يا تامر بيه.

قال تامر بحزم وهو يشير لباب الغرفة:

- شكرًا تقدر تتفضل.

غادر محمد الغرفة فاقترب تامر حتى وضع الجاكيت على السرير وجلس على كرسي بالقرب مني ثم قال بود:

- تدخن؟

- كنت محتاجها جيت في وقتك.

ناولني سيجارة وقال وهو يشعلها لي:

- يا أخي الدكاترة دول تحسهم عالم مريضة. على فكرة لا باحبهم ولا باحب أدخل مستشفيات. يعني أكيد طبعًا مش هتخليني أرجع من المشوار دا من غير ما أطلع بفايدة.

ابتسمت فتابع:

- عايز ندردش سوا بشكل ودي كدا. أنا طبعًا من أشد معجبينك يا أستاذ فارس، وهنا ممكن تعتبرني صديق مش ظابط شرطة.

أومأت رأسي:

- تحت أمرك.

- إيه علاقتك بدكتور إبراهيم؟

- صديق.

فسحب نفسًا عميقًا من السيجارة وزفره بقوة:

- لكن إبراهيم ما كانش له صحاب خالص.

- وسيادتك عرفت منين؟

- بيقولوا.

قلت ببلادة:

- تحرياتك غلط.

فأومأ رأسه ونظر لي بعين ثاقبة:

- صلح لي !

- كان له صحاب.

قال بسخرية:

- كنتوا بتعملوا إيه في الوقت دا على الصحراوي؟! هو مش أنت متجوز برضه. ألا هو مراتك سابتك ليه؟!

ثم صمت وهلة وتابع بخبث:

- عشان علاقتك بإبراهيم؟!

قلت بغضب:

- سيادتك واضح إنك جديد في الشغل. وطريقتك دي تعملها مع الجنائيين. أنا هنا مش متهم ولو تعرف مين فارس حسين هتتكلم معايا كويس.

ألقى سيجارته على الأرضية وفركها بقوة ثم قام وتوجه نحو النافذة وتنفس بعمق ثم التفت لي قائلًا:

- الجو برد قوي. تعرف يا أستاذ فارس العيال عندنا في الحجز بيناموا على الأرض في عز البرد دا. بس هما جنائيين يقدروا يستحملوا. بصراحة ما جربتش أشوف صحفيين كبار في الحجز قبل كدا.

قلت بتوجس عندما رميت سيجارتي على الأرضية:

- أنت عايز إيه؟!

- قُلت لك ندردش بشكل ودي.

- أنا مش متهم بحاجة.

تقدَّم بهدوء وجلس على الكرسي:

- ممكن تبقى متهم! إلا لو فهمتني إيه اللي حصل.

- أنا مش فاكر حاجة.

ضحك بسخرية وتابع:

- آها قُلت لي. فاقد الذاكرة يعني. الأفلام بيحصل فيها كدا بس للأسف ما باحبهاش، فيا ريت ما تفرجنيش على فيلم قديم.

- طب ولو حكيت.

- يبقى وفرت عليّ وعلى نفسك كتير.

أومأت رأسي وقلت بثقة مصطنعة:

- أنا جالي إيميل مجهول حد بيقولي تعالى عند الكيلو 70 لأن معايا مستندات بتكشف فساد كبير في البلد وما حدش يقدر يعمل دا غيرك. بصراحة الفضول شدني ورُحت المكان دا لقيت دكتور إبراهيم واداني ملف قال لي إن فيه كل المستندات اللي قال عليها. مافيش دقايق وانضرب علينا نار. فرصاصة فجرت مخه أنا من الرعب زقيته من قدام الدركسيون وجريت بالعربية. فضلوا ورايا لحد ما العربية اتقلبت ومش فاكر أي حاجة بعد كدا.

ابتسم بخبث:

- طبعًا المستندات دي مش معاك.

- العربية اتفحمت.

- ولا حتى ادالك كارت ميموري؟
- تفتكر لو كانوا أنقذوني كانوا هيسيبوني عادي كدا من غير ما يفتشوني!
لامس أرنبة أنفه بسبابته وأردف:
- وطبعًا الإيميل دا موجود.
- أكيد.
فقام من الكرسي وقال:
- ابقى قول لهم الكلام دا في النيابة. دا لمصلحتك. الكلام اللي قُلته دا هيبعد أي شبهة عنك.
- أفهم من كدا إنك بتساعدني؟
رمقني بعين واثقة:
- أنا وظيفتي أحقق العدل.
ثم تناول الجاكيت وتوجه نحو باب الغرفة مغادرًا دون أن ينبس ببنت شفة

* * *

ترجلت من سيارة الأجرة أمام باب العمارة مبتعدًا عنها بضعة مترات.. كانت السحب رعدية والريح عاصفة، ولكن لم تكن هناك أمطار.. ما زلت أرتدي حلتي الرسيمة.. الضوء خافت في الشارع إلا ضوء المصابيح بمدخل العمارة.. الساعة الحادية عشرة مساءً، وطوال اليوم كنت برفقة عمر في النيابة بشأن أقوالي.. كان يومًا مليئًا بالأحداث والمنعطفات.. كل شيء مرّ على ما يرام، ولم يبقَ لي سوى الراحة بعد هذا العناء..
تقدَّمت نحو مدخل العمارة، كان عم سالم يجلس على الكرسيٍ أمام المدخل يلتحف بـطانية رديئة، وكعادته يدخن النرجيلة ويدندن لحنًا لأم كلثوم.. كلمات من الطرب الأصيل.. هو لا يأبه بشيء، دائمًا يشعر بالسعادة.. في بعض الأوقات تمنيت أن أصبح مثله أعيش اليوم بيومه ولا أفكر.. اقتربت منه فوقف من الكرسي احترامًا وقال بود:

- أستاذ فارس، حمد الله على سلامتك. وحشتنا والله.
قلت مازحًا:
- إيه الروقان دا يا عم سالم؟ ما كنتش أعرف إنك مزاجك عالي كدا.
ضحك وتابع:
- آدينا بنتسلى يا أستاذ فارس.
- طب أنا طالع أرتاح شوية. ناقصك حاجة؟
- ربنا يخليك.
ثم ضرب جبهته براحة يده اليمنى وقال:
- آها نسيت، فيه حد ساب لك حاجة.
- إيه؟!
دسّ يده في جيب الجلباب وأخرج فلاشة:
- البتاعة دي، ما اعرفش اسمها.
تناولتها منه وأردفت:
- طب شكرًا يا عم سالم، تصبح على خير.
- وأنت من أهله يا فارس يا ابني.

* * *

أصدر باب الشقة صريرًا حدًّا زاد مع خفوت الصوت في العمارة وكأنه يخبرني أنني ضيف غير مرحب به.. ليالٍ صماء وبرد قارس.. لوحة مكتملة لحالة من الرعب الهيستيري لرجل شارف على الموت.. تأملت سلة القمامة أمام الشقة.. رائحة عفنة أسفل قدمي على يساري تشي بأن لم يعد أحدهم يهتم لأمري حتى عم سالم.

دلفت أتحسس موطأ قدمي نحو الداخل في هذا الظلام الكئيب.. أغلقت باب الشقة قبل أن أشعل مصباح الصالة الذي كان بالقرب من باب الشقة لكن لم أستطع رؤيته.. أخرجت هاتفي وأشعلت كشاف الضوء.. ها هو وجدته فسعدت كمن كان تائهًا في صحراء ورأى بئرًا من الماء العذب..

أشعلت المصباح ونظرت في الصالة الفوضوية.. شعرت بالاشمئزاز والفوضى اللذين يلازماني منذ انفصالي عن ملك..

تقدمت خطوات أركل زجاجات الخمر الفارغة والملابس الملقاة على الأرضية لتفسح لي المجال نحو هدفي الذي كان أمامي مباشرة.. اللاب توب راقدٌ على الترابيزة هناك في نومته الأزلية.. الصالون متسخ ببقايا أعقاب السجائر والتبغ المخترق.. الرائحة كريهة لكننا اعتدنا أن نحيا معًا دون تطفل.

اقتربت من الترابيزة أخرجت سجائري ووضعتها برفقة الهاتف بالقرب من اللاب توب على الترابيزة ثم جلست أتنهد بعمق.. ضغطت زر التشغيل في لوحة المفاتيح وتناولت سيجارة أشعلها بين أنامل يدي اليسرى.. بين الوسطى والسبابة جلد اصطبغ لونه بالأصفر من بقايا التبغ، وظللت أنتظر هذا الميت أن يستيقظ من ثباته بعد فراق دام لأربعة أيام.

أخرجت الفلاشة من جيب بنطالي ودسستها بمدخل اللاب توب.. انتظرت حتى تم تعريفها.. كان بداخلها ملف فيديو يحمل اسمًا بالإنجليزية ما إن رأيته حتى تذكرت الإيميل الذي أرسله لي دكتور إبراهيم..

* * *

اسم الملف: gamecan..

الحجم: 7 جيجا بايت..

ضغطت على الفيديو فظهرت شاشة سوداء، وبعد عدة ثوانٍ ظهرت كلمة gamecanمع ارتفاع صوت موسيقا ناي أم آلة أخرى.. موسيقا غريبة لم أسمع بها قبلًا.. تعالت الموسيقا وخفضت في بعض أوقات.. لحن بين الجنون والحزن واليأس والأمل.. صراع بداخلي يستعر ونار توقد.. آلات أخرى تداخلت مع صوت هذه الآلة ثم صمتت ليبدأ العرض الذي معه أطلقت صرخة شاهقة.. صرخة رعب وفزع.. صرخة دهشة لم أرَ مثلها في

حياتي.. لم أتمالك نفسي وأغلقت شاشة اللاب توب.. ارتجفت بقوة حتى اقتربت من البكاء.

تناولت هاتفي ولم أدرك أن السيجارة شارفت على نهايتها إلا عندما صدمت بتلك النار التي لامست أصبعي فألقيتها على الأرضية فوق السجادة.. أدركت خطئي ففركتها.. بسرعة جنونية بحثت في دليل الهاتف ثم ضغطت على زر الاتصال.. انتظرت حتى سمعت صوتها كأنها استيقظت توًّا..

- ملك.
- فيه إيه يا فارس؟

قلت بخوف وبنبرات متقطعة:

- أنت كويسة؟
- أنا كَويسة.

ثم أضافت بلهفة:

- ما لك يا فارس فيه إيه؟
- متأكدة إنك كويسة؟!

ثم تابعت بغضب مكتوم:

- أنت بتقابلي عمر؟
- ما لَك يا فارس؟!. أنت مش طبيعي خالص.

قلت بحزم:

- خلي بالك من البنت يا ملك.

لم أنتظر ردها وأغلقت الاتصال.. فركت عيني بكلتا يدي محاولًا الاستيقاظ.. حاولت تهدئة نفسي بجملة ربما تأثير الخمر بدأ العبث في عقلي.. من السهل لمدمن كحول مثلي أن يرى مثل هذا.. كل شيء سيكون على ما يرام.. أهدأ وسيصبح كل شيء على ما يرام، لكن الفضول دفعني ثانية..

أشعلت اللاب توب ثانية وضغطت على الفيديو.. حدث نفس الأمر.. مقدمة الموسيقا والكلمة والشاشة السوداء وأعيد العرض ثانية..

المكان شقتي التي تركتها لملك..
الزمان غير محدد..
الفيديو عرض حصري لأسوأ مخاوفي.. فيديو خارج حدود المنطق والعقل.. فيديو لم أتخيل أن أراه.. ربما تخيلت أن يحدث لكن أين المنطق في هذا العرض؟!
أصوات تأتي من غرفة النوم.. ملك ممددة فوق السرير شبه عارية برزت مفاتنها.. تتغنج بعذوبة وتتأوه.. تقلبت على جانبها الأيمن في مواجهة كاميرا الفيديو وكأنها تعلم أنها يتم تصويرها، ثم ظهر عمر الذي لم يفرق عنها بشيء.. اعتلى جسدها عندما نامت على ظهرها وقبلها بشوق وهيام.. تلفظت باسمة مرات وهي تردد "بحبك يا عمر"، ثم ظهرت في الفيديو أحمل سكينًا وانهلت على ظهر عمر بالطعنات.. سالت الدماء منه حتى فارق الحياة.. ملك توسلت وبكت وتأسفت.. حاولت ستر جسدها العاري عندما دفعت جثته بعيدًا عن جسدها.. اعتليت جسدها وظللت أكيل لها اللكمات في حالة هستيرية.. أطلقت العنان لقبضتي حتى سالت الدماء على وجهها ثم أحكمت قبضي على رقبتها حتى جحظت عيناها وفارقت الحياة هي الأخرى.. قمت ونظرت لكاميرا الفيديو مبتسمًا حتى تناولت الكاميرا ثم اختفى المشهد.. شاشة سوداء ثم ظهور الكلمة gamecanوانطفأ مشغل الفيديو دون فعل أي شيء..
مسدت لحيتي بخوف هستيري.. حالة من الرعب اعترت جسدي لأرتجف.. فركت عيني بقوة دون توانٍ.. أغلقت شاشة اللاب توب وظللت أتفحص زجاجات الخمر الفارغة على الأرضية كأنني أعاتبها على ما آل إليه حالي.. الوحدة قاتلة لها براثن وخطاطيف وقد أصبحت أسيرًا.. تأملت في ما حدث في هذا الفيديو.. ليس هناك تفسير منطقي سوى أنه لا شيء.. نظرت على يميني لزجاجة كحول بالكاد بها رشفتين تناولتها وتجرعتها بسرعة ثم قذفتها أمامي بقوة لتستقر بين رفيقاتها على الأرضية..

عينان مثبتتان تنظران أمامهما وشرود آسر في كل شيء.. تناولت سجائري وأشعلت واحدة ثم وضعتها فوق الترابيزة وأخذت نفسًا عميقًا أطلقت معه اليأس والخوف، وكأن السجائر ستخرج مخاوفي الأزلية من صدري.. صنبور المياه تتدفق منه نقط وترتطم بالحوض المعدني في المطبخ كأنها أصبحت ساعة ثوان.. الوقت لا يمضي مع هذا التأمل والتوجس.. نظرت لسقف الصالة وشعرت بالاشمئزاز من هذا المستنقع الذي أعيش به..

- إيه لسّا بتحبها؟!

نظرت أمامي جحظت عيني خوفًا.. تقطعت أنفاسي وارتعدت مرتعبًا.. زادت ضربات قلبي بقوة.. تأملت هذا الواقف أمامي.. رجل ضعيف الجسد.. أشيب الشعر واللحية.. دقيق الأنف والتجاعيد كست وجهه.. عينان خبيثتان تلمعان بالشرر وملامح عجوز شرير.. يبدو وقد أتم الستين عامًا.. يرتدي حلة رسمية تشبه التي أرتديها.. كان واقفًا مثبت العينين عليّ يبتعد بضعة خطوات.. يحملق فيّ ويبتسم بخبث لتظهر أسنانه الأمامية التي فقد أغلبها..

تمتمت بخوف:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ضحك ثم قال ساخرًا:

- أنت مش واخد بالك إن نفسك كله كحول. المفروض تتكسف إنك تقول اسم ربنا على لسانك.

تابعت التمتمة بيأس وخوف فأعاد ما قاله:

- إيه؟! لسّا بتحبها؟

قلت بصوت متقطع:

- أنت مين؟

لم يعرني اهتمامًا وتابع:

- بس هي ما تستاهلش. أكيد شُفت بنفسك في الفيديو إيه اللي حصل؟

صرخت بقوة:

- أنا باهلوس.

ثم أغمضت عيني وفتحتها بعد عدة ثوانٍ لأجده يقف أمامي مباشرة، قال بسخرية:

- ما تخافش، أنت مش بتهلوس.

- أنت مين؟

استند على الترابيزة وقرّب وجهه مني ثم أردف:

- بص كويس كدا، ما تعرفش وش مين دا؟!

جحظت عيني وقلت بصوت مبحوح متقطع:

- أنت أنا!!

اعتدل وصفق بقوة:

- برافو يا فارس.

صحت بخوف وظللت أتمتم بفزع وهو يردد:

- الطريق اترسم يا فارس.

دسست رأسي بين ركبتي في خوف وظللت أبكي كطفل لقيط.. كنت في حالة هستيرية ولم أستيقظ إلا وعم سالم والجيران أمامي يحاولون إغاثتي بعدما كسروا باب الشقة.. صرخاتي أيقظت كل سكان العمارة.. شعرت بمن يربت على كتفي. فنظرت بعين نحلت من الخوف والبكاء..

كان عم سالم الذي حاول تهدئتي قائلًا:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. اهدا يا فارس يا ابني.

نظرت في أعين الجيران بين الهمهمات ونظرات الشفقة التي لازمتهم والكلمات التي تحاول تهدئتي بين الحين والآخر..

* * *

الأحد 13 يناير...

الساعة العاشرة صباحًا..

رهاب الأماكن المغلقة ونقص الأكسجين متلازمة فارس حسين.. كان المصعد متجهًا نحو الطابق الخامس في مبنى الجريدة.. وقفت أمام مرآة المصعد أهندم ملابسي لأبدو متأنقًا.. نفاق المظهر الخارجي يخفي مكنون المعاناة الداخلية.. ارتديت حلتي الرسمية ذات اللون الكحلي.. قميص أبيض مفتوح الأزرار العلوية.. شعر مهندم مصفف إلى الوراء، ولحية كثة مهذبة بقليل من الشعرات البيضاء أسفل الذقن..

عطري النفاذ hugo boss قد طغى على رائحة العرق التي علقت بالمصعد لأيام.. أحمل في يدي اليمنى السجائر والهاتف ومفاتيح السيارة.. وباليد اليسرى أرتدي ساعةrado ..

نظارات ريبان شمسية aviator معلقة في القميص..

وصل المصعد الطابق الخامس وثوان حتى فتح باب المصعد لأمضي في الممر الطولي بخطوات واثقة وبسمة مصطنعة نحو الباب الزجاجي المفتوح على مصراعيه آخر الممر.. تقدَّمت من الباب ناظرًا أمامي بعين واثقة تخفي بين طياتها رعبًا وألمًا دفينًا.. أمضي في الممر الطولي وعن يساري قسم الفن.. دائمًا الفن أولًا كما كان يقول أستاذ عاطف رئيس التحرير.. القاعة تظهر من النافذة الزجاجية الكبيرة.. الزملاء يجلسون على مكاتبهم المتوازية أمامهم أجهزة كمبيوتر كثيرة.. اختلست النظر لهم ولكنهم شعروا بوجودي فتحولت النظرات ناحيتي، وجميعها كانت نظرات عطف وودٍ مصطنع.. أشار لي بعضهم فأومأت برأسي وابتسمت بهدوء.. تقدمت نحو قسم الحوادث بعد بضعة مترات على ذات الصف، ولم يفرق كثيرًا في وصفه إلا أن الزملاء لم يلحظوا عودتي لانشغالهم بالعمل، وهذا أفضل لي؛ لأن قسم التحقيقات

الذي أرأسه يعمل مع قسم الحوادث في قالب واحد، ولدي الكثير من الأصدقاء المتطفلين.. أسرعت الخطى حتى لا يلاحظني أحدهم وتقدمت مترات لأصل لقسم التحقيقات.. لافتة كبيرة تحمل اسم قسم التحقيقات.. الزملاء يظهرون من النافذة الزجاجية في حالة من الكساد والكسل عن العمل.. عدد الموظفين في قسم التحقيقات لا يتجاوز عشرة موظفين؛ لأن العمل كنت أقوم به بنفسي، وأغلب الزملاء في القسم تلامذتي.. لا يتعلمون ولا يفقهون شيئًا.. شعرت بقليل من الغضب عندما كنت واقفًا أمام الباب ولم يلحظ أحدهم وجودي لبلادتهم، وكما يقال إن غاب القط. من لا يعرفني فأنا حازم في العمل سليط اللسان، لا يتحمل العمل معي إلا من كانت لديه فطنة وذكاء حاد..

فتحت الباب بقوة ليث مفترس.. القاعة من الداخل صغيرة، تحتوي على خمسة مكاتب تقترب من جدرانها ثلاثة مكاتب على الجانب الأيسر ومكتبين على الجانب الأيمن.. وقف الزملاء احترامًا وخوفًا فرمقتهم بنظرات واثقة لثوانٍ قبل أن أردف بغضب:

- الله على الشغل الجميل. يعني أنا آخد شهرين مرضي أرجع ألاقي حضراتكم بتلعبوا في الموبايلات.

اقترب مني محمد بود وهو بمثابة ساعدي الأيمن.. شاب مكافح أتى من الريف ليحقق حلمه ويصبح صحفيًا وكنت أشفق عليه. شاب هادئ الطبع قليل الكلام وخجول ومهذب.. يرتدي الزي الرسمي للعمل قميص وبنطال وبلوفر ماركة رديئة تنم عن مستواه المادي المتواضع..

مدَّ يده لمصافحتي بخجل ثم قال:

- حمد الله على سلامتك يا أستاذ فارس.

فصافحته ببرود:

- إزيك يا محمد؟ تقدر تقول لي إيه اللي أنا شايفه دا؟!

أردف بخجل:

- والله القسم من غيرك باظ خالص، وتقريباً مافيش شغل.

- مافيش شغل! مافيش حوادث! إزاي طيب؟ هو البلد فيها غير الحوادث والتحقيقات! خلاص الناس ربنا هداها؟! اقعد يا محمد، حسابكم معايا لما آجي. أنا داخل لأستاذ عاطف وجاي.

غادرت وصفعت الباب خلفي بقوة تاركًا أمارات الترقب في أعينهم.. ومشيت خطوات متحفزة ثم اتخذت الممرّ على يساري وفي نهايته مكتب أستاذ عاطف.. دلفت ردهة الاستقبال في نهاية الممر لأجد السكرتيرة تجلس على مكتب اليمين.. تعبث بالأوراق وتتظاهر بالعمل.. عينة النساء اللواتي يهواهن أستاذ عاطف.. ممشوقة القوام.. بارزة الجسد.. لا تتمتع بقدر عالٍ من الجمال ولكن لديها مواصفات جسدية كفيلة بأن تصبح سكرتيرةَ عاطف.. ميرفت كاللهيب والنار المستعرة.. لديها امتيازات تفوق كل العاملين بالجريدة.. تقرّبت مني من قبل لكنها ليست نوعي المفضل فأصبحت علاقتنا كندين.. لا تبتسم لي ولا تملك إيذائي وإن ملكت طردها لفعلت اليوم مع تلك النظرات الثاقبة والعينين اللتين تلمعان بالترقب الذي بادرتني به بعد أن شعرت بوجودي..

تقدّمت من باب الغرفة فقالت بحزم:

- أستاذ فارس، لو سمحت أستاذ عاطف معاه مكالمة شخصية. ممكن تستنى شوية؟

فرمقتها بثبات وقلت:

- أنتِ عرفتِ ازاي؟ هو أنتِ كنتِ معاه جوّاً!

قالتَ بغضب:

- قصدك إيه؟

- قصدي ركزي في شغلك.

ثم فتحت الباب بقوة تاركها تتمتم.. كان عاطف يجلس على المكتب لا يفعل شيئًا كعادته.. رجل أصلع قصير القامة.. ممتلئ الجسد ومترهل..

يرتدي نظارات طبية.. متأنق الملبس دائمًا ويحب الماركات.. منتفع منتفع منتفع.. من النوع الذي ليس لديه مبدأ سوى التقرب من السلطة.. يفعل أي شيء لأجل أن يحصل على تذكرة عبور في إحدى الفضائيات.. لعل شخصيته هذه ساعدته ليصبح في هذا المكان.. لا يملك أدنى موهبة ولا رؤية في إدارة الجريدة؛ بل كان يعمل بتوجهات مني.. لذلك لم يستطع رفض طلب الإجازة.. لديه علاقات قوية بكبار الشخصيات وربما هذا نفعه الوحيد.. كان يتقرب مني دائمًا ويفعل أي شيء ليحظى بمحبتي لما قدمته من إسهامات جعلت الجريدة تحقق مبيعات ضخمة مع قرب اختفاء الصحافة الورقية..

رآني فابتسم ببلادة وود مصطنع.. تقدمت خطوات من المكتب حتى اقتربت منه فقام وصافحني بحرارة ثم جلس مرتطمًا بقوة بالكرسي الجلدي الوثير وأشار لي بالجلوس.. لاحظت أن اللافتة التي تحمل اسمه وتتوسط المكتب وضعت بشكل مقلوب، فعدلت وضعها مبتسمًا ثم أخرجت سيجارة أشعلتها بعد أن جلست..

قال بودٍّ:

- أظن كدا نخلي بالنا من شغلنا بقى يا فارس.

فأردفت بسخرية:

- أنت مش واخد بالك إن اليافتة اللي عليها اسمك محطوطة غلط يا عاطف. هي ميرفت مش بتاخد بالها منك ولا إيه؟

- هو أنت كل ما تدخل لي تقول الكلمتين دول! بعدين دا شغل عم عوض الساعي والراجل كبر ونظره ضعف.

فأضفت بسخرية:

- وأنت ما اخدتش بالك برضه؟ إيه كبرت أنت كمان؟

- أنا صحتي حديد لكن مشغول بموضوع كبير قووي وكويس إنك جيت عشان كنت هاكلمك عليه.

قلت بلا مبالاة وأنا أزفر الدخان بقوة:
- إيه؟ جايب لي عروسة؟!
ابتسم وأردف:
- لا مش باهزر. نور رحال.
- الممثلة؟
- آها.
- ما لها؟!
فقال بأسى:
- جا لي خبر إنها انتحرت النهار دا الفجر.
قلت بضيق:
- لا حول ولا قوة إلا بالله. أنا أعرف رشاد عبد التواب جوزها بشكل شخصي.
- عندي علم، عشان كدا عايزك تروح تستفهم إيه اللي حصل لأن أنا عندي معلومات غريبة عن الموضوع دا.
أردفت بتحفز بعد أن أطفأت السيجارة:
- غريبة ازاي؟!
- نور قبل ما تنتحر بكام شهر دخلت في مود اكتئاب حاد. كانت بتشوف خيالات غريبة. وتحس إن فيه ناس بتراقبها، وبعد كدا اتطور الموضوع وظهرت عليها أعراض غريبة، شعر راسها بيقع. ظهرت تجاعيد في وشها وجلدها كله. ضهرها اتقوس وضعفت جدًّا وسنانها وقعت كلها. الحالة الغريبة دي ما كانش حد يعرف عنها حاجة لحد ما راحت لدكتور تكشف، ما عرفش يحدد إيه اللي حصل. كل الدكاترة الكبار اللي كشفوا عليها قالوا إن مافيش أي مرض ولا فيرس في جسمها. كانت حالة غريبة جدًّا بالنسبة لهم. التفسير اللي قالوه تقدم في السن بس بطريقة سريعة جدًّا، كأن الكام شهر دول مروا عليها وكأنهم 40 سنة.

جحظت عيني من الدهشة وأردفت:

- وبعدين؟!

- لا طب نفسي عرف يوصل لتشخيص للحالة ولا طب عضوي، وانتهى الموضوع إنها رمت نفسها في بسين الفيلا وغرقت.

تناولت سيجارة أخرى أشعلتها ثم تابعت:

- طب انت عرفت المعلومات دي ازاي؟!

- عصام تيمور مدير أعمالها قال لي كل الأخبار دي، وبعدين الكلام كتر وفيه ناس كتير عرفت القصة. اللي ما حدش يعرفه بقى أنت اللي هتجيبهولي من رشاد جوزها.

تذكرت ما قاله دكتور إبراهيم عن العقار FD11.. قمت من الكرسي وغادرت الغرفة بينما كان عاطف ينادي لكن لم أعره اهتمامًا..

* * *

الساعة 9 مساءً..

قبل ساعتين تحدثت إلى رشاد في الهاتف لواجب العزاء وأخبرته أنني أريد التحدث معه بشأن مرض زوجته.. كان الرفض قاطعًا في بادئ الأمر حتى وجدت حيلة لإقناعه بأن لدي أحد الرفقاء يمرّ بهذا الأمر.. وافق بتردد وكأنه أراد أن يسألني هو.. أراد أن يعلم سرّ هذا المرض مني.. وتمنى أن يجد الأطباء له علاجًا أو تشخيصًا للمرض.. مدة الإصابة بالمرض لا تسمح بإجراء التجارب على المريض لقصر فترة الإصابة ثم الموت الحتمي كما قال عاطف.. هذا إن اعتبرناه مرضًا.. أظن أن العقار له دور فيما حدث..

رشاد شخص هادئ وقور.. إعلامي محترف يملك أحد برامج **talk show** ذائعة الصيت التي ينتظرها الجمهور يوميًا بعد العاشرة مساءً.. عملنا معًا لعام كامل وكنت مسؤولًا عن إعداد الحلقات اليومية.. دفعته ليحقق نجاحات عدة وشعر بالجميل، ربما لذلك وافق على مقابلتي.. وسيم

ورياضي.. واثق ومهذب.. قليل الكلام.. عيناه تلمعان ببهجة مصطنعة كإعلامي اعتاد ذلك.. رشاد صاحب كاريزما من نوع خاص يجذب الفتيات كمغناطيس ولكنه لا يأبه بأمرهن لإخلاصه لزوجته..

أدرت عجلة القيادة بانسيابية ورفق يسارًا ورفعت قدمي قليلًا لأخفف الضغط على البنزين لتهدأ سرعة السيارة في هذا الملف.. بعد أن عبرته عدلت وضع عجلة القيادة وزدت السرعة.. الطريق مستقيم، مكون من أربع حارات في أطراف مدينة الشيخ زايد.. صف مليء بالفيلات عن يميني وعن يساري الطريق العكسي.. زدت السرعة مع خلو الطريق من السيارات.. الفيلا تبتعد مسافة قليلة، ربما أقل من كيلومترٍ.. أبطأت سرعة السيارة ونظرت عن يميني حتى وجدت الفيلا.. الفيلا رقم 18 ولافتة كبيرة على يمين الباب الحديدي الضخم "فيلا رشاد عبد التواب"..

صففت السيارة على جانب الطريق وترجّلت بخطوات مسرعة متحفزة بعد أن أغلقت باب السيارة.. اقتربت من الباب وطرقت الباب بقوة ففتح رجل يرتدي جلبابًا ويحمل سلاحًا آليّا روسيّا سريع الطلقات.. لون بشرته داكنة وله شارب غليظ.. قسماته غليظة لم تناسب طريقة حديثه عندما تحدث قائلًا..

- أيوة يا أستاذ.

- أستاذ رشاد موجود؟ أنا عندي ميعاد معاه. قل له فارس حسين.

فابتسم بود:

- اتفضل أستاذ فارس هو في انتظارك جوّا.

فتح الباب الحديدي ودلفت نحو الداخل عابرًا الحديقة.. كان رشاد يجلس على ترابيزة بالقرب من البسين.. يرتدي ملابس الخروج، بنطالًا جينز وجاكيت جلديًّا.. علت الإضاءة وزادت مع أعمدة النور المتناثرة في الحديقة.. يجلس وحيدًا يحملق في الماء بثبات.. اغرورقت عيناه بالدموع

المتحجرة.. عيناه حمراوان من البكاء.. لم ينتبه لوجودي حتى اقتربت منه وقلت بود وحزن مصطنع:

- أستاذ رشاد.

ثبت عينيه عليّ ثم أردف:

- اقعد يا أستاذ فارس.

ثم أشار لي بالجلوس على كرسي في مواجهته فجلست وأخرجت سجائري لأشعل واحدة ثم ناولته واحدة رفضها بشدة فوضعت أغراضي على الترابيزة وأردفت بود:

- أنا آسف على اللي حصل. الفنانة كانت من الشخصيات المحترمة..

- الحمد لله إنها ماتت، ما كنتش قادر أشوفها كدا.

ثم صمت لثوان وهو يحاول تمالك نفسه من البكاء وتابع:

- تشرب إيه؟

- لأ مش جاي أشرب. هو الكلام اللي اتقال عن حالتها دا حقيقي؟

انفجر بالبكاء وأردف:

- عملنا كل حاجة يا فارس، لدرجة إني صدقت إن ممكن دجال يشفيها. مش معقول! اشمعنى هي؟!. في 100 مليون في مصر، ليه مراتي دونًا عن الناس اللي يحصل لها كدا؟ الفلوس ما كانش ليها أي لازمة ولا قدرت أعالجها.

أومأت برأسي في أسى وأردفت:

- هو إيه اللي حصل؟

- من حوالي أربع شهور صحيت في يوم لقيت كام خصلة من شعرها وقعت، طبعًا راحت لدكتور اداها علاج، ومع الوقت الحالة بدأت تزيد. التجاعيد بدأت تظهر في وشها....

قاطعته وأنا أطفئ سيجارتي في العشب أسفل قدمي:

- هي كانت بتعاني من حاجة نفسية؟
- من سنة وهي دخلت حالة اكتئاب حاد، وكانت بتاخد أدوية كتير كلها ما جابتش نتيجة.
- طب مش ممكن يكون دا فيروس؟!
- ما حدش قدر يكتشف أي حاجة. لما عجز الطب رُحت لعرافين ودجالين وما حدش عرف يفيدني برضه، كله بص للفلوس.
ثم تابع:
- أنت قُلت لي إنك تعرف حد مر بنفس الحالة؟
- آها، بس هو للأسف مش في مصر، فكنت عايز أفهم منك أبعاد الموضوع. هو حقيقي الدكاترة فسروا دا إنه حالة متقدمة جدًّا من التطور الجيني سببت سرعة ظهور أعراض الشيخوخة؟
أومأ برأسه فتابعت:
- طب أنا مضطر أستأذن دلوقتي. هاكلمك قريب لو اكتشفت حاجة.
- آجي أوصلك؟
قلت مبتسمًا:
- خليك زي ما انت، أنا عارف الطريق. البقاء لله، ربنا يعينك يا رشاد.
قمت من الكرسي متوجهًا نحو باب الفيلا.. زاد الرعب بداخلي وتذكرت ما قاله إبراهيم كأنه أمامي.. شعرت بأن الدائرة تضيق حولي وهناك مسؤولية فرضت عليّ..

❋ ❋ ❋

-2-

جميع الحبكات محاكاة للقدر، والعقل قاصر على كتابة الحبكة الكاملة.. سيترك جزءًا لصدف تخالف القدر..

شفتان يابستان كينبوع ماء جفَّ وتحجرت أرضه.. عينان زائغتان شاخصتان.. أنامل مرتعشة ويد أثلجها البرد القارس.. ما زال العطر يقاوم رائحة الكحول، والعفن ويتصارع لكنه خسر أخيرًا بعد معركة دامت بقدر ارتداد الطرف.. أصدرت صفيرًا بصوت عذب محاولًا تقليد تلك الموسيقا التي سمعتها في الفيديو وكانت تتردد في أذني طوال اليوم.. قدماي تؤلماني بشدة وأكاد لا أستطيع الوقوف عليهما..

حمدت الله أن عم سالم لم يرني في مدخل العمارة ولا أحد الجيران.. شعرت بالخجل مما حدث البارحة، لذا تعمدت أن أتأخر كثيرًا حتى تنام الأعين وتخفت الهمهمات.. الساعة الآن الثانية صباحًا وأقف أمام باب غرفة نومي متكاسلًا بعد أن أشعلت جميع مصابيح الشقة..

أدرت مقبض الباب برفق ثم دلفت الغرفة العفنة الغارقة في ظلام حالك.. تناسيت ما حدث البارحة، بل التعب أنساني لأعقد العزم على الخوض في غمار النوم العميق.. عبرت نحو الداخل بجفنين مثقلين يقاومان النوم.. اقتربت من مفتاح الضوء وأشعلته.. استدرت لأنظر إلى سريري القابع في منتصف الغرفة وخلفه نافذة مفتوحة يعبر منها تيار هواء وبرد قارس.. جحظت عيناي ونسيت أمر النوم عندما نظرت له.. ممدد فوق السرير، يضع قدمًا فوق قدم.. ما زال يرتدي ذات الحلة الرسمية.. لم يعتدل عندما علم بقدومي واكتفى بكلمات مقتضبة..

- حمد الله على السلامة يا فارس. مستنيك من بدري.

تمالكت رعبي وأردفت بتحدٍّ:

- أنت مش موجود أنا عارف.

فاعتدل وجلس على حافة السرير:

- مع إن مصلحتك إني أبقى موجود.

- ليه؟!

فقام ووقف بجانب السرير ينظر لي بشفقة:

- لأن نور قبل ما يحصل لها كدا كانت بتشوف خيالات وناس بتكلمها. يبقى أفضل إني أكون موجود عشان تطمن على نفسك.

ثم تقدَّم خطوات وأردف:

- وبعدين مش عيب واحد صحفي كبير وغني زيك يسكن في الشقة الحقيرة دي؟!

قلت بضيق:

- أنت عايز إيه؟

- شُفت؟ اعترفت إني موجود أهو.

كررت ما قلته بصياح:

- أنت عايز إيه؟

- لو عُزت تشوف تطور الحالة قدامك على الطبيعة وتعرف إيه اللي حصل لنور روحِ شغل الفيديو حالًا.

قلت متحديًا:

- مش هاشغل حاجة.

- ولا تزعل نفسك، أشغل أنا.

ثم تقدَّم نحوي ببطء فابتعدت واقتربت من الجدار. أردف وهو ينظر لي بخبث:

- إيه خايف؟ هتصوت زي امبارح !!

عبر الباب وبعد عدة ثوانٍ اقتربت من باب الغرفة أختلس النظر، لكن لم يكن أحد في الصالة.. خرجت من الغرفة وتوجهت ناحية اللاب توب.. جلست على الترابيزة وضغطت زر التشغيل.. شغلت الفيديو لتبدأ المقدمة ويظهر فيديو آخر لنور..

المكان غرفة نوم وثيرة، يتوسطها سرير ضخم فرش بعناية، على الجانب الأيسر منه كومود والأيمن كذلك.. دولاب ضخم في المقابل يقترب من الجدار، وتسريحة أمام السرير على يسار الكاميرا.. الكاميرا تظهر الغرفة من أعلى بمنظور أفقي واسع، وعلى يسارها السرير ويمينها التسريحة وخلفهما الدولاب.. جلست نور أمام المرآة على كرسي وتحملق بثبات في وجهها.. تحركت الكاميرا وكأنها تصور أحد مشاهدها حتى رأيت صورة وجهها في المرآة، لكن لم أرَ انعكاس الكاميرا خلفها..

ارتدت قميص نوم شفاف أظهر جسدها شبه العاري الذي بالكاد لم يختفي منه سوى موضع عورتها.. كانت جميلة كبدر مكتمل.. عينان زرقاوان تشعان غرورًا أنثويًّا، وبشرة بيضاء كالثلج.. أنف مستقيم وحواجب خفيفة طويلة رسمت بعناية.. وجه متناسق الملامح ومكتمل الحسن.. جسد نحيل لكن برزت مفاتنه.. جسد عارضة أزياء وفنانة مشهورة..

بعد ثوانٍ ظهرت بوجهها التجاعيد وجسدها أيضًا.. أسنانها تختفي ببطء.. خصلاتها الداكنة تحولت للون الأبيض وسقط أغلبها.. تقوس ظهرها وهزل جسدها.. حملقت في المرآة وبكت بقوة.. أطفئ الفيديو دون فعل أي شيء..

رنَّ صوت في أذني:

- كانت طيبة، ما فهمتش الحكمة من الحياة!

تفحصت بعيني الصالة. لا شيء يذكر غير الهدوء حتى عاد الصوت:

- الحكمة اللي ما حدش عارف يفهمها، إننا اتخلقنا عشان نتأقلم. للأسف ما قدرتش تتأقلم مع اللي حصل لها زيك يا فارس بالظبط.

صمت الصوت تاركني بعين ثاقبة شاخصة شاردة.. أشعلت سيجارة حشيش وأخذت أنفاسًا متتابعة منها..

* * *

الساعة الثانية مساءً..

وقفت أمام باب المكتب ولكن هذه المرة لم أكن متأنقًا بعد أن نمت بملابسي البارحة.. وصلة من السباب واللعنات انتهت توًا بيني وبين أستاذ عاطف كانت نهايتها أنني ذهبت لموعد مهم بشأن موت نور.. انتهى كل شيء وتودد لي كما يفعل.. لم أستطع النوم جيدًا ولازمتني الكوابيس، واستيقظت متخذًا قرارًا أعجب ما يكون، ألا وهو مقابلة تامر.. دخل العسكري المكتب منذ ثوان ليخبره أنني أتيت لزيارته.. ظللت أقف أمام المكتب ونظرات الأمناء تحملق فيّ بفضول أثناء عبور البعض لصعود السلم على يساري الذي يبتعد بضعة خطوات.. خرج العسكري وأشار لي أن أدخل وهو يقف قابضًا على الباب.. دلفت الغرفة وأغلق الباب خلفي.. غرفة متواضعة بيضاء الجدران بها مكتب خشبي صغير تتوسطه لافتة تحمل اسم "تامر همّام الرفاعي" وبأسفلها ضابط شرطة.. دولاب قزم على يسار المكتب.. ونافذة مفتوحة على مصراعيها يمين المكتب..

جلس تامر أمام مكتبه المتواضع يتناول سيجارة بشراهة.. ما زال على حالته يرتدي القميص الأبيض.. وضع يُنبئ بأنه ضابط شرطة شريف.. ولا يهتم بالمظهر بقدر اهتمامه بعمله.. لكن اهتمامه بنوع سجائره هو جزء من العمل -ماركة Marlboro..- أعقاب سجائر كثيرة أمامه في المطفأة تشي بإدمانه للتبغ..

ابتسم لي بود وخبث ثم قام من المكتب عندما اقتربت منه وصافحني بود:

- اقعد يا أستاذ فارس.

وأضاف ونحن نجلس:

- أنا آسف على طريقتي معاك. أنا هاشرب قهوة، العيال بتوع البوفيه بيعملوا قهوة كويسة هنا. نخليهم اتنين زيادة؟

أومأت برأسي وقلت ساخراً:

- هو فيه ظابط شرطة بيعتذر؟ !

ضحك ببلادة وأردف:

- لو كان لسّا جديد زيي كدا. خير فيه إيه؟

- بص أنا مش هاطول عليك. أنا عايز أعرف تحرياتك وصلت لإيه عن إبراهيم؟

قال بسخرية بعد أن زمَّ شفتيه:

- وسيادتك وكيل نيابة ولا عايز تعمل سبق صحفي على قفايا؟ !

- لأ، أنا لا دا ولا دا.

ثم نظرت له بعمق وتابعت:

- تعرف حادثة نور رحال؟

- ما لها؟!

- أكيد سمعت عن اللي حصل لها قبل ما تموت.

قال بلا مبالاة:

- وإيه علاقتها بإبراهيم؟

- بص يا تامر بيه. أنا هافهمك كل حاجة بس توعدني إنك تساعدني. لو فعلًا عايز تخدم البلد.

ضحك وقال بسخرية:

- لا شكل الموضوع كبير، إحنا نشرب القهوة، بس يا ريت ما تطولش لأن عندي شغل.

- من غير ما أطول، اللي حصل إن إبراهيم اتكلم معايا عن عقار بيسبب حالة الشيخوخة اللي حصلت لنور دي. وانهم كانوا بيجروا تجارب على أطفال كتير، وإن العقار دا موجود فعلًا دلوقت. عشان كدا أنا جيت أسألك

عنه؛ لأني عايز أعرف حد من قرايبه أو حد بيثق فيه يكون كلمه في حاجة. عشان نلحق الكارثة قبل ما تحصل.

حملق فيّ بذهول:

- إحنا كانت أكتر البلاغات الفترة اللي فاتت عن اختفاء أطفال وللأسف لا لقينا جثث ولا لقيناهم.

- دا بيأكد لك كلامي. أنا عايز أعرف كل حاجة عن إبراهيم.

فأشعل سيجارة وناولني واحدة ثم أردف بعد أن اتكأ على المكتب وزفر نفسًا بقوة:

- لكن إبراهيم ما كانش له حد غير أخ، وما كانش يعرف حاجة عنه فعلًا؛ لأن علاقتهم انقطعت من أكتر من عشر سنين.

- عايز أقابله.

قام وهو يقول:

- يلا بينا.

- طب والشغل؟

أردف بحزم:

- دا شغل يا أستاذ فارس. لو ما جيتش معاك مش هتاخد منه لا حق ولا باطل. أصل دا راجل مش سهل.

* * *

طرق الباب بقوة ثم نظر لي مبتسمًا.. بعد ثوانٍ فتح الباب وظهر رجل أصلع أربعيني.. يرتدي ملابس منزلية متواضعة. بيجامة سوداء.. ما إن رأى وجه تامر حتى جحظت عيناه بخوف.. عيناه غائرتان وكث اللحية.. لا يمتلك أدنى معايير الوسامة بذلك الجسد المترهل.. ظل يرمقنا بعينيه بثبات لعدة ثوان حتى قاطع تامر الصمت.

- مش هتقول لنا اتفضلوا يا منتصر؟!

فأردف بخوف:

- هو مش القضية اتقفلت وحضرتك اتأكدت إني ما اعرفش حاجة؟

قال تامر بسخرية:

- وحشتني، جيت أشوفك.

قال وهو يفسح الطريق بتردد:

- اتفضلوا.

دلفنا داخل الشقة، وكان صالون استقبال متواضع ومنعزل عن الشقة خلف الباب.. تقدمنا وجلسنا على أريكة ثم أغلق الباب وجلس على كرسي في مواجهتنا..

لم ينظر لنا وظل يتحاشى النظر حتى أردف تامر:

- جاوب على اللي أستاذ فارس هيسألهولك.

- أنا قُلت ما اعرفش حاجة.

قلت بود:

- بص يا أستاذ منتصر. المرحوم كنت سايب معاه حاجات مهمة. هو ما سابلكش حاجة أو كلمك في أي حاجة؟

أردف بضيق:

- يا بيه أنا والله ما شُفته من عشر سنين. الله يرحمه كان نابه أزرق وما كانش له عزيز.

صاح فيه تامر بغضب:

- منتصر، عايز تبات في الحجز النهار دا؟ اتكلم عدل.

قال بغضب وتوسل:

- هو ما كانش بييجي من وراه غير المشاكل. أنا عايز أربي عيالي.

أردف تامر بغضب:

- لا أنت كدا لازم آخدك معايا.

تابع مستعطفًا:

- يا تامر بيه. أقسم بالله أنا ما أعرف حاجة عنه غير حاجة ما اظنش إنها هتكون مفيدة.

قلت بتحفز:

- إيه؟
- الله يرحمه كان في مدرسة داخلي لذوي الاحتياجات الخاصة، كان عنده توحد واضطرابات في السلوك. بعد كدا خرج وبقى متفوق في الدراسة. أبويا الله يرحمه كان بيحبه أكتر مني، والموضوع دا منع إننا نتكلم فيه.
ثم صمت وهلة وأردف بنبرات باكية:
- أنا عندي عيال عايز أربيها.
تبادلت مع تامر نظرات الحيرة وأردفت:
- يعني المرحوم كان عنده توحد واضطرابات نفسية وربنا شفاه؟
- والله دا اللي حصل يا باشا، حتى هو أحيانًا كان بيتصرف تصرفات غريبة.
قلت بتحفز:
- زي إيه؟
- أحيانًا كان يخاف من الناس ويقعد أيام قافل أوضته عليه. يكلم ناس مش موجودة. يبكي زي الأطفال أحيانًا وأوقات تانية كان يبقى في قمة العقل والهدوء.
قال تامر بغضب:
- وانت ما قُلتش الكلام دا في التحقيقات ليه؟!
- ما كانش هيفيد يا باشا.
فتابع تامر غاضبا:
- يعني مش مخبي حاجة تانية؟!
- والله دا كل حاجة.
ثم قام وقال بغضب:
- يلا يا أستاذ فارس.
قمت وتوجهنا مغادرين الشقة بعد أن تملكت مني الحيرة.. تامر كان مثلي لكن قسمات ضابط الشرطة وملامحه الجامدة لم تظهر شيئًا.. بعد أن خرجنا من الشقة، ونحن ننزل درجات السلم قال دون أن يلتفت لي..

- الواد دا ما يعرفش حاجة تاني، بس أنا مش هاسكت.
قلت بفضول:
- أنت مصدقني؟
- الكلام اللي قُلته مع البلاغات اللي شُفتها يخلوني أصدقك.
* * *
صمت الشارع إلا من أصوات مواء القطط والهمهمات الخافتة.. الإضاءة بالكاد تكفي لرؤية مدخل العمارة.. صففت سيارتي في موضعها وتقدمت نحو مدخل العمارة بخطى مثقلة.. كان المدخل خاليًا وعم سالم لم يجلس مثلما اعتاد ذلك.. صعدت السلَّم بهدوء حتى وصلت باب الشقة.. سلة القمامة خالية أسفل قدمي، ورائحة معطر قوي غزت الطابق الذي أسكن فيه.. ربما عم سالم قد فعل ذلك وشعر بالتعب لذا نام على غير عادته.. الساعة الآن الواحدة صباحًا.. كان لدي يوم حافل من مقابلة منتصر، ثم الذهاب للجريدة والجلوس برفقة عمر على المقهى..
أدرت مقبض الباب برفق.. كانت مصابيح الشقة مشتعلة والصالة منظمة تخلو من الفوضى.. تعجبت قليلًا والتعب أنساني أي تفسير لأدلف وأغلق الباب خلفي.. رائحة عطر نفاذ ملأت أنفي.. السجاد منظف جيدًا والصالون أمامي كذلك.. اللاب توب مغلق وموضوع على الترابيزة.. أضواء غرفة نومي مشتعلة وهناك صوت بالداخل.. ظهرت أمامي تستند على باب غرفة النوم.. زمت شفتيها برفق.. عيناها تلمعان بالشوق.. ابتسمت ثم مسحت على خصلاتها برفق..
تأملت جسدها وهي ترتدي قميص نوم أسود فوق الركبة بقليل.. برزت مفاتنها.. الكثير والكثير من مساحيق التبرج.. تقدمت تتمايل في مشيتها لتظهر أنوثة تذيب جبال القطبين الجليدية.. أنوثة عاهرة وجسد ينحني كأغصان أشجار العنب يتمايل ويتراقص.. حاولت التحدث قبلًا لكنني تأملتها حتى تمالكت ما بقي من أعصابي المرتعشة وقلت بصوت مبحوح متقطع:

- أنتِ دخلتِ هنا ازاي؟!. اتفضلي البسي وامشي.

اقتربتْ منيِ حتى لامس جسدها جسدي ثم وضعت يدها على صدري بعد أن فتحت أزرار قميصي:

- مش وحشاك؟

ابتلعت ريقي بتوتر:

- ملك لو سمحت اللي بيحصل دا غلط.

فضمتني بقوة وأَردفت:

- بقالك قد إيه ما لمستش ست؟!

قلت بتحدٍّ:

- أكيد مش هابقى مخلص لوحدة زيك.

تشبثت بي أكثر وأضافت:

- حد فيهم كان زي ملك؟!

ثم تابعت وهي تقرب شفتيها وتهمس في أذني:

- أنت مش عايز تفهم ليه إني بحبك؟ اللي حصل كله ما كانش ليّ دخل فيه. دي إرادة ربنا.

ثم قبلتني بقوة، حاولت التماسك لكن الصوت الذي رنَّ في أذني جعلني أستسلم لها وأقع في براثنها.. فخ لذيذ وسقوط في بئر العسل.. تذكرت كل أيامي معها.. تذكرت أنني ما زلت أحبها.. وهذا الصوت يدوي في أذني "اتأقلم يا فارس".

* * *

أطقطق بالإبهام والوسطى بيدي اليمنى فوق سطح مكتبي في الجريدة.. غرفة صغيرة ذات ألوان قاتمة تبعث الكآبة في النفس.. على الجدار يساري مكتبة ملفات ضخمة بطول الجدار، مغلقة بمفاتيح وحدي أملكها.. وعلى يميني أريكة جلدية كانت تكفي جسدي لآخذ قيلولة، وأحيانًا لجلوس بعض الزملاء عليها للتشاور بشأن العمل.. حزمة ملفات ضخمة فوق المكتب على

اليمين.. يسارًا شاشة كمبيوتر ضخمة قد جار عليها الزمن.. سيل من الدخان ملأ الغرفة قليلة التهوية.. التكييف لا يعمل بحجة التقشف وتدبر النفقات.. أشعر بأن جسدي يعتصر عرقًا رغم جلوسي بقميص وبنطال والجاكيت ألقيته على الأريكة أمامي..

آخذ نفسًا بعمق وأزفره بقوة.. أفكر فيما حدث البارحة.. تناولت جرعة نبيذ فتكت بي ما زلت لم أفق من سكراتها، وعدت شابًّا يافعًا بعد أن نسيت أمر النساء.. ملك استطاعت أن تفعل ما كانت تصبو إليه.. فرس جامح يركض في دمائي.. تملكت مني بطرفة عين، ولا أزال أتذكر كلماتي لها قبل أن أحضر لمبنى الجريدة.. قلت أنني أحبها.. تناسيت أمر رحيم وكل شيء وتذكرت أنها أمامي.. ما زلت أحبها رغم ما حدث.. تسري في دمائي ولم أكرهها حتى الآن.. التأقلم على عاداتها كان الخطأ، ولكن التأقلم يجعلنا نحيا مثل الزومبي.. موتى أحياء عصفت بهم الحياة وقادتهم نحو القدر الحتمي..

الحياة قادرة على أن تنسيك ما تصبو إليه، وتبحر في محيط التأقلم لتعيش كدابة لا نفع لها.

فُتح باب المكتب بقوة.. صفعة قوية أصدرت صوتًا عاليًا عندما ارتطم الباب بالحائط.. كان عاطف وعيناه تشعان غضبًا.. غير مهندم الملبس ورائحة عرقه نفاذة.. حملق في بغضب وتنمر ثم دلف ببطء وأغلق الباب.. تقدم بوهن بفعل جسده المترهل.. شحوم متراكمة وكومة من اللحم تقترب مني.. شعرت بقليل من القلق لكني نظرت له بثبات وقلت بغضب:

- إيه الطريقة دي يا عاطف؟!

أردف وهو يجلس على كرسي أمام المكتب:

- اتفضل شغل الميموري دا. طبعًا أنت أكيد مش هتوصل لحاجة بخصوص نور. بس أنا بقى عندي سبق ممتاز هيعمل مبيعات هايلة للجريدة.

قلت غاضبًا وأنا أطفئ السيجارة:
- فيه إيه؟ أنا مش فاهم حاجة!
- اتفضل شغل الميموري.
وضعت الميموري في الجهاز أمامي بعد ثوانٍ فُتح الميموري وظهر ملف فيديو.. قمت بتشغيله وفغر الفاه من الدهشة.. جحظت عيناي وحركت رأسي يمنة ويسرة بتعجب.. صمت وظللت على حالتي أراقب الفيديو.
المكان غرفة نوم نور التي ظهرت من قبل..
ترتدي ذات القميص ولكنها فوق السرير هذه المرّة.. كنت ممددًا بالقرب منها أرتدي بيجامة نوم.. نضحك وأحضنها بهيام وشوق ثم قبلتها.. لم أستطع النظر أكثر من ذلك وأغلقت الفيديو وما زالت قسمات وجهي على حالها حتى سمعته يقول:
- حلو الري أكشن دا. أكيد علمتك التمثيل. صعبانة عليك ومش عايز تعمل تحقيق عن حالتها، طب ورشاد جوزها ما صعبش عليك؟!
حركت رأسي يمنة ويسرة نافيًا ونظرت لعينيه:
- الفيديو دا متفبرك.
قال بسخرية:
- لا بجد؟ دا أنت حتى صحفي كبير وأكيد عارف إنه حقيقي.
- أنا مش فاكر.
ثم صمت وهلة وقلت متحديًا:
- أنت عايز إيه؟
- أنا عايزك تكتب كل اللي تعرفه عن نور. انتو كنتو مترافقين، يعني أكيد تعرف كل حاجة عنها. وإلا الفيديو دا لو نزل على النت...
قاطعته:
- لا اسمع، مش فارس حسين اللي يتهدد. أنا قُلت مش فاكر أي حاجة في الفيديو دا، وأنا فعلًا ما كنتش أعرفها..

ثم وقفت وأشرت محذرًا بيدي:

- لو فيديو زي دا اتنشر. عندي ليك مجلدات مع ميرفت. نسيت أقول لك إني عندي وسواس قهري منك وحاطط لك كاميرا في المكتب. تحب أقول لك بتبقى عامل ازاي؟!. ولا تخيل حد زيك، رئيس تحرير جريدة مشهورة زي دي الناس تعرف...

ثم أضفت بخفوت:

- إنه مازوخي.

جحظت عيناه من الدهشة ثم تابعت:

- الطريقة دي مش معايا. أنا قُلت إني مش فاكر، والتحقيق اللي طلبته هيتعمل، مش علشان خايف منك. لأن دا شغلي اللي باعرف أعمله كويس من غير نصايح واحد فاشل زيك.

قام من الكرسي ونظر لي بودٍّ:

- ماشي يا فارس.

ثم غادر المكتب بهدوء وأغلق الباب خلفه.. ظللت واقفًا في موضعي مندهشًا مما حدث، لكني ابتسمت بخبث لانتصاري عليه.. بعد لحظات جلست على كرسي المكتب.. تنهدت بعمق وزفرت زفرة حانقة.. تناولت الهاتف من سطح المكتب وبحثت في دليل الهاتف ثم ضغطت زر الاتصال.. ليأتي صوته مشوشًا وهناك الكثير من الصخب أيضًا..

قلت بضيق:

- عمر أنت فين؟

- عندي جلسة لسّا مخلصها.

- ممكن أشوفك كمان ساعة كدا؟

- ماشي أنا فاضي.

أغلقت الهاتف وألقيته على سطح المكتب وأرحت رأسي على الكرسي وبعد سويعات قمت والتقطت الجاكيت من الأريكة الجلدية وغادرت..

* * *

الساعة تجاوزت الثانية ظهراَ وانتصف النهار.. الجو مشمس قليلًا رغم الريح الهادئ الذي يحمل برودة خفيفة.. جلست على إحدى الطاولات في إحدى العبارات على النيل بالطابق الثاني.. فنجان قهوة أمامي اقترب من نهايته بعد عدة رشفات متتابعة.. والطاولات أمامي كصفين متوازيين تصنع ممرّا به سجادة طولية من الترتان الأخضر.. أجلس في الصف الأيمن على النيل مباشرة.. خلا هذا الطابق من الرواد إلا أربع طاولات كانت طاولتي واحدة منهن.. فضلت أن أجلس آخر الصف وحيدًا.. أدرت الكرسي تجاه النيل ووضعت قدمي فوق السور الحديدي بلا مبالاة.. أشعلت سيجارة وظللت على تلك الحالة أفكر فيما يحدث لي وأتأمل هدوء مياه النيل لعلها تصيبني بعدوى الهدوء وتهدئ أعصابي..

سمعت صوت عمر يقول بسخرية مازحًا:

- عبّارة على النيل. ممكن تفهمني طبيعة علاقتنا إيه بالظبط؟!

نظرت له مبتسمًا ثم اعتدلت وأشرت له:

- اقعد يا عمر.

جلس عمر ونادى بصوت جهور على النادل أن يحضر له فنجان قهوة فأضفت بلوم:

- أنت فاكر نفسك في قهوة بلدي؟ يا ابني إحنا في مكان محترم، بلاش طريقتك دي؟ دا حتى عيب ع البدلة السينييه اللي انت لابسها.

أردف ساخرًا:

- نسيب الموضوع اللي عايزني فيه ونتكلم في أسلوبي. قول كنت عايزني في إيه عشان عندي ليك أخبار حلوة ووحشة في نفس الوقت.

- عمر إحنا صحاب من إمتى؟

أجاب بتعجب:

- من زمان.

- عمري شيلتك مشاكلي؟

قال في حيرة:

- فيه إيه يا فارس؟!

- أنا ما بقيتش قادر أسكت. لازم أفضفض.

ثم تنهدت وأضفت:

- باشوف خيالات غريبة وحد بيطلع يكلمني في الشقة، والنهار دا عاطف وراني فيديو ليّ مع نور واحنا مع بعض.

- مع بعض ازاي؟!

فقلت بضيق:

- مع بعض يا عمر.

- أنت كنت على علاقة بيها؟

حركت رأسي نافيًا:

- مش فاكر.

صمت عندما كان النادل يضع فنجان القهوة وعندما غادر أشعل سيجارة وناولني واحدة رفضتها ثم أردف:

- فارس انت بتهزر صح؟!

- والله يا عمر دا اللي بيحصل.

زفر الدخان بقوة وقال قبل أن يرتشف قليلًا من القهوة:

- أنت لازم تروح لدكتور.

ثم وضع الفنجان على الطاولة وتابع:

- أعرف دكتور كويس...

قلت بضيق:

- أنا مش مجنون يا عمر.

- مين قال كدا؟! نطمن عليك بس ممكن يكون شوية توتر.

ثم تابع بجدية:
- ملك اتمسكت من تلت أيَّام بالليل. كانت سهرانة في كباريه وساقت العربية وهي سكرانة طينة واتعمل لها محضر سُكر. أنا عرفت بالصدفة لما شُفتها في النيابة

قلت بتعجب:
- وسيادة اللوا ما عرفش يعمل لها حاجة؟
- من حسن حظنا إنها ما فاقتش من اللي هي فيه غير في النيابة الصبح، ووقعت في إيد ظابط نبطشية ما يعرفش أبوه. طبعًا النيابة أخلت سبيلها بكفالة وأنا قدرت أصور القضية. هنحضر الجلسة الجاية ونقدِّم صورة المحضر للقاضي ونطلب حجز الدعوى للحكم.

ثم تنهد وأردف بتردد:
- لكن فيه حاجة.

أردفت بتحفز:
- إيه؟!!
- أستاذ رمضان المحامي بتاعها كلمني وقال لي بالحرف يا نسيب الدعوى تتشطب يا إما مش هتشوف بنتك تاني.

هززت رأسي:
- كدا عرفت ليه هي قابلتني امبارح.

نظر لي ببلاهة وأردف:
- مين اللي قابلتك؟!
- ملك.

تمتم بخفوت ثم قال:
- ملك من ساعة ما مشيت من النيابة وهي مش في القاهرة أصلًا، أبوها سفرها تقعد عند عمها في اسكندرية.

جحظت عيني وأردفت:
- انت بتقول إيه؟!

قال وهو يطفئ السيجارة:
- اللي سمعته.
- أنا لازم أمشي.

ثم غادرت بخطوات مسرعة وعمر يحاول اللحاق بي بتوتر وخوف.. أخرجت هاتفي وضغطت زر الاتصال عندما كنت أتقدَّم وأسرع خطواتي حتى وقفت في الجهة الأخرى من العبارة قبل سلَّم النزول بخطوات.. أتى صوتها خافتًا يحمل أطنانًا من اليأس والمعاناة..
- إيه يا فارس؟!
- ملك أنتِ كنتِ نايمة معايا امبارح؟!

قالت بضيق:
- فارس أنا في اسكندرية من يومين.

ثم انفجرت فيّ بغضب:
- طول عمرك شايفني واحدة شمال من الزبالة اللي كنت بتعرفهم. متصل بيّ عشان تستفزني. أنا عشت معاك مستحملة قرفك. ريحتك مقرفة وكل يوم في حضن واحدة شكل. كنت عارفة خيانتك وساكتة.

ثم بكت بقوة:
- أهلي بقوا شايفيني وحشة. أنت اللي وصلتني لكدا يا فارس. ما عرفتش تسامحني على غلطة واحدة وأنا طول عمري باعدِّي. فارس أنت مش هتاخد البت مني. دي الحاجة الوحيدة اللي ممكن تديني أمل إن الدنيا ممكن تتغير للأحسن.

ثم زاد نحيبها وبكت بصوت عالٍ حتى سمعت صوت جرس انتهاء المكالمة.. استدرت ونظرت لعمر الذي وقف مبتعدًا بضعة خطوات ثم قلت بثبات مصطنع..
- عمر أنا مش عايز البنت.

❋ ❋ ❋

-3-

ليس هينًا أن ترى القبح بداخلك لأنك ستراه في كل شيء.. أنت تخلق عالمك قبيحًا كان أو حسنًا..

سيل من الماء المتدفق الساخن ينساب بعذوبة على جسدي.. بخار ماء كثيف في الحمام.. أقف أسفل الدش مستندًا برأسي على الحائط تاركًا الماء يطفئ لهيب ما مررت به.. أحلم بأن كل شيء عاد كما كان.. أحلم بأن رحيم لم يمت.. بأنني لم أفقد ملك.. أتمنى أنني لم أكن ذلك الشخص الذي أخبرتني عنه ملك.. أنا خائن وسكير.. زير نساء وبلا مبدأ.. أنا فارس حسين المخادع بين المبادئ ولذة الأكاذيب..

أقف الآن أسفل سيل الماء متجردًا من ملابسي.. من آثامي وأكاذيبي.. أوجه جسدي إلى الحائط وأصدم رأسي به بقوة لعلني أتذكر أي شيء من هذا.. الحمام متواضع كئيب كالشقة.. تساقط دهانه بفعل الرطوبة العالية.. صغير الحجم كقبر.. المرآة في مواجهة الدش تقريبًا.. مرّت خمس عشرة دقيقة من الوقوف هكذا.. أغلقت الدش برفق وتقدَّمت نحو المرآة لأقف أنظر لوجهي وكأنني أراه لأول مرة.. أتأمله وأشرد به.. الشعرات البيضاء غزت أسفل ذقني.. لحيتي كثة وشعري قصير.. قليل من التجاعيد بالقرب من عيني.. لا داعي للمقاومة جميعنا نهرم..

الساعة الآن الخامسة صباحًا.. استيقظت باكرًا بفعل الكوابيس المرعبة التي لازمتني طوال رحلة نومي.. تناولت منشفة بالقرب من المرآة وجففت جسدي برفق.. التحفتها حول جسدي وتحركت مغادرًا الحمام.. خرجت لأجده يجلس في الصالون أمامه ترابيزة اللاب توب.. يرتدي ذات الحلَّة.. يعبث ببعض أعقاب السجائر.. نظر لي مبتسمًا وهو يتناول سيجارة ويضعها في فمه دون أن يشعلها ثم تحدث بود..

- مش كدا أحسن بزمتك؟ باحاول أقلدك بس أنا باخاف على صحتي. أنت عارف إن السجاير دي هتقتلك ومع ذلك بتشربها. منطق غريب يخليك عارف إن الموت قدامك وبتروح له. مقابل نشوة لحظية تدفع عمرك كله!

وقفت ثابتًا أنظر له بعين ثاقبة فتابع:

- تعالى يا فارس عشان تشوف نفسك على حقيقتها. تشوف أنت قد إيه كنت حقير.

صحت به:

- أنت وهم.

- وهم!

- أنا الحاجة الحقيقية الوحيدة اللي باقية في حياتك.

ثم أضاف وهو يشير بيده:

- تعالى يا فارس.

تقدَّمت مسرعًا غاضبًا واقتربت منه محاولًا الانقضاض عليه لكنه اختفى من الأريكة عندما ألقيت جسدي عليها.. اعتدلت فوجدت اللاب توب مفتوحًا على الفيديو.. الموسيقا تعلو وتزيد.. ضربات قلبي متتابعة بقوة.. تتداخل الآلات الموسيقية ويبدأ العرض..

المكان: بداخل شقة لم أراها من قبل.

الزمان: غير محدد

زاوية الرؤية أفقية واسعة..

في صالة شاسعة بشكل مستطيل.. انقسمت لجزء به سفرة كبيرة دائرية حولها ستة كراسٍ على يسار الكاميرا.. والجزء الثاني يمين الكاميرا به صالون استقبال مودرن من أريكتين وأربعة كراسٍ بشكل دائري.. جلست نور على

الأريكة أمامها ترابيزة مستطيلة، والكاميرا تقترب منها.. أظهر حاملًا بيدي فنجانين كبيرين.. أرتدي بيجامة نوم بيضاء.. أقترب من نور وأجلس بالقرب منها بعد أن أضع الفنجانين على الترابيزة.. نور بكت ونظرت لي بعينين ذابلتين تفصحان عن التوسل والألم..

بشرة عجوز ويدٌ ترتعش.. جسد هزيل فقد جماله.. فقدت أغلب أسنانها قالت بتوسل:

- فارس أنت هتسيبني؟!

أردفت بلا مبالاة:

- أنتِ مش بتشوفي نفسك في المراية؟ ربنا يستر وما يكونش القرف اللي عندك دا مُعدي.

- فارس ما تسيبنيش، أنا بحبك.

قلت بضيق:

- ما أنا بحبك. بس هنكمل سوا ازاي؟ صدقيني أنا تُبت وبطلت القرف اللي كنا بنعمله دا، وبصراحة ضميري معذبني.

قالت بصوت متقطع وهي تقبض بيديها على يدي اليمنى:

- نتجوز. ها موافق؟

أزحت يدي مقشعراً وصحت بها:

- أنتِ إيه القرف اللي بتعمليه دا؟ قُلت خلاص، تُبت.

قامتَ وهي تحمل حقيبتها ونظرت لي بعينين اغرورقتا بالدموع:

- تُبت! سامحت نفسك؟ أنا لا مسامحة نفسي ولا مسامحاك. بس اللي زيِي ما لهوش توبة، طريقه ونهايته معروفين، لكن اللي زيك لو الشيطان تاب ما يتوبش..

ثم تقدَّمت واستدارت تنظر لي بسيل من الدمع يتدفق من عينيها:

- سلام يا فارس.

- سلام يا نور.

أرحت رأسي للخلف وتناولت فنجان القهوة، أرتشف منه ببطء.

أغلق الفيديو.. الزمن دقيقتان وأربع وخمسون ثانية..
لم أشعر بضيق مما رأيت وكأنني اعتدت أن أرى القبح بداخلي..

* * *

الأربعاء 16 يناير ..

الساعة 2:56 مساءً..

وضعت الهاتف توًّا فوق سطح مكتبي في الجريدة.. أنهيت مكالمة مع رشاد أسأله بشأن أخباره وما جد من معلومات عن نور.. غصة في حلقي من تأثير السجائر.. ألم في قلبي مما رأيته بشأن نور.. أشفقت على رشاد مما فعلت معه.. ما زلت لا أصدِّق أن ما رأيته حقيقة.. أرحت رأسي مستندًا على الكرسي.. فركت عيني اليمنى ثم اليسرى.. أحاول مقاومة النعاس.. طنين حاد كتأثير تناول سيجارة عتيقة من مخدر الحشيش.. أشعر بصوت دقات عقارب الساعة على الحائط أمامي.. لامست برأسي المكتب محاولًا النوم.. اعتدلت ثانية أطقطق فقرات رقبتي.. ملل يكفي لجعلي أنام كصريع.. يزيد النعاس ويصيب الأطراف بالخدر.. نظرت لشاشة الكمبيوتر ومن ثم أشعلت سيجارة وسحبت نفسًا تبعه سعال كاد أن ينتزع رئتي من صدري..

فُتح الباب برفق ومحمد يقبض على الباب ويقف بجواره تامر.. أشرت له وقاومت النعاس فربت على كتف محمد، ثم دلف وأغلق الباب خلفه وتقدَّم ليسلِّم عليّ بقوة تناسب عضلاته المفتولة.. شعرت بأن أنامل يدي اليمنى تتهشم من قبضته.. ابتسم وعلى ما يبدو أنه لا يقصد لكن أنا من أصبحت ضعيفًا.. جلس وقال وهو ينظر لي بشفقة:

- عينك حمرا قوي يا أستاذ فارس.

ثم أضاف بعدما تفحصني ببصره:

- وإيه السواد اللي تحت عينيك دا؟ أنت بتشرب مخدرات؟!

قلت بسخرية:
- هو فيه حد مش بيشرب في البلد؟
ضحك وأردف مازحًا:
- يعني دا اعتراف إنك متعاطي. كدا أنا أقدر أحبسك.
- دا لو عرفت تكتب محضر. واحد صاحبي محامي بيقول لي إنكم مش بتعرفوا تكتبوا محاضر كويس.
زمّ شفتيه:
- المحامين آها. ما علينا، كنت جنب الجريدة قُلت أعدي أشوفك.
- شرف لِيّ يا تامر بيه. أجيب لك إيه؟
- مش هاطول، أشكرك. عرفت أوصل لشقة كان إبراهيم غالبًا بيقعد فيها.
قلت بتحفز بعدما سحبت آخر نفس وأطفأت السيجارة:
- فين؟
- مصر الجديدة، أرض الجولف.
ثم أدخل يده في جيب البنطال وأخرج ورقة ناولني إياها ثم أضاف:
- دا العنوان. ورقمي في الورقة معاك. هتعرف تروح لوحدك؟
- أكيد هاعرف.
- تمام، تخلَّص وتكلمني.
ثم قام ومدَّ يده ليصافحني وأردف:
- هاستنى تليفونك.
قمت وصافحته ثم قلت بود:
- أنا مش عارف أشكرك ازاي.
ابتسم ببرود وغادر المكتب تاركًا الباب مفتوحًا خلفه..

* * *

الساعة 11 مساءً..

صفَّ عمر السيارة على جانب الطريق الأيسر أمام العمارة التي تحمل ذات الرقم في العنوان.. الطريق بعرض عشرة أمتار مزين ببعض الأشجار على جانبيه كصفين.. سيارات صُفت بعناية على جانبي الطريق.. ظللنا نراقب مدخل العمارة لبعض من الوقت.. هدوء وسكون لا يقطعه سوى أنفاسنا وتبادل بعض كلمات مقتضبة بين الحين والآخر.. عمر أطفأ محرك السيارة وظل يعبث بمقود السيارة ويدندن لحن أغنية شعبية رديئة.. صوته يفجر رأسي ويزيد التوتر.. أشعل سيجارة وزفر أنفاسها.. رنَّ هاتفه وأجاب وبعد سويعات انفجر بالسب واللعنات على محدثه حتى أصابني بالصمم.. أغلق الهاتف ثم ترجل من السيارة ومشى خطوات كليث متحفز ثم استدار لي وقال بثقة..

- فارس يلا.

نزلت من السيارة وأغلقت الباب برفق ثم تبعته بخوف حتى اقترب من مدخل العمارة.. تقدَّم قليلًا وتفحص الداخل بنظره.. باب خشبي صغير مفتوح في مواجهتنا يبتعد مترات والأسانسير على الجانب الأيمن وبجواره السلَّم.. تقدَّم ببطء وتبعته حتى ظهر البواب وخرج من الباب الخشبي..

رجل أسود البشرة يرتدي ملابس نوم رثة.. عينان تلمعان بالطمع والفضول وحواجب بيضاء لرجل بلغ الكبر.. خمسيني متطفل.. كئيب وحاد كنصل سيف..

قال بقسمات جامدة:

- خير يا بهوات. أي خدمة؟

قال عمر بثقة:

- أنا أخو الله يرحمه دكتور إبراهيم.

- أهلًا يا باشا. البقاء لله.

فأضاف عمر وهو يدس يده في بنطاله:
- أنا عايز علبة سجاير ميريت وإزازتين بيبسي.
وتابع بعدما ناوله ورقة فئة مئتين جنيه:
- عارف هتجيبهم فين ولا نسيت الشقة؟
- طبعًا يا باشا الدور التاني شقة ستة.
- جدع، وخلي الباقي معاك هات حاجة للعيال.
غادر البواب فابتسم عمر لي بخبث، توجهنا نحو السلَّم ثم قال ونحن نصعد:
- لازم تلقطها قبل ما تطير. اتعلم بقى حاجة مني.
قلت مازحًا:
- واحنا نيجي جنبك إيه؟
وصلنا الطابق الثاني الذي انتهى بطرقة بها ثلاث شقق وكل واحدة تحمل لافتة عليها رقم.. توجه عمر نحو شقة تحمل رقم 6 في آخر الطرقة وتبعته بهدوء.. أخرج قطعة معدنية مدببة واقترب من موضع المفتاح.. ظل يعبث قليلًا حتى قاطعته بخوف..
- أنت بتعمل إيه؟
- باطفش الباب واهدا شوية عشان أركز.
قلت بضيق بصوت هامس:
- أنت محامي ولا حرامي يا ابني؟!
- لازم أتعلم حاجة من الجنائيين.
فُتح الباب ودلفنا نحو الداخل ثم أغلقت الباب خلفي.. أخرج عمر الهاتف وأشعل كشاف الضوء.. ظل يتفحص الصالة به حتى وجد مفتاح النور بالقرب مني جهة اليمين.. مددت يدي وأشعلته لنرى صالة خالية إلا من كرسي خشبي طويل ولوحات كثيرة وترابيزة صغيرة تحمل عدة رسومات بالقرب من الكرسي..

قال عمر بسخرية:

- الله يرحمه شكله كان فنان.

تقدَّمت لأنظر إلى أول لوحة على اليسار.. صورة رسمت بألوان مائية.. الخلفية حمراء داكنة.. شخص عاري الصدر يجلس في بركة دماء يحتضن طفلًا لم يظهر وجهه ويبدو أنه فارق الحياة توًا.. ينظر إلى السماء كأنه يتضرع بعينين تنزفان دموعًا حمراء.. خلفه شخص ممسوح الوجه بلا تفاصيل يشير بسبابته اليمنى نحوهما.. اقتربت أكثر من اللوحة.. نظرت بدهشة قطعها صوت عمر بصوت فاق دهشتي..

- فارس دا أنت! إيه دا؟!!

تملكني الصمت وظللت شاردًا بهذه اللوحة حتى سمعت صوت عمر ينادي بتعجب..

- فارس تعالى بسرعة. مش دا إبراهيم؟!

تقدَّمت حيث يقف عمر أمام أول لوحة جهة اليمين.. لوحة غريبة وغير نمطية.. الخلفية حمراء داكنة وبها رجل يجلس على كرسي ويرسم لوحة يظهر بها إبراهيم حاملًا اللوحة التي رأيتها من قبل في يده.. تعجبت كثيرًا مما رأيت وظللت شاردًا بها ثم قلت..

- عمر واضح إن دي رسايل بس مش فاهم معناها.

أردف بلا مبالاة:

- واضح إنه كان عنده فراغ بس تصدَّق.

ثم مدَّ يده يتحسس اللوحة وأضاف:

- كان بيعرف يرسم. خليك أنت مع اللوح دي وأنا داخل أفتش جوًا في الأوض.

ظللت شاردًا في اللوحة وغادر عمر ليفتش في الشقة حتى عاد وهو يتقدَّم ببطء ويحرك رأسه نافيًا..

- للأسف مافيش حاجة الشقة كلها على البلاط.
- يلا بينا. أنا هاخد اللوحتين دول
ثم حملت اللوحة وأشرت لعمر أن يحمل الأخرى فاقترب منها وحملها..

* * *

الخميس 17 يناير..

الطريق كان عاصفًا بالرياح القوية التي أرهقتني أثناء القيادة.. الرمال تطايرت بعنف في طريق الواحات وبالكاد استطعت أن أصل إلى مدينة الإنتاج الإعلامي لمقابلة رشاد.. لم أنم جيدًا البارحة وظللت أتفحص اللوحتين طوال الليل.. لم يأتِ ذلك العجوز البارحة لكن لم أنم أيضًا وكأن النوم أصبح خصمًا لي.. ما زلتَ محتارًا في أمر نور وما رأيته في ذلك الفيديو.. مقابلة رشاد كمقابلة قطار أوشك على الإقلاع.. وقته ضيق لا يسمح.. عملي من الدرجة الأولى.. نوط الدولة في التزام العمل وحبه.

الساعة الآن السابعة مساءً.. أمضيت ساعة جالسًا على أريكة جلدية في غرفة الانتظار.. غرفة مكيفة معطرة.. واسعة بقدر كافٍ.. لم يمنعني التكييف من إشعال سيجارة تلو الأخرى وطلب أربعة فناجين من القهوة ارتشفت آخرها بنهم توًّا.. في يدي السيجارة السابعة.. أطفأت أخواتها في الأرضية التي فرشت بسجادة جلدية سوداء.. ستة ثقوب أسفل قدمي.. فارس حسين يخلِّف الدمار وراءه أينما حلَّ.. أخرجت الهاتف وعبثت به ثم ألقيت سيجارتي أسفل قدمي وفركتها بقوة.. الملل أصابني وتملَّك مني.. عبر الباب الزجاجي الذي كان في آخر الحائط على يساري.. توجه نحوي وجلس على كرسي بالقرب مني ثم قال:
- آسف يا فارس. مافيش وقت. أنت عارف إننا بنجهز الحلقة.
- ولا يهمك.
ثم أضفت:
- بص يا رشاد. فاكر الشخص اللي قُلت لك عليه إنه عنده نفس حالة نور.

- ما له؟
قلت بهدوء:
- شاكين إن عنده مرض وبيقولوا إن له جانب نفسي.
- وبعدين.
تنحنحت وقلت بتردد:
- أنا آسف إني هاسألك السؤال دا. لكن يا ريت تجاوب لأن الدكاترة مش قادرين يحددوا هل الحالة النفسية دي بتكون نتيجة خلل في العلاقات ولا اضطراب نفسي من ضغط من نوع تاني.
ابتسم برفق وأردف:
- عايز تعرف إذا كان فيه مشاكل بيني وبين نور ولا لأ؟
أومأت رأسي وتابع:
- آها كان فيه مشاكل بينْنَا كبيرة جدًّا، لكن فضلنا نحترم بعض وكنا ناويين ننفصل لكن الله يرحمها ما قدرتش تستحمل الحالة اللي كانت فيها وانتحرت.
- طب هي كان ليها صحاب؟
قال ببرود:
- كانت صاحبتك. ولا هي ما قالتلكش عن علاقتنا؟
ثم تابع:
- أكيد يعني أنت عارف.
تنحنحت وأردفت:
- لا هي ما قالتش.
نظر بعين ثاقبة ثم قال:
- أنت عايز توصل لإيه؟. أعتقد الموضوع تعدى قصة صاحبك ودخل في قصة تحقيق صحفي كبير عن حياة نور.

ثم قام وأضاف:

- آسف يا فارس، برغم صداقتنا لو اتنشر أي حاجة عن اللي حصل لها أنا هارجع عليك بتعويض كبير وهاقفل لك الجريدة. بيتهيأ لي الأفضل تشوف شغلانة تانية غير دي وتدعي لها بالرحمة.

- لكن يا رشاد....

توجه ناحية الباب ثم استدار وقال بحزم:

- دا آخر كلام عندي، ويا ريت ما تخلينيش أضطر أعمل اللي قُلت عليه. أستأذن عشان عندي شغل.

غادر الغرفة ثم زفرت بقوة وقمت لأغادر..

* * *

تقلبت في مضجعي ذات اليمين واليسار.. البرد أثلج قدمي وجعلهما حمراوين ولم ينفع الغطاء بشيء.. تحتك واحدة بالأخرى ولا أستطيع النوم.. بتٌّ محاصراَ من التفكير والبرد القارس..

أضع وسادة أخرى فوق رأسي.. أغمضت عيني لأنام ولكن أستقيظ عندما أرى صورة اللوحة التي وجدتها بشقة إبراهيم.. فتحت عيني وزفرت بحنق وتوتر.. اعتدلت وجلست على السرير واضعًا رأسي بين ركبتي.. الدقائق لا تمر والعقل يأسرني لمتاهة من الأفكار الغريبة.. معضلة فارس حسين لا حلَّ لها..

تناولت الهاتف لأنظر في الساعة ثم ألقيته بالقرب مني على السرير.. الساعة الآن الثانية وثلاثة وأربعون دقيقة صباحًا.. خفوت وصمت إلا من أصوات عقلي التي تجعل نفسي تئن من الصداع المزمن..

أصوات تأتي من الصالة مصدرها الـ laptop.. صوت طرق ضخم على طبل وآلات متداخلة.. فزعت وقمت راكضًا متوجهًا نحو الصالة..

جلست أمام الترابيزة ليبدأ العرض.

المكان: شقة إبراهيم..

الزمان: غير محدد..

زاوية رؤية رأسية جانبية..

وقفت بالقرب من إبراهيم وهو يرسم تلك اللوحة التي ظهرت بها أحتضن رحيم.. ظللت شاردًا أتفحص الرسمة وهو يضع الرتوش الأخيرة لإنهاء العمل.. حرّك الفرشاة برفق على اللوحة..

تتحول زاوية الرؤية لأمامية..

لتتضح قسمات وجهي.. تعابير غريبة بين الحزن والحب والزهد واللامبالاة.. إبراهيم بدا في حالة تركيز شديدة قبل أن يردف:

- الدنيا رسمة كبيرة، تفاصيلها مش واضحة. وكل واحد بيشوف الرسمة بشكل مختلف حسب زاوية رؤيته.

ثم وضع أدوات الرسم على الترابيزة بجانبه وأضاف وهو ينظر لي بثبات:

- زعلان يا فارس؟

- باحاول أتأقلم.

- لكن ما تخليش التأقلم يضيع منك صورة اللوحة الكاملة.

قلت ببلاهة:

- مش فاهم!

- إنك تقف مكانك بحجة التأقلم هيخليك تشوف الدنيا من منظور ضيق ومش هتقدر تفهم أي حاجة.

ثم قام وتابع وهو يمشي ببطء مبتعدًا في الصالة:

- لازم تركز في أدق التفاصيل؛ لأن أدق التفاصيل اتبنى عليها أعظم التفاصيل.

ثم استدار وأضاف:
- في علم البيولوجيا الجينات هي المسؤولة عن كل شيء. حاجة دقيقة جدًّا بتتحكم في كل حاجة في صفات الإنسان. في الفيزيا الإلكترونات تغير عنصر وتخليه عنصر تاني.
قلت بسخرية:
- إبراهيم.. ما تكلمنيش كلام علمي.
ابتسم وأردف:
- تفتكر إني لو بقيت مش موجود هتقدر تتصرف؟
- إبراهيم أنت لازم.........

أغلق الفيديو.. الزمن دقيقتان وأربع ثوان.. زفرت بحنق بعد أن تملَّك مني الفضول.. أردت أن أكمل دون أن ينطفئ الفيديو.. حاولت تشغيل الفيديو لكن لم يعمل.. أشعلت سيجارة وزفرت دخانها بضيق.. أتأمل الدخان المتصاعد ببلاهة حتى وجدته يقف أمامي يبتسم، ويبتعد بضعة خطوات في منتصف الصالة.. لم أخف هذه المرّة وتناسيته غير عابئ بوجوده وكأنه طيف.. سحبت أنفاسًا متتابعة وزفرتها بقوة ثم أطفأت السيجارة.. نظرت له بعينين ثابتتين حتى قطع لحظات الصمت..
- بتشبه عليّ ولا إيه؟!
ثم أضاف ساخرًا:
- كان نفسك تكمِل الفيديو.
- أنا نفسي ما اشوفكش تاني.
ضحك وتابع:
- مش يمكن لو ما شفتنيش تاني تتضر زي ما حصل بعد إبراهيم؟!
قمت ونظرت له بتوسل:
- أنا عايز أفهم.

- الناس بتعيش وتموت بتكرر نفس الجملة دي وما حدش بيفهم.
ثم تقدَّم خطوات بثقة وأردف بعدما وقف خلف الترابيزة:
- لو فهمت هتشوف إنك كنت أحقر بكتير من اللي عرفته عن نفسك لحد دلوقتي.
ثم قال بثقة:
- هتفهم بس...
صمت فأردفت:
- بس إيه؟!
- لسّا وقتك ما جاش.

* * *

السبت 19 يناير..

الساعة الحادية عشرة صباحًا..

جلس تامر على كرسي المكتب بالكاد يحاول أن يقاوم النعاس.. أمسك فنجان قهوة بيده اليمنى.. ارتشف منه رشفة ثم وضعه على المكتب.. سحب نفسًا عميقًا من السيجارة.. ارتدى جاكيت جلدًا بنيّا ولحيته نبتت قليلًا عن ذي قبل.. استرخى على الكرسي ليعلو صوت صرير الكرسي.. تناول ملفًّا وفتحه لينظر به ثم أغلقه وتركه.. رنَّ الهاتف فتناوله من المكتب.. نظر في شاشته.. الرقم private.. ضغط زر القبول ثم وضعه على أذنه اليمنى ليسمع الصوتك:
- إزيك يا تامر بيه؟
- مين؟
- آسر حلو قوي.. طالع لمامته عينه زرقا. ذوقك حلو على فكرة.
قال بغضب بعد أن قام من الكرسي:

- أنت مين يا....

- لا استنى. امسك لسانك مش عايز قلة أدب.

ثم تابع الصوت ببرود:

- لو نفسك تشوفه بيكبر قدامك يا ريت تبعد عن فارس حسين لأن آخرته وحشة.

صاح فيه بغضب:

- أنت بتهدد ظابط شرطة يا ابن....

قاطعه:

- أنا قُلت اللي عندي، واسمع.. ما تحاولش تدور ورا الرقم دا عشان دا رقم من برامج النت. فيا ريت تنفذ اللي قُلت عليه.

أغلق الاتصال وتامر يردد:

- ألو..

- ألو..

جلس على الكرسي ثانية.. مسح شعره بغضب وجزَّ على أسنانه ثم غادر المكتب..

* * *

تحرك جسده بعنف وهو يدفع الملفات بظهر يده اليمنى من سطح المكتب لتصطدم بزجاج المكتبة على يمينه ويتهشم الزجاج لقطع صغيرة تناثرت بالأرضية الخشبية.. كومة لحم غاضبة.. ترهلات جسده تتحرك بعنف.. تصبب عرقًا واقفهر وجهه.. عيناه حمراوان ووجهه أيضًا.. لم تعد ملابسه مهندمة وفُتحت أزرار القميص من فرط الحركة.. ابتسمت بخبث ونظرت له ببرود.. زفرت الدخان ببطء عندما كنت جالسًا على الكرسي الأيمن أمام المكتب، وتابعت نظراتي الباردة قبل أن أقطع ثورته بكلمات مقتضبة:

- اهدا يا عاطف.

قال وهو يضرب المكتب بقوة براحتي يديه:
- اهدا ازاي؟! أنت جاي تقول لي رشاد بيقول ممنوع إننا ننشر حاجة عن موضوع نور.
ثم جلس وصاح في بغضب:
- أنا كنت متأكد إنك مش عايز تعمل التحقيق دا.
- أنا قُلت لك اللي حصل.
- أنا ما ينفعنيش الكلام دا يا فارس.
تابعت ببرود:
- والمطلوب؟
- اقنعه.
- اشمعنى التحقيق دا؟ فيه مليون حاجة تانية نقدر نعملها.
قام ثانية وأضاف بغضب:
- أنت هتعرفني شغلي يا أستاذ؟ أنا قُلت التحقيق دا مسألة حياة أو موت للجريدة.
قمت وجذبته من تلابيبه بعد أن أطفأت السيجارة:
- اسمع يا عاطف، أنا طول عمري باعرفك شغلك. وعشان أنا باعرفك شغلك باقول لك التحقيق دا كله وش وقرف.
ثم ربت على كتفه وأضفت:
- اقعد يا عاطف. الجنان بتاعك دا مش عليّ. أنا حاولت وبعدين جوزها نفسه مش عارف حاجة أكتر من اللي أنت تعرفها.
هدأ وقال بود مصطنع:
- لكن أنت تعرف.
قلت بغضب وصياح:
- تاني يا عاطف؟ قُلت لك والله ما فاكر حاجة من اللي بتقول عليها ولا فاكر إني كنت أعرفها.

أردف بغضب عاتٍ:

- أنت هتستهبل؟ يعني إيه مش فاكر؟!!!

- اللي سمعته. وبعدين عندي تحقيق ممتاز عن.....

قاطعني:

- طب إبراهيم اللي اتقتل وأنت معاه!

- يااااااه!! بقيت مهتم بأخباري قووي.

ابتسم بخبث:

- عايز أعرف كل حاجة عنه.

- ماشي، ويا ريت تسيبني خالص اليومين دول، وما تعلقش على تواجدي بالجريدة.

زفر بضيق:

- ما أنت طول عمرك باشا وما حدش بيعلق على حضورك.

- تمام ما تجيش تتجنن بقى وتكلمني في حاجة لحد ما اسلمك تقرير مفصل عن الاتنين.

- مين؟!

- إبراهيم ونور.

لمعت عيناه وأردف:

- طول عمرك كفء، بس عيبك إنك دماغك ناشفة.

❋ ❋ ❋

-4-

قلت عن الحياة إنها خيوط متشابكة ورفات يولدان خلفهما بطلًا جديدًا..

سيل من الأفكار المتواردة كشلال.. عقلي يغرق ولا منقذ له.. الخيوط تتشابك في رأسي ويزداد الأمر تعقيدًا.. نفسي تئن وتتألم مما لحق بها وكأن فارس حسين تلازمه لعنة أبدية.. لعنة أن يرى القبح بداخله ويصبح سجين نفسه.. عقلي أصابه الجنون ودَّ لو عاد ينتشي بتأثير الكحول والحشيش لينسى ما ألم به.. نور وملك وإبراهيم وتامر وعمر وعاطف شخصيات تحيط بي وتدفعني لأفقد صوابي.. الوحدة في هذه الحالة ستكون خيرًا لي.. لا أملكها ولا أستطيع فعل ذلك..

أرحت رأسي على كرسي المكتب.. لا أدخن فقد ضاق صدري وأصبح سعالي كثورة بركان أوشك على الانفجار.. فقط أنظر لسقف الغرفة.. خلعت نعلي والجاكيت قبلًا وجلست أرتجف من تأثير الهواء البارد الذي يأتي من النافذة بعنف ليصطدم بجسدي.. قميصي مفتوح الأزرار ولا أرتدي أسفله شيئًا.. عطست بقوة ثم تناولت منديلًا ومسحت أنفي.. لعل البرد أيضًا وجد طريقه لجسدي لينال منه...

تناولت الهاتف وضغطت على مشغل الموسيقا.. لحن هادئ لأغنية تركية seni seviyorum.. أنا أعشقك.. أحبك.. لمن؟!

اللحن يصيبني بالخدر.. أغمضت عيني وأول من رأيت كانت ملك تبتسم وترسم بشفتيها الكلمة بصوت خافت ثم رسمت قبلة أشعرتني بنشوة.. ابتسمت وتواردت الذكريات معها منذ اللقاء الأول.. تتابع وتمضي بالعرض السريع.. Zoom in على شفتيها.. حركت شفتي وكأنني سأقبلها..

فُتح الباب بقوة لأفيق مذعورًا منتفضًا من الكرسي.. أغلق الباب وهو يتقدم بعينين غاضبتين.. لم يعتذر وظل صامتًا.. تناولت الهاتف أغلقت الأغنية.. جلس على الكرسي أمامي وقال بغضب:

- أنت ليك أعداء؟

- لأ.

أردف بغضب:

- أنا اتهددت بابني بسببك.

قلت ببلاهة:

- مش فاهم! فيه إيه يا تامر بيه؟!

- فيه سيادتك إن جالي اتصال بيقول لي ابعد عن فارس حسين وإلا ابنك هيموت. وبعدين أنت عملت إيه في شقة إبراهيم؟ ما كلمتنيش ليه؟!!

- ما لقيتش حاجة في الشقة.

ثم أضفت بحزنٍ:

- مش عايز تكمل؟

قال بكبرياء:

- مش أنا اللي اتهدد لكن...

قاطعته:

- أنا ما يرضنيش إنك تتضر بسببي.

- لو احتجتني كلمني.

ثم قام متوجهًا نحو الباب واستدار قائلًا:

- قال لي فارس حسين آخرته وحشة.

وغادر المكتب بعد أن أغلق الباب برفق....

* * *

استيقظت توًّا من ثباتي العميق بفعل كابوس مزعج.. مخاوفي تتجسد في عالم الأحلام والخيالات والعقل يداعب نفسه فيساق لجنون.. يمضي نحو هلاكه منتعشًا منتشيًا ويفتش بذكريات لم يعد الوعي يدركها..

الكابوس..

قبو خشبي ضيق، خالٍ تمامًا إلا من طاولة مستطيلة تتوسطه.. الإضاءة خافتة بمصباح تدلى فوق الطاولة بمتر تقريبًا.. الطاولة ملطخة بالدماء وعليها سكاكين حادة وسيوف معدنية.. أقف أمام الطاولة أرتدي جلبابًا أبيض ملطخًا بالدماء.. وجهي وجسدي ملطخان بالدماء الجافة.. يدي اليمنى عليها دماء طازجة يتصاعد منها بخار ماء وكأنني نحرت حيوانًا توًا وأمسك بها ساطورًا ضخمًا.. أضحك ضحكات شريرة كمجنون.. رفعت يدي لأرى يدي اليسرى مبتورة وتنزف منها الدماء بقوة. ملقاة أسفل الطاولة رأيتها عندما نظرت إلى الأرضية الرملية.. صحت بقوة ثم هدأت وضحكت.. أصيح وأضحك.. أضحك وأصيح... انتهى الكابوس وقمت فزعًا...

تناولت الهاتف لأنظر به.. الساعة الثانية وثلاث وأربعون دقيقة صباحًا.. اعتدلت وجلست على حافة السرير.. المصباح مشتعل لأنني أصبحت أخاف الظلام.. هممت لتناول السجائر لكنه قاطعني بصوت رخيم:

- فارس، وحشتني، بقالي يومين ما شُفتكش.

ثم أضاف وهو يتقدَّم نحوي:

- الكوابيس بتصحيك؟ مع إن حياتك كلها كابوس، ومش عارف تفوق لحد دلوقتي.

قلت مستسلمًا:

- أنا مريض.

- أنت مريض بنفسك. شر جواك ما لهوش حدود. يا ريت ينفع ما تدورش، لكن للأسف لازم تدور على نفسك.

ثم جلس على حافة السرير وأضاف:

- لكن تفتكر لو عرفت.....

قاطعته:

- عرفت إيه؟

- عرفت نفسك.
قلت بتوسل:
- نفسي أعرفها.
- للأسف هتعرفها.
ثم انسابت دمعات من عينيه وتابع:
- خمورجي وبتاع ستات ومنافق وما خفي كان أعظم..

* * *

السبت 19 يناير..

الساعة 2 مساءً

ظللت أحملق في صورة ريماس ابنتي وملك التي كانت معلقة على الحائط خلف الأريكة الوثيرة في فيلا عائلة خيري.. الصالون ذو طراز قديم يقبع في ركن على يمين السلم وأمامه باب زجاجي يطل على البسين.. الطقس اليوم ليس بتلك البرودة المعتادة.. معتدل مع برودة خفيفة أدركتها عندما كنت في الطريق إلى الفيلا..

الصورة كانت قديمة التقطت بالكاميرا خاصتي عندما كنا في الساحل.. تذكرت رحيم الذي رفض أن يظهر في الصورة ووقف بجواري.. ملك تقف أمام الشاطئ وريماس تقف بجوارها ينظران ويبتسمان..

عمر تحدث لي قبلًا أن ملك عادت من الساحل، ما كان مني إلا أن أذهب لأرى ابنتي وهكذا ظللت أنتظر ملك حتى تأتي..

أتى الصوت من خلفي عندما كنت شاردًا في اللوحة:
- إيه يا فارس؟
استدرت وقلت:
- جاي أشوف بنتي.
- تفتكر إنها عايزة تشوفك؟!!

قلت بغضب:
- أكيد مليتِ دماغها سم!
- ريماس ذكية وكانت شايفة معاناتي معاك.
جلست بعد أن جلست على كرسي في مواجهتي وأردفت:
- طب ممكن تناديها؟
- دادة ناهد بتصحيها فوق.
ثم وقفت وقالت ببرود:
- طبعًا مش لازم أقول لك البيت بيتك. يا ريت تاخد راحتك.
ثم أضافت وهي تتحرك ببطء:
- استأذنك.
- ملك استني. أنا جاي أتكلم معاكِ. ملك أنا تعبان وعايز أفهم.
قالت بعطف:
- ما لك يا فارس؟
- ممكن تقعدي ونتكلم؟
جلست فأردفت:
- أنا مش فاكر أي حاجة من اللي قُلتيه إني كنت خاين. عايز أفهم كانت حياتك معايا ازاي؟
- هي الحادثة أثرت عليك؟!!
- لا يا ملك مش الحادثة. أنا واضح إني دخلت في حالة اكتئاب صعبة.
قامت واقتربت مني ثم قبضت على يدي برفق:
- طب ما لهوش لازمة نتكلم في اللي فات.
- عايز أفهم...
تنهدت وأردفت:
- إذا كنت أنا ما كنتش فاهماك. أحيانًا تبقى طيب وتحبني وأحيانًا ترجع وش الفجر ريحتك خمرة. يوم تصلي ويوم تسكر. يوم تبقى طبيعي

ويوم تقفل على نفسك المكتب واسمعك بتكلم حد. أنا كمان أعصابي تعبت منك وبقيت مش فاهمة حاجة.

قلت ببلاهة:

- أنا بدأت أبقى كدا إمتى؟!

- من سنتين تقريبًا. قُلت لك تروح لدكتور كنت دايمًا بترفض وتتجنن أكتر لما تسمع السيرة دي.

تقدَّمت ريماس تركض نحوي وهي تهتف بحب وتردد كلمة بابا.. كانت قصيرة بيضاء البشرة.. ذات شعر بني كشعرِ أبي، جدها.. وعينين بنيتين مثل عيني.. تفاصيل وجهها تشبه وجه ملك كثيرًا.. شردت بها وقمت من الأريكة أفتح يدي بحب.. انسابت دمعات على خدي لم أستطع أن أخفيها.. حضنتها بقوة وحب.. مضى وقت كبير لم أرَها به..

- ريمو قلب بابا. وحشتيني قوي.

قالت بعينين شاردتين:

- بابا هو إحنا هنرجع شقتنا إمتى؟

- هنرجع يا حبيبتي.

ونظرت لوجه ملك كانت شاردة تنظر لنا تلامس أرنبة أنفها بين الحين والآخر.. بكت فأزالت دموعها الـ Makeup لتظهر هالات سوداء شديدة أسفل عينيها..

ربت على كتف ريماس ثم قلت:

- ريمو روحي العبي مع دادة شوية.

غادرت ريماس فأردفت بعد أن عدت أجلس بالقرب منها:

- ملك أنت بتتعاطي حاجة؟

ابتسمت وأردفت:

- هيفرق معاك؟

- آها.

- أيوة يا فارس، باشم بودرة.
قلت بغضب:
- ليه يا ملك؟!!
- فارس أنا لسّا بحبك. أنت مش عايز تفهم!
ثم أضافت:
- فارس..
ضممتها بقوة وأردفت:
- فارس بيحبك يا ملك.

* * *

بعد شهر..

الثلاثاء 19 فبراير..

الساعة 11مساءً..

جلست بغرفة مكتبي أمامي الـ laptop وبعض القصاصات لأوراق متناثرة فوق المكتب.. الغرفة وثيرة جلدية الفراش.. ألوان قاتمة تناسب الديكور.. خلفي مكتبة ضخمة وأمامي المكتب.. الإضاءة خافتة مصدرها أباجورة صغيرة فوق المكتب.. أمسك بيدي اليمنى قلمًا وأكتب ما حدث معي بالأيام الماضية.. أحاول أن أفهم بعد أن اختفى الزائر واختفى كل شيء..

عادت ملك لتعيش معي بشقتنا القديمة وهذا أفضل لتحيا ريماس حياة سوية.. ملك تقاوم الإدمان وتتعافى يوميّا.. أصبحت شخصًا آخر الآن.. تهتم بي وبريماس أكثر من أي شيء.. لدي اليوم حياة طيبة أحياها.. وهدأ كل شيء إلا عاطف الذي ظل يسأل عن التقارير بعد انتظامي في العمل.. سلَّمته تقارير كتبتها من مخيلتي حتى يهدأ فأصبح راضيًا عن العمل..

الزائر قال من قبل أننا خلقنا لنتأقلم وقد فعلت ما قال.. تأقلمت وعدت أحيا حياة روتينية ونسيت أمر رحيم لعل الله يعوضني خيرًا لكني لم أنسَ الحشيش والكحول.. حاولت مرارًا ولم أستطع وهذه السيجارة التي أمسكها بين أصابع يدي اليسرى ودخانها قد عبأ الغرفة تفضح أمري..

لم تتركني الكوابيس يومًا وأحيا بها دائمًا.. اعتدت أن أحيا معها كرفيق أبدي كان من قبل غير مرغوب فيه، والآن أصبح صديقًا حميمًا..

أرحت رأسي على الكرسي ثم زفرت نفس سيجارة الحشيش لأعلى ونظرت له مبتسمًا ببلاهة.. عدت أنظر أمامي لأجده يجلس على يسار المكتب..

قال مبتسمًا:

- بقالنا كتير ما تقابلناش.

ابتسمت وأردفت:

- افتكرت إني خفيت لكن لما شُفتك عرفت إني فعلًا مريض.

- مريض بإيه؟

ثم تابع ساخرًا وهو يشير لسيجارتي:

- عيب تقول كدا. دا أنت حتى ماسك سيجارة حشيش في إيدك، اعتبر نفسك بتهلوس.

ثم صمت برهة وأضاف:

- اتأقلمت يا فارس؟ لكن دا ما كانش قصدي. بنتك هتتربى مع أب مدمن وأم بتشم بودرة أكيد هتطلع شمال!!

قذفته بطفاية السجائر التي عبرت جسده، وسقطت على الأرضية ثم قلت غاضبًا:

- أنت بتقول إيه.....

فتحت ملك باب المكتب بقوة وأشعلت الضوء.. كانت ترتدي قميص نوم طويل فوقه روب أبيض..

الفزع كسا وجهها وقالت بخوف:
- ما لك يا فارس؟
- مافيش يا حبيبتي.
أردفت ببلاهة:
- والطفاية دي؟
قمت واقتربت منها ثم ضممتها.. شعرت ببرودة أنفاسها.. بقلبها ينتفض.. ثم مسحت على شعرها ببطء وقلت:
- ريمو نامت؟
ضحكت بخبث وأردفت:
- هو فيه إيه؟ أنت ما لك اليومين دول؟ هو كل شوية. أنا شايفة إننا نوديها تعيش عند بابا أحسن.
ضحكت حتى سعلت وقلت:
- بتوحشيني، أعمل إيه؟!
- هات نفس.
ناولتها السيجارة فسحبت نفسًا عميقًا منها...

* * *

الأربعاء 20 فبراير..

الساعة 11:36 صباحًا..

قبضت على مقبض باب غرفة مكتبي بالجريدة.. نظرت لمحمد الذي كان يجلس على مكتبه في القاعة منهمكًا في كتابه بعض التقارير.. ناديت عليه ثانية ليتنبه..
فقام من الكرسي وقال بأدب:
- أيوة يا أستاذ فارس.

قلت بضيق:
- وهو عادي لما حد يعوزني تدخلوه مكتبي وأنا مش موجود؟!
تنحنح وقال برفق:
- دي تعليمات سعادتك يا أستاذ فارس.
تمالكت دهشتي وتابعت:
- هي جوّا من بدري؟
- من نص ساعة.
أضفت بعد أن فتحت الباب:
- خلي عم عوض يجيب لي قهوتي جوّا.
ثم أغلقت الباب وتقدمت نحو الداخل.. رأيت أنثى تجلس على الكرسي الأيمن أمام المكتب وتضع حقيبة يدها على الترابيزة الصغيرة بين الكرسيين.. وضعت قدمًا فوق الأخرى لتجلس بوضع أنثوي دفاعي لأرى مقومات أنوثة وجسد ممشوق.. ترتدي بنطالًا أسود ضيقًا.. وبلوزة سوداء.. قامت ولم أرَ قسماتها جيدًا لأنها ارتدت نظارات شمسية لكنها كانت بيضاء كالثلج.. خصلات شقراء تدلت من حجابها الصغير.. قسماتها جامدة..
قلت عندما كنت أتقدم:
- أهلًا مدام فرح.
ثم أضفت قبل أن تتحدث:
- مش مدام فرح برضه؟
قالت ببرود:
- مدام فرح..
ثم مددت يدي لتصافحني مصافحة باردة بأطراف أصابعها.. جلست على الكرسي ثانية، وجلست على الكرسي الأيسر في مواجهتها.. وضعت هاتفي وسجائري والمفاتيح.. أومأت برأسي مبتسمًا حتى تتحدث فأزالت

النظارات عن وجهها.. ثم نظرت لها بعينين ثابتتين.. لم أتمالك نفسي عن الشرود بها..

حواجب رفيعة شقراء.. عينان زرقاوان بلون السماء.. أنف رفيع مستقيم وشفتان ورديتان.. أنثى يهيم بحسنها من يراها.. جميلة كجنة ورقيقة كوردة ربيعية.. طويلة ورفيعة وبارزة المفاتن.. ظللت مندهشًا وهي تضع النظارات على الترابيزة..

قلت بود:

- تشربِي إيه الأول؟ أنا ملاحظ إنك ما شربتيش حاجة.

- شكرًا لذوق حضرتك. أنا جاية في كلمتين وماشية على طول.

أومأت رأسي وأردفت:

- اتفضلي.

- أنا فرح حسن حرم المرحوم تامر الرفاعي.

قمت من الكرسي مندهشًا:

- تامر بيه مات؟!

- من شهر.

جلست ثانية وقلت بأسى:

- البقاء لله، والله ما أعرف غير منك.

- ربنا يرحمه.

ثم تنهدت بعمق وأضافت:

- عارف أنا باكرهك قد إيه؟

نظرت لها ببلاهة فتابعت:

- أنا اللي جابني هنا وصية المرحوم.

- مش فاهم حاجة!

انفجرت بالبكاء وقالت:

- كان عنيد، فضل ييجي له تهديدات كل يوم إنه ما يدورش ورا الزفت اللي اسمه إبراهيم، لكن كان مصدقك وفضل يدور وراه لحد آخر تهديد جاله إننا هنموت كلنا، وفضل مكمل وكل يوم كان بيزيد إصرار.

أخرجت منديلًا ومسحت عينيها التي زادتا حمرة من البكاء وأضافت:

- أنت دمرت حياتي ومات جوزي وابني بسببك. ليه يا أستاذ فارس؟ ما لقيتش غير تامر؟

قلت بأسى:

- هو مات وهو بيأدي واجبه.

قالت بسخرية:

- والنتيجة؟ البلد هترجعهولي!!

ثم فتحت الحقيبة وأخرجت ملفًا وقالت وهي تناوله لي:

- عمومًا دي معلومات مهمة. زوجي دفع حياته تمنها. ووصاني إني أوصلها لك.

التقطت الملف ثم قامت بعد أن تناولت أغراضها وتوجهت نحو الباب فناديت ولكن لم تجب..غادرت وأغلقت الباب برفق..

دخل عم عوض ووضع فنجان القهوة فوق المكتب وغادر بعد أن أغلق الباب خلفه.. جلست على كرسي المكتب بعد أن وضعت أغراضي والملف عليه.. تناولت سيجارة أشعلتها ثم ارتشفت رشقة من فنجان القهوة وفتحت الملف..

ملف مكتوب عليه "خاص فارس حسين"..

العنوان تحريات إبراهيم محيي الدين صلاح..

توصلت تحرياتي على مدار الشهر الماضي بعد أن بحثت وراء المدعو إبراهيم محيي الدين صلاح وشهرته إبراهيم محيي. يعمل كعالم بيولوجي وحاصل على بكالوريوس العلوم قسم بيولوجي من جامعة عين شمس.. ليس

له وظيفة عامة بمصر، إلا أنه كان يعمل بالخارج وتشير شهادة تحركاته أنه تنقل بدول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.. لم تدم زياراته للخارج أكثر من عامين، ثم يعود لمصر لعام ويسافر ثانية بنفس المدد بتتابع قبل أن يعود ليستقر بمصر منذ أحد عشر عامًا..

لم يكن له محل معلوم؛ إلا أنه يملك عددًا هائلًا من العقارات كانت تدر عليه مبالغ طائلة مقابل إيجارها شهريًّا..

لم يسبق له الزواج إلا أنه كان دائم التردد على الملاهي الليلة وتوصلت أنه كان على علاقة براقصة تدعى كريمان تعمل بملهى ليالي بمنطقة الهرم.. لم يسعني استجوابها لأنها كانت في رحلة لقضاء العطلة الشتوية بالخارج..

توصلت لفحص الملف الخاص به في مدرسة الأمل بعد أن وجدته بالأرشيف.. أشار الملف لمدة تحسن حالته السريعة في سابقة نادرة والتي لم تستغرق الكثير ومن ثم غادر المدرسة.. كان طالبًا مشاغبًا حاول الاعتداء على أستاذته لمرات، إلا أنه بعدما ترك المدرسة كان دائم الزيارة والتبرع لها..

ظل على مدار عشر سنوات يفعل الأمر حتى سافر للحصول على درجة الدكتوراة من الخارج، وعندما عاد ثريًّا تبرع بمبلغ لهدم المدرسة وبنائها ثانية على نفقته الخاصة قبل أن يسافر ثانية..

بعد استشارة بعض الأطباء النفسيين كان التشخيص لحالته أنه شخص سيكوباتي مدمن كحول، يعاني من اضطرابات سلوكية ونفسية سببتها صدمة كبيرة، أو أنه لم يمثل للشفاء التام...

أغلقت الملف وأرحت رأسي بعد أن تنهدت بعمق.. طقطقت فقرات رقبتي ونظرت لشاشة الكمبيوتر المغلقة أمامي.. رنَّ صوت في أذني وعلا الطنين الحاد.. وكأن حواسي تضاعفت وبخاصة حاسة السمع.. شعرت كأنني أسمع دبيب النمل أسفل قدمي.. طنين وهمهمات ثم دوار وصوت يقول:

- الطريق اترسم يا فارس.

وظل يردد حتى صرخت بقوة ثم ضربت مقدمة جبهتي بالمكتب ضربات متتابعة حتى يكف هذا الصوت عن الطنين.. ظللت على تلك الحالة حتى فقدت الوعي بعد أن رأيت صورة مشوشة للزملاء في القسم يقفون أمامي.

* * *

لم تدم غيبوبتي لأكثر من ثلاث دقائق، حاول الزملاء إغاثتي بكافة الطرق.. استفقت ورفضت أن أترك الجريدة لأن كان لدي بعض العمل لإنجازه.. مضت النصف ساعة الماضية بين قراءة التقارير المُقدمة لي من الزملاء في القسم وإمعان القراءة في تحريات إبراهيم محيي.. ظللت هكذا حتى داعبني النوم ونمت برهة مستندًا على سطح المكتب بعد أن أزحت بعض الملفات وأخليت مساحة أضع رأسي بها.. أدركت أنها برهة يسيرة عندما استيقظت.. أيقظني ذلك الصوت بعد أن رنَّ في أذني مرات فقمت واعتدلت لأرى عاطف يقف ممسكًا ملف إبراهيم محيي ويقرؤه بفضول.. عيناه تشعان غضبًا.. بدا متأنقًا ويرتدي حلة رسمية سوداء.. بادرني بابتسامة خبيثة وغضب ثم أردف:

- بتشتغلني يا فارس؟ بتديني تقرير كل معلوماته غلط!

قلت بجفن نصف مفتوح يقاوم النعاس:

- سيب الملف يا عاطف واتفضل اطلع برّا.

صاح فيّ بغضب:

- أنت اتجننت رسمي. أنت متحول للتحقيق يا أستاذ.

قلت ببلادة وأنا أشعل سيجارة وأزفر دخانها بقوة تجاهه:

- ماشي، واتفضل يلا.

- فعلًا أنت واحد حقير مضطرب نفسيًّا.

قمت غاضبًا وأنا أتذكر ما قرأته في الملف.. اقتربت منه ثم صفعته بيدي اليمنى بقوة وقلت:

- أنا سيكوباتي ومجنون. تحب أوريك الجنان؟

وانقضضت عليه حتى سقط أرضًا واعتليت جسده أكيل له اللكمات بيدي اليمنى وبالأخير أطفأت سيجارتي بصدره وهو يصيح ويتأوه..

تجمع الزملاء خلفي وأزاحوا جسدي عنه وهو يصيح بكلمات:

- أنت مجنون، والله لاحبسك يا فارس. ابقى قابلني لو دخلت الجريدة تاني طول ما أنا موجود.

* * *

الساعة 8 مساءً..

الإضاءة كانت خافتة في الغرفة البيضاء الشاسعة.. جلست على كرسي جلدي أبيض اللون في صالون على يمين مكتب أبيض أيضًا عليه لاب توب apple ولافتة فوق المكتب لم أستطع قراءتها لخفوت الإضاءة.. وبالجهة اليسرى من الغرفة سرير يكفي لجسد شخص واحد ومسند الرأس مائل للأمام بزاوية منفرجة.. بالقرب منه أباجورة وضعت على كومود صغير وبجوارها كرسي جلدي من نفس طراز كراسي الصالون الذي أجلس عليه..

على كرسي في المقابل يبتعد بضعة خطوات وتفصلنا ترابيزة زجاجية صغيرة، جلس رجل ذو شعر أبيض طويل.. تخطى الخمسين عام.. لحيته كثة بيضاء..أنفه دقيق وعيناه ضيقتان وحواجب خفيفة.. نحيف الجسد.. يرتدي معطفًا أبيض.. ابتسم برفق ثم أردف بعد أن أشعل الـ pipe بساق كبريت وزفر الدخان برفق..

- إيه رأيك في اللون الأبيض؟

قلت بدون اكتراث:

- لون حلو يا دكتور...

ابتسم ببرود وقال:

- دكتور فوزي خليل. أنت بتنسى ولا إيه؟

ثم تناول نفسا وزفره بقوة:

- عمر كلمني عن حالتك وحاسس إن الموضوع بسيط.

قلت ساخرًا:

- أنت عارف أنا جيت معاه النهار دا ليه؟

- ليه؟!

- لأني كنت هاقتل رئيس التحرير النهار دا. وبدأت أخاف على نفسي بجد؛ لأن طول عمري عندي ضبط نفس بس بقيت باتصرف بغرابة.

ابتسم وأردف:

- امممممم، طب الشخص اللي بيطلع لك دا لسّا بييجي؟

- آها للأسف.

تنهد برفق وقال:

- طب احكي لي.

- مش باعرف أحكي يا دكتور فوزي.

- طيب أنا هاكتب لك شوية مهدئات لكن المرّة الجاية حاول تحكي.

أومأت برأسي فقام وتوجه ناحية المكتب وشرع يكتب روشتة ثم اقترب مني وناولها لي وهو يقول:

- يا ريت تثق فيّ عشان أقدر أساعدك يا أستاذ فارس.

قمت وصافحته ببرود ثم أردفت:

- فرصة سعيدة يا دكتور.

* * *

الساعة 11 مساءً

علا صوت الموسيقا وزاد الصخب.. موسيقا روك أند رول وجاز.. كانت الإضاءة خافتة يتخللها أضواء حمراء وزرقاء وخضراء بتبادل، مصدرها الكرات المعلقة في سقف الديسكو.. تدلت تلك الكرات كثيرًا وكانت تدور مسببة صداعًا مزمنًا وأرقًا لعيني.. الطاولات مبعثرة في الديسكو الذي تجاوزت مساحته مائتين وخمسين مترًا.. وبعض الأرائك الجلدية متناثرة بنظام أمامها طاولات زجاجية.. يعلو صوت فتح زجاجات البيرة حولي.. حالة

من زيادة الأدرينالين.. أرى الرواد منتشين ويرقصون في حالة سُكر.. وهناك على المسرح فتيات يرقصن ولم يرتدين سوى قطعتي قماش إن جاز التعبير تخبئ موضعي عورتهن..

أجلس على طاولة في منتصف الديسكو تقريبًا برفقة عمر الذي كان منتشيًا يتمايل بعنف فوق الكرسي بعد أن فتح زجاجة البيرة وتناول منها رشفات متتابعة ثم أشعل سيجارة حشيش وسحب أنفاسًا بعمق..

أردف وهو يناولني سيجارة الحشيش ويصيح حتى أسمعه:

- ما تفك يا فارس. أنا جايبك هنا تتبسط شوية.

أومأت برأسي مبتسمًا ولم أتناولها، فأشار بعينيه نحو الأمام، فنظرت لأجد مايكل..

كان مايكل صديقًا قديمًا يملك عدد من البارات ونوادي الديسكو ومالك هذا الديسكو أيضًا.. أربعيني فارع الطول.. منسدل الشعر.. ذي بشرة بيضاء وعينين خضراوين وحمراوين دائمًا بفعل تناول مخدر الحشيش.. حواجب قصيرة بشكل قوس.. أنف صغير دقيق.. يرتدي جاكيت أصفر اللون وبنطالًا أبيض وأسفله قميص مشجر مفتوح لتظهر منه السلسة الفضية والوشم على شكل عقرب كبير على الجانب الأيمن من صدره.. ابتسم بحماقة وهو يتقدَّم فابتسمت له وهو ينظر لي..

قال عمر:

- أهو مايكل جا لك يا عم.

اقترب مايكل فوقفت وضمّته بقوة ثم قال:

- إيه يا روستو؟ نسيتنا خالص كدا؟ ومغير أرقامك مش عارف أوصل لك!

ثم اقترب منه عمر فوقف وسلَّم بحرارة قائلًا:

- والله يا مايكل جايبه بالعافية بعد ما ضرب رئيس التحرير في الجريدة.

ضحك مايكل وأردف بعد أن ربت على كتفي:

- جامد يا روستو. أنا عازمكم النهار دا على حسابي بالمناسبة دي.

ثم تابع بعد أن أشار بعينيه لفتاة تقف أمامنا ترتدي ميني جيب وبلوزة قصيرة.. جميلة وذات شعر مصبوغة بعض خصلاته باللون الأخضر..

- باقول لك يا روستو، مش عايز مولة؟!

ضحكت وأردفت:

- لا أنا مشفر يا ميكا والله.

قال عمر بسخرية:

- بس أنا مش مشفر يا ميكا.

أردف مايكل بحزن مصطنع:

- مولة مشفرة وفارس بس اللي يعرف يفكها.

ابتسمت وقلت:

- لا أنا هاقعد شوية وأمشي.

فقال مايكل بلوم:

- أنت من ساعة موت رحيم. وأنت ما بقيتش روستو بتاع زمان.

شعرت بضيق لكن ابتسمت ببرود ومسحت على شعري مقاومًا الضعف حتى وجدتهما ينظران لي ببلاهة.

قال عمر بتوجس:

- فارس، شعرك ما له؟!

وأضاف مايكل:

- ما تخوفهوش يا عمر.

أخرجت هاتفي بخوف وشغلت الكاميرا لأنظر لمقدمة فروة رأسي وقد فقدت بعض خصلات توًّا..

نظرت لهما بتوجس وأردفت:

- أنا لازم أمشي.

ثم ركضت نحو الخارج مرتطمًا بالأجساد في طريقي..

* * *

كانت السيارات تمضي أمامي كسلاحف في الطريق المكون من أربع حارات.. ضغطت على البنزين أكثر وأعطيت السيارة الغيار الخامس لأطلق لها العنان وتمضي بلا لجام يوقفها.. الإضاءة قوية وأعمدة الإضاءة على جانبي الطريق.. عيناي مثبتتان للأمام والرعب غزا قسماتِ وجهي، اختلست النظر إلى عداد السرعة الذي تجاوز المائة وعشرين كيلومترًا في الساعة.. أقود بلا تأن وأتجاوز السيارات كسباق.. النار تستعر في صدري ولهيب الأفكار يؤرق عقلي..

سمعت صوته يتردد في أذني، ذلك العجوز الخبيث ما زال يرتدي حلته الرثة، أدركته بعد أن اختلست النظر عن يميني لأراه يجلس يفتعل الخوف ويصيح بشدة:

- هنموت يا فارس. لا دا عاطف عنده حق إنك اتجننت.

فزعت عندما رأيته وتركت المقود لأفقد السيطرة على السيارة لكن سرعان ما تحكمت بها، وضغطت المكابح ببطء لأستقر على يمين الطريق ثم ضغطت إشارة الانتظار..

ما زال كما هو، نظر لي وقال ببرود:

- بص كدا في المراية كويس. حالتك دي مش بتفكرك بحاجة؟

قلت بخوف:

- نور.

أردف بأسى:

- للأسف.

ثم تابع بعدما تنهد بعمق:

- خايف يا فارس؟

- الموت مش اختيار عشان أهرب منه.
ضحك بخبث وأردف:
- لكن لما سنين عمرك تجري في شهور كل يوم منها هيعدي عليك كأنه سنين طويلة. قمة العذاب مش كدا؟
قلت بيأس وصوت أرهقه الحزن:
- لكن وصلت كدا ازاي؟!!
- عشان تستاهل تبقى كدا.
شعرت بمن يطرق الزجاج الأمامي بقوة، نظرت بعين ذابلة ثم ضغطت زر فتح الزجاج.. كان أمين شرطة.. حليق اللحية.. جامد الوجه.. يرتدي بلوفر أسود عليه شارات الشرطة فوق الكتفين.. ثلاث شارات حمراء وحولها خيوط ذهبية ثم نظر بغضب وقال بحزم:
- رخصك.
أخرجت الرخصة خاصتي وناولتها له فنظر بها وتابع:
- رخصة العربية لو سمحت.
ناولتها له ببطء فتابع بحزم:
- سايق ليه على 130؟ الرادار لقطك وانت بتجري.
قلت ببلاهة:
- هو أقصى سرعة كام؟!
- أقصى سرعة 80.
وحرر مخالفة بدفتر صغير يمسكه بيده اليسرى ثم أضاف:
- يا ريت ما تعديش الحد المسموح.
أومأت رأسي وأردفت:
- آسف يا كابتن.
* * *

الساعة 1 صباحًا..

دلفت غرفة النوم بالكاد أتحسس موطئ قدمي في هذا الظلام.. الإضاءة خافتة مصدرها مصباح الممر الطولي نحو الغرفة.. ظلت هكذا حتى أشعلت مصباح الضوء وأغلقت الباب برفق.. السرير عتيق مكوّن من أربعة أعمدة خشبية ضخمة في منتصف الغرفة، وعلى اليسار تسريحة من طراز عتيق أيضًا تبتعد بضعة خطوات عن السرير في هذه الغرفة الشاسعة.. ملك نائمة وتتنفس بقوة.. أنفاس تقترب من أن تكون غطيطًا.. ابتسمت وتقدَّمت نحو مرآة التسريحة لأنظر بعمق لوجهي.. نظرات ثاقبة وحادة تحمل بين طياتها معاناة وخوفًا من المجهول.. الألم يزداد ونفسي تهرم.. ظللت مثبت العينين كأنني لا أصدق ما أراه ثم جلست على كرسي التسريحة الجلدي الوثير ومضى الوقت.. أستمع لدقات عقارب الساعة.. أنظر لنفسي فقط.. حتى أتى صوت ملك ناعسًا بعينين نصف مفتوحتين وقالت برفق:

- أنت هنا من إمتى؟

ثم تثاءبت برفق وأضافت وهي تزيح الغطاء عن جسدها:

- هاروح أعمل لك عشا.

أومأت رأسي ثم قامت وعندما اقتربت مني صرخت بفزع:

- فارس، إيه اللي حصل لشعرك دا؟!!

- مافيش يا حبيبتي أنا كويس.

أضافت وهي تقبض على يدي:

- لازم تروح لدكتور بكرى.

- هاروح يا ملك.

❋ ❋ ❋

-5-

القدر له معزوفة، واللحن هادئ لكنه نار تستعر لا يدركها سوى من تأمل القرارات..

الإثنين 25 فبراير..

الساعة 2 مساءً..

مهندم الملبس أرتدي حلة رسمية لونها كحلي.. عطر نفاذ قوي انتشر في الغرفة البيضاء الواسعة بفعل مكيف الهواء.. حلقت شعري بالموس لأخبئ الخصلات التي سقطت.. اكتسبت وسامة أكثر من ذي قبل مع تلك اللحية الكثة.. أجلس بالصف الثاني أنظر لها بثقب وأتابعها وهي تمسك القلم وتكتب على السبورة البيضاء.. عيناها الزرقاوان ذابلتان وتحملان حزنًا عميقًا يكاد يراه القاصي والداني.. ترتدي ملابس رسمية سوداء عليها لافتة أعلى الصدر الأيسر تحمل اسم فرح حسن بأحرف إنجليزية.. ترمقنا بثقة وبسمة مصطنعة.. رأتني ولم تعرني اهتمامًا وكأنني سراب أو لا شيء..

الطاولات متناثرة بنظامٍ ونسق في الغرفة.. وعدد الطلاب تجاوز الخمسة عشر طالبًا بي.. حاولت كثيرًا أن ألتقي بها من قبل لكنها رفضت فما كان مني إلا أن آتي لتعلم الألمانية حتى أراها ولو للحظات..

مضت عشر دقائق بعد التحدث بالعربية مع الطلاب عن سبب تعلمهم الألمانية ثم تابعت وكتبت بمنتصف السبورة من الأعلى بأصابع مرتعشة..

Das deutshe alphapet

ابتسمت بعد أن استدارت لنا ثم قلت:

- حاولت أكلمك كتير؟

فقالت بأدب:
- أعتقد إنك مش جاي تتعلم.
قلت ببلاهة:
- أنا جاي أتعلم وأتكلم معاك.
- حضرتك مستواك في الألماني ولكنتك بتقول إنك عشت في ألمانيا فترة كبيرة.
- إزاي؟!
أردفت بغضب:
- والله!
ثم تابعت بضيق:
- لو سمحت يا أستاذ فارس ما تعطلناش.
- أنا عمري ما اتعلمت ولا درست ألماني.
تأففت وقالت بحنق:
- أمال إحنا بنتكلم مصري دلوقتي؟!!
قلت بذهول:
- أنت بتقولي إيه؟
ثم ضربت على جبهتي براحة يدي اليمنى بقوة وغادرت الغرفة..

* * *

مرت ساعة منذ أن غادرت الغرفة.. أجلس في الكافيتريا الخاصة بذلك المركز على طاولة بيضاء بلاستيكية وكرسي مثلها.. أرتشف فنجان القهوة الثالث وأتناول السيجارة الخامسة التي أمسكها في يدي اليمنى، وأعبث بالهاتف باليسرى.. أطفأت السيجارة بقوة.. شردت فيما قالته لي والحيرة التي تحيطني.. أتصنع الفهم ولكني أبله لا يعي ما يحدث له منذ ظهور إبراهيم.. الوقت يمضي والغرفة أمامي.. الكافيتريا كانت كصالة مفتوحة على الغرف.. أنظر للغرفة رقم ٦ بين الحين والآخر أنتظرها حتى تخرج..

وبعد سويعات فُتح الباب أخيراً وخرجت بخطوات متثاقلة.. لم تلحظ وجودي فاقتربت من طاولة وجلست.. تقدمت منها وجلست على كرسي في المقابل ثم قلت قبل أن تتحدث:

- مش هاخد من وقتك كتير.

قالت بغضب:

- عايز إيه؟

- عايز أعرف إيه خلى تامر بيه يكمل تحريات ورا إبراهيم مع إني طلبت منه يبعد.

- المفروض أصدقك؟!

قلت بثقة:

- هاكدب ليه؟!

- هو كان صرف نظر بس بعد كام يوم اتجنن وقال لازم أدور مش هينفع أسكت.

أومأت برأسي وأردفت:

- ما قالكيش إيه اللي خلاه يغير رأيه؟

- لأ، مع إنه ما كانش بيخبي عليّ، وحكى لي كل اللي حصلك.

ثم أضافت بعينين ثابتين:

- عارف أنا شايفاك إيه؟

صمت فتابعت:

- واحد نصاب، استغل ظابط شريف عشان يعمل سبق صحفي.

قلت بتوسل:

- صدقيني، والله أنا ما استغليته، ولو كان فعلًا حكى لك الموضوع بجد كنتِ عرفتِ إن جوزك بطل ودا اللي خلاه يكمل.

انسابت دمعات برفق على وجنتيها ثم أضفت:

- مدام فرح هو حقيقي أنا كنت باكلمك ألماني جوًّا؟

تأففت وقالت:
- لا أنت مجنون فعلًا.
ثم قامت وغادرت الطاولة لتجلس على أخرى بعيدًا فقمت وغادرت..

* * *

الساعة 9 مساءً..

مضت دقائق أجلس على الكرسي الأبيض شاردًا بمكتب دكتور فوزي.. الإضاءة خافتة بقدر يريح الأعصاب.. ظللت أراقبه أمامي وهو يعبث في الـ laptop ويمسك الـ pipe بيسراه.. جلس على المكتب بعينين غائرتين.. كان منهمكًا بينما أشعل سيجارتي قام واتجه نحوي مبتسمًا ثم جلس على كرسي في المقابل.. زفر دخانه بقوة قبل أن يردف بود:

- إزيك يا أستاذ فارس؟ حلو النيولوك.

أومأت برأسي مبتسمًا:

- شكرًا يا دكتور فوزي.

فتابع مبتسمًا:

- ها العلاج جاب نتيجة؟

- هو الشخص اللي كان بيظهر لي دا، ما ظهرش غير مرة واحدة.

- هايل.

أردفت بضيق:

- هو المشكلة إني ما بقيتش أقدر أتحكم في أعصابي.

عبث في لحيته وأردف:

- طب احكي.

قلت بتعجب:

- هو ممكن حد يبقى بيتقن لغة وما يعرفش إنه بيتكلمها؟

أردف في حيرة:

- إزاي؟!

- يعني أنا باتكلم ألماني كويس وأنا ما اعرفش.
شرد في بعين ثاقبة:
- أكيد أنت كنت بتعرف ألماني بس نسيت حاجات في الحادثة اللي حصلت لك.
- مش عارف.
تنهد وأردف:
- خير يا أستاذ فارس. أنت تواظب على العلاج بس وكله هيبقى تمام.

* * *

الساعة 2 صباحًا..

أجلس بغرفة مكتبي بشقتي.. أتناول سيجارة من مخدر الحشيش وأزفر دخانها بقوة في الهواء.. الضوء خافت من الأباجورة الصغيرة على المكتب.. أشعر بسيل من الأفكار المتواردة في عقلي.. ما حدث البارحة مع فرح! دكتور فوزي الذي لا يعالجني بل يزيد تساؤلاتي يومًا تلو الآخر.. ضغطت على زر التشغيل في الـ laptop ثم سحبت نفسًا بقوة أنتظره أن يستيقظ من ثباته.. دسست يدي اليمنى في جيب بيجامة النوم السوداء وأخرجت الفلاشة.. نظرت لها مبتسمًا بخبث ثم دسستها بمدخل الـ usb وانتظرت.. ضغطت زر تشغيل الفيديو..

موسيقا غريبة.. قرع طبول.. أشعر بأنني أصابني الصمم.. تعلو وتزيد.. تداخل آلات غريبة.. دوار، رؤية مشوشة.. ضوء ساطع...

GAMECANGAMECANGAMECAN

المكان غرفة نوم وثيرة يتوسطها سرير ضخم فرش بعناية على الجانب الأيسر منه كومود والأيمن كذلك.. دولاب ضخم في المقابل يقترب من الجدار، وتسريحة أمام السرير على يسار الكاميرا.. الكاميرا تظهر الغرفة من أعلى بمنظور أفقي واسع، وعلى يسارها السرير ويمينها التسريحة وخلفهما

الدولاب.. جلست نور أمام المرآة على كرسي وتحملق بثبات في وجهها.. تحركت الكاميرا وكأنها تصور أحد مشاهدها حتى رأيت صورة وجهها في المرآة لكن لم أرَ انعكاس الكاميرا خلفها..

Flash back

الفيديو يعمل بشكل عكسي بسرعة حتى ظهر الفيديو الذي يجمعني بنور، أشحت نظري بعيدًا عن الفيديو ثم عدت أنظر ثانية.. لأرى رشاد يضع الكاميرات في الغرفة.. يثبتها في كل مكان.. يغير المرآة بأخرى ويضع خلفها كاميرا.. خبأ كاميرات كثيرة في الغرفة بكل مكان..

جحظت عيني من الدهشة.. انطفأ الفيديو.. زفرت بقوة مع آخر نفس من سيجارتي ثم أطفأتها.. قمت من الكرسي أستعد لكي أغلق الـ laptop لكن الفيديو عاد ثانية.. وميض قوي...

Gamecan

أسفل كوبري يرتفع سبعة أمتار.. صوت السيارات يرن في أذني بقوة ويسبب لي طنينًا حادًا.. الأرض زراعية طينية كساها العشب ومليئة بأشجار النخيل.. الكوبري يشق هذه الأرض الزراعية.. أقف بالجانب الأيمن من الكوبري.. الوقت قرب الغروب.. الأرض خالية.. عيناي تشعان غضبًا ويتطاير منهما الشرر.. نظرت أسفل قدمي لأرى رشاد غارقًا في دمائه.. يتنفس بصعوبة وينتحب.. يبكي وينظر لي بتوسل.. ركلته بقدمي اليمنى في معدته..

قال بتوسل:

- أبوس إيدك خلاص.

ظللت أركله بقوة وأردد:

- ليه يا ابن الكلب؟

أغلق الفيديو لأجده.. ذلك العجوز يجلس على الكرسي الأيمن أمام المكتب.. يرتدي حلته المعتادة.. بدا متأنقًا هذه المرة ونظر لي بخبث وقال بلوم:

- يعني تخونه مع مراته وتقتله كمان؟!

نظرت له بخوف فأضاف:

- شفت أنت جواك وحش إزاي؟! طب ما عملتش كدا ليه في عاطف. تقتل الراجل عشان صورك مع مراته؟ خايف تتفضح؟!

تنهدت بقوة وأردفت:

- الفيديو دا مش حقيقي.

ضحك بصوت عالٍ وتابع:

- كل اللي شُفته حَقيقي يا فارس.

اختفى وظل الصوت يرن في أذني مرات ومرات........

* * *

الثلاثاء 26 فبراير..

الساعة 3 مساء..

مضت الساعات الماضية كمرور دهر.. تنازلت عن الكثير حتى أعود إلى العمل وما كان مني إلا أن جمعت الزملاء صباحًا بصالة التحرير وتأسفت عما حدث على الملأ.. قلت تناولت مخدرًا دون وعي عبث بعقلي وقبّلت رأس كومة اللحم عاطف لكنه لم يكن ليقبل سوى بوعد أن أوفيه بتحقيق سيقلب الدنيا رأسًا على عقب.. لا تردد فيما فعلت ولا ينقص من كرامتي بشيء.. رؤية ريماس تجعلني أفعل أي شيء لتغدو سعيدة.. كيف إن تركت العمل وعلمت بذلك؟! ما زال هناك الأب الحنون بداخلي رغم بذاءاتي..

أجلس في مكتبي بالجريدة راضيًا عن ذاتي وإن كان بشكل لحظي.. تنهدت وابتسمت.. أرحت رأسي على الكرسي وطقطقت فقرات رقبتي برفق.. ضحكت عندما تذكرت عاطف ثم أشعلت سيجارة..

رنَّ الهاتف، التقطه وأجبت بهدوء:

- ألووو.

أتى صوت أنثوي عذب مهذب:

- أستاذ فارس؟

- خير؟
- مع حضرتك إسراء حميد من مستشفى صحة.
- أهلًا بحضرتك.
- أستاذ رشاد عبد التواب لسّا خارج من العناية وطالب يقابلك.
قمت من الكرسي مندهشًا وأردفت:
- ما له؟!!
- حد اعتدى عليه.
أغلقت الهاتف.. لم أتمالك أعصابي والصوت يرن في أذني "كل اللي شُفته حقيقي يا فارس".

* * *

سرت في الممر الطولي بخطوات متسارعة.. كان الممر بعرض ثلاثة أمتار.. الجدران بيضاء وكذلك الأرضية.. غرف على الجانبين ذات أبواب بِيضاء تحمل لافتات عليها أرقام.. الممر هادئ والساعة الآن السادسة مساء.. أمضي في الطابق الثالث بعد أن صعدت السلم على قدمي.. رشاد بالغرفة رقم ثمانية عشر، وقد خرج من العناية منذ ساعات..
وقفت بعد أن وجدت رقم الغرفة أمامي ثم اقتربت من الباب وطرقته برفق قبل أن أدير المقبض وأدلف الغرفة ثم أغلقت الباب خلفي بهدوء..
كانت الغرفة من الداخل بيضاء الجدران بها سرير واحد ونافذة زجاجية كبيرة بطول الجدار على يمين السرير الذي يتوسط الغرفة.. بالقرب من جدار باب الغرفة أريكة جلدية سوداء.. المكيف في مقابل السرير ودولاب صغير على يساره..
رشاد مستيقظ على السرير.. كان يتناول طعامه بنهم وكأنه لم يأكل منذ أعوام.. بدا أنه في حالة جيدة إلا قليل من الكدمات في وجهه.. رآني فتابع تناول طعامه غير مكترث.. اقتربت منه حتى أصبحت أمام السرير وظللت أنظر له بعين ثابتة..

قال بهدوء بفم مملوء بالطعام:

- كان ممكن أحبسك بس المسامح كريم.

ثم تابع بعد أن تناول ما في فمه:

- أنا ماسك عليك فيديو وأنت عارف إني قتلت نور. أظن كدا خالصين. إيه رأيك نفتح صفحة جديدة؟

قلت محتقرًا:

- عمري ما تخيلت إنك حقير كدا. وكنت عمال تمثل عليّ، وعامل إنك بتحبها.

أردف مبتسمًا:

- كانت كدا كدا هتموت. أنت شُفت كانت عاملة إزاي؟!

- عشان كدا كنت خايف ندور وراها؟

ثم أضفت بعين ثابتة:

- قتلتها ليه؟

قال بلا مبالاة:

- المجنونة كانت عايزة تكتب لك كل حاجة بيع وشرا. هي آها لما عرفتك طلبت الطلاق وانفصلنا بس كان لازم نكمل فترة على ما نفض الشراكة اللي بيْننا.

ثم أضاف:

- من يوم ما ظهرت في حياتها وهي اتغيرت وعرفت بالصدفة إنك السبب، لكن كنت طلقتها واتفاجئت من المحامي بالصدفة إنها عايزة تبيع لك كل حاجة..

سألت ببلاهة:

- ليه ما قالتش إنكم انفصلتم؟

- أكيد عارفة إنك ما لكش في الجواز.

ثم تنهد وتابع:

- كل دا حصل بعد الحالة اللي دخلت فيها.

تذكرت ما رأيته في الفيديو عندما أردت أن أنهي علاقتنا، وما أرادت أن تفعله لأجلي ثم قلت بغضب:

- يا ابن الكلب، وصورتنا ليه؟

- عشان يوم زي دا.

أضفت بغضب عاتٍ:

- بعت الفيديو لعاطف ليه؟!

قال ببلاهة:

- أنا ما بعتش حاجة!

ثم تابع بهدوء:

- أنا بعت لك أنت بس.

- يعني إيه؟!

قال متحدياً:

- شوف مين بيراقبك!

توجهت ناحية الباب فقال بتحفز:

- أنت عرفت إزاي إني قتلتها!

قلت بسخرية:

- ما عرفتش. أنا ضربتك لأنك وسخ.

نظر لي ببلاهة وأردف بود:

- ماشي، بس ما تنساش إن كل واحد فينا رقبته تحت سكينة التاني.

* * *

الأربعاء 27 فبراير..

الساعة 9:30 مساءً..

ظل يعبث بالـ laptop غير عابئ بوجودي أمامه على الكرسي الأيمن من المكتب.. عبث في لحيته البيضاء الكثة كثيراً ثم تناول كتاباً مكتوباً بالإنجليزية.. ارتدى نظارات القراءة وظل يقرأ.. تنهدت مرات وتنحنحت

لكن لم يكترث لأمري.. تناولت سجائري وأشعلت واحدة ثم زفرت دخانها بحنق.. قام من أمام كرسي المكتب ثم جلس أمام المكتب على الكرسي الأيسر.. ظل يتفحص الغرفة بنظره لبعض الوقت حتى قاطعته..

- دكتور فوزي، أنت كويس؟

فمال بجسده للأمام وأردف بخجل:

- أستاذ فارس. أنا آسف مش هاقدر أكمل.

قلت ببلاهة:

- ليه؟!

- مش هاقدر أساعدك. أنا مش قادر أشخص حالتك كويس واحترامًا للمهنة أنا ما اقدرش آخد منك فلوس قصاد حاجة مش عارف أعملها.

تنهدت وقلت:

- لكن يا دكتور فوزي....

قاطعني وهو يريح ظهره للخلف:

- صدقني كدا أفضل.

أردفت بغيظ:

- وهي آداب المهنة بتقول إنك تتخلى عن مريض؟!

- للأسف أن مضطر أنهي المقابلة. فرصة سعيدة.

قمت وابتسمت بخبث ثم أردفت:

- ماشي يا فوزي.

ثم توجهت نحو باب الغرفة...

* * *

وقفت أمام الحوض في حمام شقتي.. بخار ماء كثيف في الحمام.. زجاج الدش خلفي باهت بفعل بخار الماء الذي زاد الدفء.. مسحت على المرآة براحة يدي وظللت أنظر في وجهي عن كثب.. تأملت ملامحي والتجاعيد التي غزت وجهي.. خطا الابتسامة فوق شفتي قد ظهرا والتجاعيد حول عيني أيضًا.. شعرت باليأس والمعاناة.. الشعرات البيضاء كست لحيتي

وشعري قد أنبت خصلات بيضاء.. مددت يدي وتناولت منشفة عن يساري، جففت جسدي برفق ثم ارتديت ملابسي وخرجت من الحمام..

مضيت في الممر الطولي بخطوات مثقلة حتى اقتربت من صالون الاستقبال ونمت على الأريكة.. ضممت ركبتي إلى صدري كطفل في رحم أمه لم يأتِ إلى الحياة.. النوم لا يداعب جفني.. فقط أتنهد بعمق وأشعر باليأس..

رأيت العجوز يجلس على كرسي يسار الأريكة.. نظر لي بخبث ثم أردف بثقة:

- مش قُلت لك كل اللي بتشوفه حقيقي؟

ثم تابع:

- اتأكدت إني صح؟!

قلت بيأس:

- ما بقيتش عارف...

قاطعني:

- آديك شُفت، لسّا مش مصدق؟

وتابع:

- حتى ملك وعمر حقيقة..

انسابت دمعات من عيني فأضاف:

- مش طول عمرك شايفها خاينة وبتشك فيها؟

قام ووقف أمامي ثم أردف:

- لكن مش قادر تعملها حاجة. عارف ليه؟

- ليه؟!

- الخيانة بتعلم الدياثة فطبيعي تبقى كدا..

ظلت كلماته ترن في أذني بعد أن اختفى..

* * *

الخميس 28 فبراير..

الساعة 10 صباحًا..

مسحت على رأسي برفق.. فتحت عيني ببطء لأرى ملك تقف أمامي وتميل بجسدها عليّ.. ما زلت نائمًا على الأريكة في الصالة منذ البارحة.. ابتسمت برفق محاولًا تناسي ما حدث البارحة، لكن الصوت يرن في أذني يخبرني بخيانة ملك وعمر.. صراع داخلي لكني أقاوم ذلك الهاجس بعد أن عادت حياتي لما كانت عليه..

ترتدي روبًا أسود مفتوحًا أسفله بيجامة نوم قطيفة.. عيناها ناعستان كساهما الحب والشفقة، ثم جلست على الأرضية بالقرب من جسدي المُدد على الأريكة وظلت تعبث في شعري برفق..

قلت بجفن مُثقل:

- ريمو فين؟

- الباص أخدها من شوية يا حبيبي.

ثم تابعت بحب:

- نايم في الصالة ليه؟ أنت زعلان مني؟

ابتسمت وأردفت:

- لا يا حبيبتي.

- مش بتاخد علاج شعرك ليه؟

قلت بيأس:

- مش هيفرق يا ملك. مش هيفرق.

قالت بضيق:

- ما لك يا فارس؟

- مافيش يا ملك. أنا هاقوم أروح الشغل.

- مش هتفطر.

تنهدت وقلت:

- هافطر في الشغل.

* * *

فتحت باب المكتب بقوة معها انتفض جسد عاطف على كرسي المكتب الوثير.. تقدَّمت بثقة ليث متحفز.. كان يرتدي حلته الرسمية البنية.. أمامه ملفات متراصة، ويحملق فيّ بخوف وود.. جلست على الكرسي الأيمن ونظرت إلى المكتبة أمامي التي سقط زجاجها الأمامي من قبل، وكانت كما هي على حالتها.. وضعت أغراضي على المكتب ثم أشعلت سيجارة وزفرت دخانها بقوة.. دقائق صمت يتخللها نظرات واهية.. ابتسمت له برفق فبادرني الابتسامة بخوف..

قلت بثقة:

- عاطف، أنت شايفني مجنون؟

قال بصوت متقطع:

- مين قال كدا؟

- يعني مش زعلان عشان ضربتك؟

صمت فأضفت:

- ما تزعلش يا عاطف. اعتبرني ميرفت.

ثم ضحكت حتى سعلت وتابعت:

- عارف إني هابقى زي نور.

نظر لي ببلاهة فأردفت:

- ما تستغربش. قريب جدًّا هيحصل لي زيها.

قال في حيرة:

- ليه بتقول كدا؟

- عشان دي الحقيقة. دا التحقيق اللي وعدتك إنه هيقلب الدنيا وأنا قدامك أهو تقدر تكتب تقرير عن حالتي كلها شهور وأموت. فرصتك جات لك لحد عندك.

ثم تنهدت بعد أن زفرت نفس الدخان بقوة:

- لكن ما تسألنيش عن حاجة؛ لأني مش فاكر أي حاجة والأعراض بدأت تزيد عندي.

قال بتردد:

- مش وقت هزار.

- عارف أنا حالق شعري بالموس ليه؟

- ليه؟!

- لأنه بدأ يقع.

قال بخوف:

- طب ما حاولتش تتعالج؟

ضحكت وأردفت:

- كانت نور اتعالجت.

ثم أطفأت السيجارة وقمت، قلت مبتسمًا:

- ما تزعلش مني يا عاطف. ادعي لي من قلبك.

غادرت الغرفة متجهًا لمكتبي مطأطأ الرأس..

* * *

جلست في مكتبي شاردًا.. مستندًا برأسي على راحتي يدي بعد أن جلست على كرسي المكتب الجلدي.. انسابت دمعات برفق على وجنتي.. تذكرت مشاهد باهتة مشوشة لم أتبينها.. أصوات متداخلة كصراخ وتأوه يتخللها أصوات موسيقا أنغام شعبية.. صوت فتح زجاجات بيرة.. موسيقا صاخبة ثم عواء.. أسمع دبيب النمل وأصوات عقارب الساعة.. اعتدلت وقبضت على رأسي بكلتا يدي.. طرقات متتابعة على الباب برفق ثم دلف محمد يحمل حزمة ملفات على يده اليمنى.. تقدَّم بخجل ثم وضعها على المكتب..

قال بود:

- أستاذ فارس ما لك؟

- بخير يا محمد.
فأردف بحياء:
- حضرتك شكلك مرهق.
أومأت برأسي فتابع:
- دي ملفات فؤاد رحمي اللي طلبتها.
قلت في حيرة:
- فؤاد مين؟! أنا ما طلبتش حاجة.
- فؤاد رحمي الدجال اللي عملنا عنه تحقيق من 3 سنين.
أشرت له ليجلس ثم قلت:
- فكرني بيه يا محمد.
جلس أمام المكتب وأردف:
- دا دجال كان بيدعي إنه يقدر يحضر أرواح ويستخدم السحر في إنه يغني أي شخص وضحك على رجال أعمال كبار. وكنا ناشرين تحقيق مفصل عنه.
- وهو فين دلوقتي؟
- هرب برّا مصر بعد ما سرق ملايين.
قام ثم قال:
- استأذنك يا أستاذ فارس.
ثم غادر وأغلق الباب برفق.. أرحت رأسي للخلف ونظرت لسقف الغرفة ثم أغمضت عيني..

كان الطريق طينيًّا يبلغ عرضه ثمانية أمتار، على جانبه الأيسر ترعة مياهها ضحلة بالكاد جفت، وعلى جانبه الأيمن أرض زراعية ممتدة من أشجار النخيل والموز.. الضوء ساطع مصدره مصابيح سيارتي الأمامية التي

أنارت الطريق لمترات ومن ثم ظلام دامس بعد ذلك.. الوقت ليلًا لا أعرف الساعة تحديدًا لكن بدا وكأنه في غياهب الليل، فلا أحد يمرّ من هنا..

أقف مستندًا على الباب الأمامي لسيارتي من اليسار.. أعبث في الهاتف برفق و أدندن لحنًا كئيبًا.. سمعت صوت عجلات سيارة تأتي من بعيد ولم تشعل الضوء.. تقدمت ببطء لأراها.. كانت سيارة سوداء فارهة marcedes.. وصلت بالقرب من سيارتي، تبتعد مسافة مترات ثم ترجل منها شخص يحمل حقيبة سوداء..

كان أسود البشرة.. طويل اللحية وخفيف الشارب.. أصلع الرأس.. أربعيني.. ممتلئ الجسد.. برزت علامة الصلاة فوق جبهته.. عيناه تحملان مكر ثعلب.. يرتدي جلبابًا أبيض وعلى كتفيه شال أبيض.. مشى ببطء.. اقتربت منه حتى وقفنا بين السيارتين..

قال بود:

- كان لازم تجيبنا المكان دا؟

- أنت عارف مركزي. أخاف حد يشوفني معاك.

فأردف بسخرية:

- شغلنا اللي عمل الفلوس اللي عندك، مش مركزك يا عم فارس؟

ثم ناولني الحقيبة وتابع:

- دول ستة مليون جنيه نصيبك.

- تمام.

أردف مقطبًا:

- أنا مش لاعب خلاص.

- ليه يا فؤاد؟!

- كفاية تعبت من السكة دي.

قلت برفق:

- على راحتك.

ثم تحرك نحو سيارته واستدار ينظر لي بتوجس:

- ما بتفكرش تشتغل في الحوار دا؟

- يا ريت أقدر.

فضحك وأردف:

- يا راجل دا أنت الجن يخاف منك. أنت الحاجات اللي بتحصل لك دي مش طبيعية خالص.

قلت ضاحكًا:

- لا أنا أصطاد زباين آها. أشتغل في دا لأ.

شعرت بمن يمسح على رأسي برفق.. فتحت عيني ببطء وجفن مُثقل.. كان عمر يقف بالقرب مني أمام كرسي المكتب.. يرتدي بنطالًا أسود وجاكيت أبيض مغلقًا.. تأملته في شرود..

ابتسم برفق ثم قال بعطف:

- ما لك يا فارس؟ أنا هنا من بدري.

- تعبان شوية بس.

ثم استدار وجلس أمامي على كرسي المكتب وتابع:

- ألف سلامة عليك.

تناولت سيجارة أشعلتها وناولته واحدة فأضاف:

- أنت ليه ما قُلتش إن دكتور فوزي رفض يكمل العلاج؟

قلت بضيق:

- دا ابن كلب، هو دا اللي جايبه يعالجني؟!

- على فكرة كلمني امبارح يعتذر وقال لي إن حالتك ما لهاش تشخيص عنده.

ثم سحب نفسًا عميقًا وزفره بقوة وتابع:

- أنا طبعًا ما سكتش فضلت أزعق لحد ما قال لي إنك حاولت تعتدي عليه أكتر من مرّة وفي مرّة كنت هتقتله.

أردفت غاضبًا:

- دا كداب.

- تفتكر هيكدب ليه؟!

ثم أضاف بأسى:

- فارس أنت فعلًا بقت تصرفاتك مش طبيعية خالص. أنا هاسهر النهار دا. يا ريت تيجي عشان تهدي أعصابك شوية.

- أوك نتقابل بالليل.

* * *

-6-

عندما تقع في فخّ القدر لا تعدو الإرادة سوى مقاومة فأر يلفظ أنفاسه الأخيرة..

السبت 2 مارس..

الساعة 11 مساءً..

صففت السيارة على جانب الطريق ثم ترجلت.. تقدَّمت ببطء ثم وقفت أمام الكورنيش.. أخرجت علبة سجائري وأشعلت واحدة، زفرت الدخان بقوة في الهواء.. ثم نظرت لماء النيل أمامي وشردت أتأمله.. لماذا لا يوجد به موج؟! لماذا لا يثور؟! ربما لأنه ماء عذب.. هكذا نحن نثور وتتحرك الأحداث بقوة في حياتنا عندما تكثر بها الشوائب.. ليتني كهذا النيل بلا علاقات هادئ.. حياتي رتيبة بلا شيء يُذكر..

استندت بيدي على السور الحديدي أمامي ثم سحبت نفسًا أخيرًا ورميت سيجارتي بالنيل..

قال بسخرية:

- مش غلط كدا؟ هتلوث الميّه.

نظرت عن يميني لأجد العجوز بذات الزي يقف ينظر للأمام لم يلتفت لي ثم تابع:

- ما تبصليش أحسن الناس يفتكروك مجنون.

- ما بقتش فارقة. الناس صعب ترضيها.

ضحك وأردف:

- حلوة صح؟!

- مصر!
قال بثقة:
- لأ، فرح.
- مش مهتم.
ابتسم وأردف:
- دا أنت عِينك هتطلع عليها. بصراحة هي أحلى من ملك.
قلت ساخرًا:
- أنا واحد هاموت قريب، تفتكر هابص لواحدة بالنظرة الدونية دي؟
- وإيه الجديد؟ ما انت طول عمرك طفس.
أردفت بضيق:
- الجديد إني اكتشفت إني كنت غلط.
- رد على تليفونك.
التقطت الهاتف من جيب بنطالي وأجبت:
- ألو.
أتى صوت بالكاد سمعته من الصخب:
- روستو.
- مايكل.
- مستنيك ما تتأخرش.
ابتسمت وأردفت:
- جاي لك..
أغلقت الهاتف نظرت حولي لكن لم أجد العجوز، فتوجهت نحو السيارة..

* * *

الساعة 12:10 صباحًا.

دسست الهاتف توًّا في جيب بنطالي بعد أن نظرت في الساعة.. أمضي مرتطمًا بالأجساد بقوة وأتقدم.. الموسيقا عالية ترن في أذني.. الأضواء خافتة..

تدور الكرات فوق رأسي وتسبب تبادل الأضواء بين الأخضر والأزرق والأحمر.. الديسكو ممتلئ والطاولات أيضًا.. الكثيرون يرقصون بنشوة بكل مكان.. مشهد فوضوي عبثي مقزز لكن لذيذ.. يزيد الأدرينالين في جسدي لأشعر بنشوة..

مايكل أمامي على بعد بضعة خطوات بيده كأس من الـ red wine.. تجرعه دفعة واحدة.. جلست بالقرب منه مولة.. بالأحرى لا ترتدي.. وضعت قدمًا فوق الأخرى.. جيبة قصيرة أظهرت فخذيها وبلوزة كات.. تمايلت بعنفوان.. هنالك كرسي أخير شاغر يتسع لفرد آخر وبالأحرى كان لي..

اقتربت منهما فقام مايكل وسلَّم عليّ بود:

- روستو سلَّم على مولة.

سلمت عليها ببرود فتابع:

- عاجباني دماغك.

ثم مسح على رأسي وضحك بقوة وأضاف:

- مولة كانت هتموت وتشوفك.

جلسنا ثم ظللت أتفحصها.. كانت بيضاء ذات أنف صغير به حلقة معدنية.. تضع الكثير من مساحيق التبرج وروج موف على شفتين ممتلئتين.. حاجبان متقطعان لثلاثة خطوط.. شعر أسود تتخلله خصلات خضراء.. جسد ممشوق بارز.. عينان حمراوان غائرتان.. تاتو عين حورس بالذراع الأيمن..

ابتسمت وقلت بودٍ:

- مش صقعانة؟!

قالت ببرود:

- تعبانة.

وكزني مايكل في كتفي وقال وهو يضحك:

- بتقول لك تعبانة يا روستو.
نظرت لنا وقالت بغضب تخاطبني:
- تعبانة منك، بقالك فترة مش بتسأل عني وسايبني. أنت اتغيرت قوي.
- ماعلش يا مولة.
مال مايكل على أذني وهمس قائلًا:
- اطلع ريح في المكتب عندي شوية وخد مولة معاك.
ثم ناولني المفتاح وغمز بعينه لمولة، وقال وهو يحرك رأسه:
- مولة روحي مع فارس يلا.
فابتسمت بفرح وقامت:
- يلا يا فارس.
ثم جذبتني من يدي بقوة..

* * *

كانت الإضاءة عالية بغرفة مكتب مايكل.. وقفنا أمام باب خشبي بداخل الغرفة.. قبضت على مقبضي الباب الخشبي الجرار بكلتا يديها ثم فتحته بقوة، وجذبتني من يدي وتقدمنا نحو الغرفة ببطء..

كانت الغرفة من الداخل خافتة الإضاءة بها سرير ضخم، وثلاجة قصيرة بطول ستة أقدام تحتوي على مشروبات كحولية.. الجدران خشبية والغرفة متوسطة الحجم.. جذبتني بقوة نحو السرير ثم دفعتني لأجلس على حافته..

قمت محاولًا كبح جماح نفسي.. اقتربت مني ثم ضمتني بقوة.. حاولت أن تقبلني مرات لكني تمالكت نفسي حتى قالت غاضبة:
- إيه يا فارس ما لك؟
قلت بأسى:
- مش هينفع يا مولة.
- فارس، أنت نسيت إني مراتك؟!

أردفت ببلاهة:

- وأنا اتجوزتك إمتى؟!

قالت بغضب:

- إيه يا فارس؟!! أنت بقيت غريب قووي، زي ما تكون حد تاني ما اعرفوش.

- اتجوزنا عرفي؟

ضحكت وأردفت:

- أمال رسمي؟!

شعرت بألم يعتصر معدتي.. حاولت ألا أظهر ما أشعر به.. الألم يزيد بقوة وكأن نصل رمح غرس في معدتي.. دوار حاد وآلام في رقبتي.. تأوهت أخيراً ثم صرخت من الألم.. وضعت يدي على معدتي.

قالت بفزع:

- ما لك يا فارس؟

سقطت على ركبتي ثم ملت بجسدي وتقيأت.. دماء خالصة وقطع دماء متجمدة.. ظلت تصيح بفزع..

- فارس.. الحقوني.

ثم ركضت خارج الغرفة.. رأيتها بصورة مشوشة باهتة عندما كنت مسجياً على الأرضية...

* * *

فتحت عيني ببطء وتعب عندما كنت مستلقياً على سرير في غرفة بيضاء.. كان مايكل أمامي، أرى ظهره وبالقرب منه طبيب يرتدي معطفاً أبيض ويمسك أشعة بيده اليمنى ويرفعها للأعلى.. الإضاءة عالية والوقت غير معلوم لي.. مايكل يومئ برأسه ببلاهة يتصنع الفهم والطبيب يزفر بقوة..

قال في حيرة:

- مستر مايكل الأشعة سليمة! لكن دي أعراض قرحة معدة.

- يعني هو كويس ولا مش كويس؟!

أردف الطبيب بأسى:

- مش عارف.

- أمال مامتي اللي تعرف. هو حضرتك دكتور ولا سباك؟!

قال الطبيب بضيق:

- لو سمحت يا مستر...

قاطعه:

- لو سمحت أنت. أنا جاي هنا بفلوسي وعايز أفهم فارس ما له.

- أنا نفسي مش فاهم. التحاليل كويسة والأشعة كويسة وبتقول ما عندوش حاجة.

تأفف مايكل وأردف:

- يعني إيه؟

تنحنح الطبيب وقال بصوت متقطع:

- يعني لو عنده حاجة هيبقى حاجة ما قابلتش الطب قبل كدا.

قاطعتهما:

- الدكتور عنده حق يا مايكل.

التفتا لي وقال مايكل بتعجب:

- إزاي؟!

- اللي سمعته، اللي عندي ما لهوش علاج.

قال الطبيب وهو يمسك عويناته برفق:

- أعراض اللي بيحصل لك إيه؟

- مش هتفيدك يا دكتور.

* * *

الإثنين 4 مارس..

4:30 مساءً..

أزحت ذراعي توًا بعد أن نظرت في الساعة.. عدت أنظر أمامي من الأسفل نحو الأعلى بإعجاب مبتسمًا.. أقف أمام الهرم الأكبر مبتعدًا عنه

مترات.. ارتديت بنطالًا أسود وبلوفر كتان.. يقف بجواري عمر ينظر ببلاهة إلى الهرم أو كان بالأحرى غير مهتم.. أرتدي الجينز وبليزر كحلي.. الشمس بدأت تختفي بالأفق والجو يحمل برودة خفيفة.. شعاع الضوء يسقط على عيني لكنه لم ينل مني؛ لأنني ارتديت نظاراتي الشمسية.. دقائق من الصمت والشرود يتخللها صوت صافرات عمر..

قاطعته:

- أجدادنا دول كانوا عظماء قووي.

ثم تابعت وأنا أشير بيدي للهرم:

- شايف العبقرية والهندسة؟

قال ساخرًا:

- عاجبني حسك الوطني!

ثم تابع بعد أن التفت لي:

- أنت ما قُلتليش ليه إنك بتعرف روسي؟

قلت ببلاهة:

- أنا!

- روسي وألماني وفرنساوي وإيطالي وإنجليزي وأسباني.

وأضاف مازحًا:

- اتعلمت كل دا إمتى؟

أردفت بتعجب:

- أنا؟!!

- يا ابني أنت ما سبتش حد من السياح ما اتكلمتش معاه لدرجة إن المرشدين كانوا مستغربين منك جدًّا.

ابتسمت برفق وتابعت النظر للهرم..

* * *

الساعة 7 مساءً..

أجلس على مقهى شعبي بمنطقة الحسين.. أتأمل الناس في الطريق أمامي بين غاد وآت.. بشرود أتفحص الوجوه أمامي.. كنت خارج المقهى على كرسي خشبي رثٍ وأمامي ترابيزة صغيرة عليها كوب من الشاي الساخن.. قرّبت مبسم النرجيلة من شفتي وسحبت نفسًا عميقًا ومعه زفرت سيلًا من الدخان..

تناولت الهاتف من جيب بنطالي وبحثت في دليل الهاتف حتى وجدت اسم النقيب تامر ضغط زر الاتصال..

أتى صوتها بحزم:

- مين؟!

- مدام فرح؟

قالت بحزم:

- مين حضرتك؟

- أنا فارس حسين.

قالت بضيق:

- عايز إيه؟

- لو سمحت بس طالب أقابلك بكرة في موضوع مهم بخصوص المرحوم.

- موضوع إيه؟!

- مش هينفع في الموبايل. هاعدي عليكِ بكرة.

ثم أغلقت الهاتف وابتسمت بثقة...

* * *

الساعة 2:34 صباحًا..

بغرفة مكتبي بشقتي أشعلت توًا سيجارة الحشيش.. أمسكها بأصابع يدي اليمنى وأزفر دخانها بقوة.. أرحت رأسي على الكرسي ثم تفحصت الغرفة بنظري.. ثوان وبدأت مشاهد مشوشة تظهر بعقلي وأصوات ذبذبات حادة معها أطلقت ضحكة مكتومة ثم تابعت إلى أن ضحكت بصوت عالٍ..

مددت يدي وأخرجت الفلاشة من درج المكتب ثم دسستها بمدخل الـ USB وأشعلت الـ laptop مستندًا بكوعي الأيسر على المكتب منتظرًا أن يستيقظ من ثباته.. ضغطت الفيديو بعجل..

بدأت الموسيقا للتو.. تتداخل الأصوات.. طنين في أذني.. ألم حاد في رأسي.. تظهر الكلمة gamecan.

المكان في موقع الحادث..

الإضاءة خافتة والسيارة انقلبت على جانب الطريق.. بدأت النار تشتعل بها.. اقترب ثلاثة أشخاص لم أتبين هيئتهم لخفوت الإضاءة.. دنا واحد من باب السيارة الأمامي وتفحص الداخل ببصره ثم التفت لهما قائلًا..

- مش موجود.

فقال أحدهما بغضب وصوت أجش:

- يعني إيه؟! والحاجة اللي أخدها منه؟

فحص السيارة من الداخل بكشاف ضوء صغير وعاد يتحدث:

- الملف جوّا.

عاد صاحب الصوت الأجش يتحدث قائلًا:

- دوروا عليه. أكيد ما راحش بعيد.

قال الرجل الذي دنا من السيارة بخوف:

- النار خلاص هتوصل للتانك. اهربوا.

انطفأ الفيديو فعدت أتناول سيجارتي بشره، وظللت أضحك بقوة...

* * *

الثلاثاء 5 مارس..

الساعة 6:17 مساءً..

جلست على الترابيزة البلاستيكية في مركز اللغات.. مرّت نصف ساعة أنتظر فرح حتى تنهي المحاضرة.. أعبث في الهاتف بملل وأرتشف القهوة

السادة بضيق.. زادت حلقي مرارة وجعلتني مضطربًا.. أنظر للغرفة رقم ستة بين الحين والآخر.. أشعلت سيجارة وزفرت دخانها بملل.. السجائر أصبحت ما يطفئ مللي..

الكافتيريا خالية إلا مني وحدي.. بدوت متأنق الملبس.. ارتديت حلة رسمية سوداء وقميصًا أبيض مفتوح الأزرار العلوية.. رائحة عطري مميزة انتشرت بالمكان.. شغلت كاميرا الهاتف ونظرت لهيئتي شعرت بأن الصلع أكسبني وسامة أكثر من ذي قبل.. أنبتت فروة رأسي شعرات لم تتجاوز المليمترات جميعها بيضاء..

خرجت فرح من الغرفة أمامي.. ترتدي حجابًا صغيرًا أظهر خصلات ذهبية ومعطفًا أسود حتى منتصف الركبة.. رأتني فتقدمت ناحيتي بوجه خالي السمات.. تأففت بسخط ثم جلست أمامي..

قالت بضيق:

- خير؟

- تشربي إيه؟

ابتسمت ببرود وأردفت:

- شكرًا.

- تامر ما كانش له حد قريب منه. صديق في الداخلية يعني؟

- ليه؟

- عايز أفهم.

قالت بضيق:

- تفهم إيه؟

- أفهم اللي بيحصل لي وإيه اللي قدر يوصل له عن إبراهيم.

ثم أضفت بأسى:

- ما تكرهينيش قووي كدا. أنا عندي نفس حالة نور وكلها شهور وأموت ولازم أفهم يمكن أنقذ أرواح بريئة.

أردفت بريبة:
- مش عارفة أصدقك.. لكن....
ثم تنهدت وتابعت:
- المقدم محمود عثمان. دا تقريبًا كان صاحب تامر وصديق عمره.
- معاك رقمه؟!
أومأتَ برأسها ثم أخرجت الهاتف:
- اكتب ٠١.
كتبت الرقم بعجل ثم أردفت:
- يا ريت تعتبريني صديق ولو حصل أي حاجة كلميني.
ثم قمت وأضفت:
- شكرًا يا مدام فرح.

* * *

الساعة 8:20 مساءً.

جلس عمر خارج المقهى البلدي على طاولة بلاستيكية فوق رصيف عرضه ثلاثة مترات.. المقهى يشغل الرصيف ويمنع عبور المشاة.. على الرصيف غطاء من المشمع يمنع الأمطار عن الكراسي.. الطاولات منتشرة على الرصيف كصف وخالية من الرواد إلا من طاولة عمر التي تبتعد خطوات يسارًا عن باب المقهى..

أمامه نرجيلة طويلة يسحب منها أنفاسًا.. ارتعد جسده مرات من البرد القارس والريح العاصفة التي تحرك صف الأشجار بعنف أمام الرصيف.. كان يعبث في الهاتف غير مكترث بشيء حتى إنه لم يلحظ تقدمي منه..

جلست على كرسي بالقرب منه بعد أن وضعت أغراضي.. نظر لي مبتسمًا ثم عاد ينظر في الهاتف..

قال بلا مبالاة:
- خلصت؟
- آها خلصت. أنت إيه اللي مقعدك برّا في الجو دا؟

أردف بسخط:
- دوشة جوًّا. شوف عايز تشرب إيه.
صحت فيه بغضب:
- سيب الزفت دا وركز معايا شوية.
وضع الهاتف على الطاولة وأردف:
- معاك أهو.
- أنت شوفت مني تصرفات غريبة قبل كدا؟
شرد قليلًا وأردف:
- بصراحة آها، بس كنت باقول المخدرات اللي بتعمل كدا.
- إزاي؟!
- يعني كنت بتكلم ناس مش موجودة أحيانًا. ساعات بعد ما نشرب كانت بتطلب معاك عياط وصويت.
ثم شرد لوهلة وضحك فقلت مستفهمًا:
- بتضحك ليه؟!
- فاكر حنان؟
حركت رأسي يمنة ويسرة نافيًا فأضاف ضاحكًا:
- حنان البت اللي أخدتها من الديسكو ولما دخلت معاك الأوضة فضلت تضرب فيها لحد ما كانت هتموت في إيدك. حظك إني كنت معاك لولا كدا كان زمانك قتلتها.
- أنا عملت كدا ليه؟!
سحب نفسًا أخيرًا من النرجيلة وقال ببلاهة:
- مش عارف. حتى البنت رفضت تتكلم، وما شُفتش وشها من ساعتها.
- مايكل عارفها؟!
أومأ رأسه إيجابًا فتابعت:
- أنا عايز أوصل لها.

* * *

الأربعاء 7 مارس..

الساعة 11 صباحًا..

أطقطق بأصابعي فوق المكتب لأنهي حالة التجاهل.. جلس عاطف أمامي على كرسي مكتبه الجلدي يرتدي نظارات القراءة ويحملق في ملف يقرؤه بشرود وتفحص.. أراح النظارات على أنفه قليلًا بيده اليمنى ثم نظر لي نظرات ثاقبة فتوقفت وأشعلت سيجارة ومعها زفرت الدخان بقوة في الهواء.. طرق الباب برفق ثم دلفت ميرفت تحمل بيدها القهوة الخاصة بي.. اقتربت بخطوات أنثوية وتمايلت ثم مالت بجسدها بالقرب مني وهي تضع القهوة على المكتب.. شممت رائحة عِطرها القوي.. وتأملت البنطال الضيق الجينز والبلوزة القطيفة.. سحبت نفسًا عميقًا أشم رائحة عطرها ثم قلت بود:

- حلو قووي الـ berfume دا يا ميرفت.

ابتسمت برفق:

- شكرًا يا أستاذ فارس.

- لا بجد أنت متألقة النهار دا!

ثم نظرت لعَاطف الذي كان يرمقني بغضب وتابعت:

- شكل أستاذ عاطف بيغير.

احمر وجهها خجلًا فأردف عاطف بحزم:

- اتفضلي يا ميرفت وبعدين دي شغلة عم عوض ما تجيبيش قهوة تاني لحد.

نظرت له بغضب ثم غادرت ميرفت وقلت:

- فيه إيه يا عاطف؟ ما اعرفش إنك قفل قووي كدا.

- وأنا ما اعرفش إن عينك زايغة كدا!

ضحكت بقوة وأنا أرتشف فنجان القهوة الذي اهتز وسقط أغلبه على الأرضية ثم أردفت:

- مصر كلها عارفة دا.
ثم أردف عاطف بعد أن وضعت فنجان القهوة على المكتب:
- طيب نتكلم في المفيد.
أومأت برأسي وتابع:
- مشيرة ممدوح عندها نفس حالة نور وفي مستشفى الهلال دلوقتي.
قمت من الكرسي مندهشًا:
- وسايبني كل دا؟!!
ثم أضفت وأنا أغادر:
- أنت بتهزر يا عاطف.

* * *

الساعة 12:30 مساءً..

تفحصت جسدها، كانت نائمة شاحبة الوجه فوق سرير معدني أبيض قصير.. بطانية رثة على جسدها.. تتنفس بصعوبة وتتأوه بين الحين والآخر.. خصلات بيضاء وسقط أغلب شعر رأسها.. وجه مليء بالتجاعيد.. وجه سيدة تخطت السبعين عامًا.. يد ضعيفة ترتعش بقوة وبها إبرة محلول.. ظللت أتفحصها عندما كنت واقفًا بالقرب من الحامل الذي يحمل المحلول.. أصوات صاخبة في العنبر الذي احتوى عشرين سريرًا كفصين متوازيين يصنعان ممرًا ضيقًا.. الأرضية كانت بيضاء لكن الأوساخ خبأت لونها.. الجدران سقط أغلب دهانها.. بعض القطط تتمشى في العنبر ويعلو مواؤها..

مرت خمس دقائق واقفًا حتى شعرت بمن يربت على كتفي برفق.. استدرت لأرى رجلًا أربعينيًا رث الهيئة.. له شارب خفيف وعينان تحملان بؤسًا وشقاء.. ممتلئ الجسد.. شعر غزا الشيب القليل منه.. أنف صغير.. يرتدي بنطالًا وقميصًا.. بدا يرتجف من البرد قليلًا.. نظرت له بشفقة قبل أن يسأل مستفهمًا..
- حضرتك تعرفها؟
- لأ.

فأضاف بتوسل:
- حضرتك شكلك مقتدر أو دكتور هنا. ممكن تساعدنا؟
- أنا فارس حسين صحفي وجاي أعمل تحقيق عنها وأساعدك.
ثم أضفت بود:
- أنت تقرب لها إيه؟
- أنا سميح جوزها.
قلت برفق:
- إيه اللي حصل؟!
- ما حدش بيفيدني يا باشا والله تعبت. بقالها 3 أيّام مرمية في المستشفى وما حدش سأل فيها خالص. وأنا والله ما حيلتي حاجة عشان أعالجها.
أومأت برأسي في أسى وأردفت:
- هي كدا من إمتى؟
- من خمس شهور واحنا ناس على قد حالنا. كانت بتشوف خيالات غريبة رُحنا لشيوخ اللي يقول لك لبس واللي يقول مس لحد ما بدأ شعرها يقع وكبرت زي ما انت شايف.
- هي عندها كام سنة؟
- اتنين وأربعين سنة.
سمعت صوتها تتأوه فالتفت أنظرٍ لها بثقب.. ابتسمت بخبث ثم ظلت تنتفض بقوة في السرير حتى تقيأت دمًا..
دنا منها سميح وهو يصيح بفزع إلى أن لفظت أنفاسها الأخيرة..
مسحت على رأسي بيأس وغادرت..

* * *

عبرت باب المستشفى توًا.. نزلت درجتين من السلَّم الرخامي ثم استدرت ونظرت لأعلى لأرى لافتة المستشفى تحمل اسم مستشفى الهلال.. نظرات بين اليأس والعتاب وكأنني أحملها ذنب موت هذه المسكينة.. الفقر

معضلة لا حلَّ لها.. الفقر آثم.. حيوان فتاك ينهش في العقول والقلوب.. نحن درجات وهؤلاء البشر خارج التصنيف.. هؤلاء هم اليأس بعينه..

ظللت واقفًا أمام باب المستشفى لسويعات يرتطم بجسدي بعضهم عند الخروج والدخول..

رنَّ هاتفي فالتقطه من جيبي:

- أيوة يا عاطف.

- عملت إيه؟

أردفت بيأس:

- ولا حاجة ما لحقتش أعمل أي حاجة.

- حصل إيه؟!

قلت بأسى:

- الست ماتتِ.

فأضاف ساخرًا:

- أنت هتعيط؟ هي كانت من بقية أهلك!

صحت فيه بغضب:

- اقفل يا عاطف.

أغلقت المكالمة ثم بحثت في دليل الهاتف وضغطت زر الاتصال.. انتظرت أسمع رنين الهاتف حتى أتى صوت حاسم أجش..

- أيوة مين؟!

- محمود بيه؟

قال بحزم:

- أنت مين؟

- فارس حسينٍ.

فأردف متنهدًا:

- آهاااا فارس.

ثم صاح بأحدهم وعاد يتحدث:

- عايز إيه؟!

- عايز أقابلك.
قال بخبث:
- تنور، أنا في مكتبي مستنيك.
ثم أغلق الهاتف.. دسسته في جيب بنطالي ونزلت باقي الدرجات مغادرًا المستشفى..

* * *

الساعة 2:45 مساء

أشحت بنظري بعيدًا وهو يصيح بالمتهم الواقف أمامه.. كان شابًّا رفيعًا أسود.. حليق الرأس واللحية.. لديه ندبة كبيرة بالخد الأيسر.. يرتدي بنطال بيجامة وجاكيت أسود قماش مقطوع منه الذراع الأيسر فظهر ذراعه بوشم طولي مرسوم بغير احترافية.. ظل يصيح بطريقة فجة تسبب لي الصداع.. ظللت أنظر إلى اللافتة التي تحمل اسمه وتتوسط المكتب.. ثوان حتى دخل أحد الأمناء وأخذ المتهم وخرج..
استدار لي وتقدم بثقة.. يتنهد بقوة من العصبية الزائدة.. وجهه زاد حمرة.. رفيع وطويل.. متناسق الوجه.. لا شيء مميز به غير الوحمة البارزة أسفل ذقنه.. يرتدي بنطالًا جينز به جراب السلاح وقميص سماوي سادة.. حاجبان عاقدان عابثان..
نظر لي بسخط ثم ربت على كتفي بقوة وقال وهو يتجه لكرسي المكتب:
- عيال بنت كلب تحرق الدم.
وتابع بعد أن جلس على الكرسي:
- ربنا يتوب علينا بقى.
ثم أضاف بقسمات جامدة:
- فارس حسين، امممم. صحفي هلاس وبتاع نسوان. صح؟!

قلت ساخرًا:

- هو أنتو ليه باحسكم اسطمبة واحدة؟

- إحنا مين؟

ثم تابع:

- تقصد الظباط. أنا برضه شايفكم اسطمبة واحدة لكن مش شايف كل الصحفيين زيك. أنت نوع وساخة...

قاطعته:

- أنا جاي تساعدني مش تقول رأيك فيّ.

قام وصاح في بغضب:

- عايزني أموت أنا كمان؟ أنا اتجاهي في الشغل مش زي تامر، مش باعمل شغل الوزارة ما كلفتنيش بيه.

قلت مستعطفًا:

- يا محمود بيه. أنا قُلت للمرحوم يسيب حوار إبراهيم هو اللي كمِّل. مش معقولة كل الناس شايفاني وحش!

ثم تابعت:

- لو حكالك عن العقار دا فحابب أقول لك إني عندي الشيء دا.

قال ببلاهة:

- إزاي؟!

- يعني هاموت قريب، بس مش فاهم أخدت العقار دا إمتى.

تنهد برفق ثم أضفت:

- في ست في مستشفى الهلال اسمها مشيرة ممدوح. اسأل عن حالتها عشان تتأكد.

ثم قمت مغادرًا..

* * *

الساعة 11 مساءً..

وضعت صغيرتي ريماس الـ headphones واهتز جسدها بقوة.. تدندن لحنًا أجنبيًّا.. جميلة منسدلة الشعر البني.. ترتدي بيجامة النوم وتجلس فوق سريرها القرفصاء.. إضاءة خافتة مصدرها الأباجورة الصغيرة فوق الكومود بجانب السرير..

ما زلت أقف أمام الباب أمسك مقبض الباب بيدي اليمنى وأستند بساعدي الأيسر على الحائط لكنها لم تلحظ وجودي.. ضغطت على مفتاح الإضاءة الذي كان بالقرب مني.. نظرت مبتسمة ثم أزاحت الـ headphones عن رأسها..

قالت مبتسمة:

- بابا وحشتني.

تقدمت بلهفة ثم جلست على حافة السرير. ضممتها برفق وأردفت:

- وحشتيني يا قلب بابا. عاملة إيه في الدراسة؟!

- كان عندي امتحان النهار دا وجبت أعلى واحدة فالـ mates. ميس هايدي خلت الـ mates يصقفوا لي.

مسحت على شعرها برفق:

- ريمو أنت بقيت كبيرة صح؟

أومأت رأسها فتابعت:

- يعني بابا لو سافر قريب وما رجعش تاني هتبقي شاطرة كدا على طول؟

قالت بتحفز:

- هتاخدني معاك يا بابا.

ضممتها بقوة وأردفت:

- بعد الشر عنك يا حبيبتي. أنا هاروح عند ربنا.

ثم انسابت دمعات على وجنتي برفق. فقالت بغضب:
- كدا غلط يا بابا. اللي بيروح عند ربنا مش شر.
مسحت على شعرها بقوة:
- الحق بقى شر يا ريمو..

وأغمضت عيني برفق.. استيقظت مسجيّا على السرير وملك تعتلي جسدي وتصفعني بقوة.. تصيح بهستيريا وتلطمني على وجهي.. لم أفهم ما يحدث سوى عندما رأيت ريماس على الأرضية تنزف دمًّا من وجهها..

ملك صاحت فيّ بغضب:
- كنت هتقتلها يا مجنون. أنت مريض نفسي........
ثم رأيت صورة مشوشة وتابعت نومي..

-7-

مضى الزمان يقرِّب الأجل.. وشمس الأمل عني تغيب

ليت السنون تخطئ زللًا.. فيخطئ عني سيف المشيب

فارس حسين

كتابة الخواطر ضآلة الضعفاء.. القنوط كفرٌ بين ومحض أفكار عابثة، وأيضًا الإيمان في عالم فوضوي تذكرة عبور لجنون حتمي.. الكلمات كالسهم تخترق الآذان وتصل لهدفها المنشود إن قذفها القلب..

عدت وحيدًا بلا رفقة.. الناس حولي وعقلي بالشرود سجين.. أفتش عن ذاتي ولا أعي كيف السبيل.. مضت ثلاثة أيام بعد أن غادرت ملك الشقة.. أجلس ألوم عقلي على ما صنع.. في طريقي لفقدانه.. بل ضاع من قبل.. ريماس فقدت أربعة أسنانٍ أمامية من جراء اللكمة التي لا أعلم كيف سددتها إليها.. أصبحت عبئًا على الجميع.. أشعر بنظرات الخوف بالعمل.. من عاطف.. من عمر.. من الجميع..

يقولون مريض فقد عقله كاد أن يقتل ابنته.. كم من قصص قيلت ولا أعلم هل أصدقها أم لا! أنا لا أتذكر أو أتذكر أنني لم أفعل ثم أكذب نفسي.. ما أصعب هذا الشعور أن تصبح سجين كلمات تحركك!!

أنهيت بيت الشعر توًّا عندما كنت جالسًا على كرسي المكتب في شقتي.. تجاوزت الساعة الثانية عشرة صباحًا وبالقرب مني زجاجة خمر.. تناولتها وتجرعت رشفات ثم سحبت أنفاسًا من سيجارة الحشيش بعمق..

وعدت أردد ما كتبت من بيت شعري أحاول أن أجد كلمات في عقلي لأكمل القصيدة..

قلت ضاحكًا:
- فيخطئ عني سيف المشيب.
ظهر العجوز أمامي، رث الهيئة بذات الحلة المعتادة.. أمام المكتب، نظر لي بخبث وأردف:
- عارف القطر لما بيفقد السيطرة بيبقى صعب توقفه؟
ثم تابع:
- هو اللي بيحصل لك إيه؟ حاجة طبيعية بتكبر بس بسرعة شوية.
أردفت بيأس:
- مش خايف، لكن..
قاطعني:
- مش فاهم تصرفاتك.
- آها.
- تصرفات طبيعية من واحد الشر هو اللي بيحركه.
قلت ببلاهة:
- أحاول أقتل بنتي؟!
- مش يمكن عشان شايفها مش بنتك.
صحت فيه بغضب:
- أنت بتقول إيه؟!
- عارف أحلى عارض بيحصل لك إيه؟
صمت فتابع:
- أنا كل حاجة خايف تعملها بقيت بتعملها بدون إدراك. تقدر تقول بترجع طفل تاني لا قادر يميز صح من غلط.
- الأطفال بريئة!
- ما كنتش عايز أقول إنك في طريقك للجنون.
ثم ابتسم واختفى من أمامي..

* * *

الإثنين 11 مارس..

الساعة 1 مساءً..

أشعر بالخوف والوهن.. أتأمل الغرفة بعين غائرة.. غرفة مكتبي بالجريدة.. أمسكت ملفًّا لأحد التحقيقات المتداولة وظللت أقرأ به.. طُرق الباب برفق كان عم عوض.. وضع قهوتي على المكتب ثم غادر.. تناولت فنجان القهوة، وارتشفت منه القليل ثم وضعته.. أشعلت سيجارة وزفرت دخانها بقوة.. أرتدي حلة رسمية سوداء ورابطة عنق مثلها.. قمت من كرسي المكتب ثم تجولت بالغرفة.. ببطء وهدوء.. أنفاس متهدجة تحمل أسى ويأسًا..

فتح عاطف الباب برفق ثم دلف بتردد.. نظرت له وابتسمت.. بدا متأنقًا بجسد يتحرك بصعوبة.. تقدمت من الكرسي أمام المكتب فأردف قبل أن أجلس..

- ما لك يا فارس؟ هو الكلام اللي بيتقال عنك دا حقيقي؟

جلست ثم قلت:

- ما اعرفش يا عاطف.

اقترب وجلس على الكرسي المقابل ثم تابع:

- أنت فعلًا كنت هتقتل بنتك؟

- مش فاكر يا عاطف!

قال بأسى:

- طب ما رُحتش لدكتور نفساني.

- أنا عندي نفس حالة نور وتقريبًا بدأت أفقد التحكم في نفسي.

قال ببلاهة:

- تفتكر دي عدوى عشان علاقتك بيها؟!

- الحالة دي مش مرض.

ابتسم برفق:
- دي حاجة مش طبيعية، فأكيد مرض بس أنت مش عارف العلاج...
ثم أضاف بتحفز:
- أكيد فيه علاج يا فارس. حالة الشيخوخة دي غريبة جدًّا، في مجرد شهور تكبر سنين طويلة!
قلت بيأس بعد أن أطفأت السيجارة:
- حتى لو فيه علاج، على ما يكتشفوه أكون...
- اللي عندك دا مرض....
قاطعته بود:
- ما تزعلش مني لو يوم زعلتك.
ابتسم ثم قال:
- لو تعبان من الشغل...
قاطعته:
- لا الشغل أحسن من الوحدة.
- أنا في مكتبي لو احتجت حاجة.
ثم قام واتجه للباب ببطء...

* * *

الساعة 4 مساءً..

الجو يحمل دفئًا مصطنعًا بفعل مكيف الهواء.. جلست على طاولة بمقهى قريب من الجريدة.. الباب زجاجي مغلق.. الطاولات متناثرة بنظام.. الجدران مرسومة بجرافيتي.. لافتات كلمات أغاني قديمة.. الأرضية بنية تناسب طوب الديكور على الجدران.. المقهى ممتلئ والنادل يمرّ أمامي بين الحين والآخر..

ناديت بأدب:
- لو سمحت

اقترب وقال مبتسمًا:
- اتفضل يا أفندم.
- نسكافية بلاك..
- تحت أمر حضرتك.

ثم غادر وبعد دقائق نظرت للباب الزجاجي كان عمر يعبر برفق.. رآني وابتسم ثم تقدم بثقة وجلس أمامي..

قال بود:
- كنت جاي لك أطمن عليك. لقيتك بتقول لي قاعد هنا.
- زهقان شوية.
- ملك مصممة ما ترجعش تاني.
- عندها حق.

ثم شردت لحظات وأضفت:
- مش خايف مني؟
- أخاف ليه؟!

قلت بضيق:
- يعني واحد حاول يقتل بنته ممكن يعمل أي حاجة.
- أنا مش مصدق إنك تعمل كدا يا فارس.

ثم أضاف مبتسمًا:
- أنت عايز لك سهرة مع ميكا.
- ياعم أنا ناقص جنان.

ثم ضحكنا بصوت عالٍ محاولًا تناسي ما يمر بي...

* * *

الساعة 8 مساءً..

الظلام يحيط بي إلا من أضواء خافتة على الجانب الآخر عند الشاطئ هناك.. كان القارب يهتز برفق ويعلو الماء.. قارب صغير جلست فيه برفقة

مايكل وعمر، وذلك الرجل الذي يرتدي جلبابًا رثًّا بآخر القارب يوجهه ويقوده بنا.. كنا بمنتصف النيل وتوقف القارب يتمايل برفق.. جلسنا على حافة القارب بمنتصفه نضحك ونهيم بذكريات الطفولة.. كل واحد منا يمسك زجاجة من النبيذ الأحمر وسيجارة باليد الأخرى..

شعرت بنشوة مع الريح الخفيفة التي لفحت وجهي.. جسدي علت حرارته بفعل الكحول ورأسي هام بعالم من الأحلام بفعل مخدر الحشيش..

عم الصمت إلا من بعض الضحكات والهمهمات بين الحين والآخر.. مايكل يدندن لحنًا غريبًا بصوته وما أنكره.. ذلك ما زاد ضحكات عمر الذي جلس بالقرب منه..

ضحكت بقوة حتى سعلت وابتلعت باقي زجاجة النبيذ دفعة واحدة.. شعرت بالخدر في جسدي وزادت النشوة بزيادة الريح العاصفة.. سويعات حتى بدأت أمطار خفيفة تسقط فوق رؤوسنا.. تنفست بعمق ثم قمت أفتح ذراعي بنشوة لحظات ثم توجهت نحو مؤخرة القارب..

أحمل بيدي زجاجة الخمر ووقفت بآخر القارب فاتحًا ذراعي كفيلم تيتانك.. ضحكت بقوة ثم رفعت يدي محاولًا إلقاء الزجاجة.. ترنح جسدي واختل توازنه عندما كنت ألقي زجاجة الخمر ثم سقطت معها بماء النيل.. أدرك العوم لكن خدر جسدي لم يسعفني.. وظل جسدي يغوص نحو الأسفل.

كان الممر صخريًّا بعرض أربعة أمتار والطول لم أتبينه فقد عم الظلام بآخر الممر بعد عدة مترات.. الأرضية ترابية ووجهي كساه التراب وعلق بعضه بباقي ملابسي.. نظرت لسقف الممر الذي علا فوق رأسي بمقدار خمسة أمتار تقريبًا.. الإضاءة باهتة مصدرها مشاعل معلقة على الجدار أمامي.. وقفت بصعوبة مومياء استيقظت لتبعث من جديد.. كأن عظامي مهشمة أسمع صوت طقطقة فقرات رقبتي..

حاولت نفض التراب عن ملابسي.. نظرت ببلاهة أرتدي جلبابًا متسخًا به رقع بالية.. جسدي ينتفض بقوة كأن روحي ستبلغ الحلقوم.. تأوهت من الألم وصحت رنَّ الصوت ثانية.. صدى صوت قوي..

سويعات حتى ظهر من آخر الممر أمامي من ظلام.. رجل أسود البشرة.. شديد السواد كظلمة الليل.. مفتول العضلات.. ملامح قاسية وعينان تشعان شررًا.. لا يرتدي شيئًا بنصفه العلوي..

تقدم نحوي ببطء بخطوات واثقة.. ارتعدت خوفًا واستدرت أهرول نحو الجهة الأخرى بعيدًا عنه.. أركض مسرعًا حتى وجدته يقف أمامي وينظر لي بغضب..

مدَّ يده بجسدي فنفذت وكأنني شبح غير مادي وظل يسحب شيئًا من صدري بقوة.. صحت من الألم وهو يخرج ذلك العجوز ويمسكه بقوة من رقبته...

صاح العجوز ونظر لي برعب:

- خليه يسيبني يا فارس.

صمت فأردف الرجل الأسود:

- هذا هو الهرم. ليس له حظ منك لتحيا أبد الآبدين، وتمكث ليوم معلوم.

قلت برعب:

- سيبه.

فأردف بغضب:

- لكنك أردت ولا رجعة. ألا تريد الخلود؟!

أضفت بصوت متقطع:

- مش عايز، سيبه. أنا عايز أعيش حياة طبيعية، وأموت زي كل البشر.

- لك ما شئت.

ثم دفعه بقوة بجسدي فعاد كما كان وسقطت أرضًا.. بدأت الرؤية تصبح مشوشة إلى أن اختفت وساد الظلام..

فتحت عيني برفق ووهن..الرؤية مشوشة والإضاءة خافتة بالكاد أرى.. كنت مسجيًا بمنتصف القارب ومايكل يجلس بالقرب من رأسي.. لم يدرك أنني استيقظت لأنه كان يضع رأسه بين ركبتيه في يأس.. ملابسي مبتلة وأرتعش من البرد القارس.. سعلت بقوة وجسدي انتفض.. نظر لي مايكل بفرح ومسح على رأسي، ثم قال كلمات لم أدركها لضعف سمعي من الماء الذي ملأ أذني.. أدركت توًا أن عمر يجلس بالقرب من قدمي عندما عادت الرؤية أوضح.. اقترب عمر منا والرجل صاحب القارب وظلوا جميعهم ينظرون لي بفرح..

قال مايكل بصوت متقطع:

- حمد الله على السلامة يا صاحبي.

ثم أضاف وهو ينظر لصاحب القارب الذي ابتلت ملابسه:

- البركة في عم وحيد لحقك في آخر لحظة.

أردف عمر مبتسمًا:

- كنت هتموت وتسيبني؟

قلت بصوت مرتعش:

- ما انا كدا كدا ميت.

فتابع وهو ينظر لصاحب القارب:

- طلعنا برًا يا عم وحيد وشوف بطانية عندك نغطيه بيها.

* * *

الثلاثاء 12 مارس..

الساعة 3:18 مساءً..

جلست في الصالون بفيلا ملك.. أنتظر أن تأتي وأشرد أتفحص الجدران بعيني هائمًا.. نظرت أسفل قدمي إلى السجادة البنية بخجل ويأس.. أتخيل ردة فعل ملك عندما ستراني.. لم أهتم لملبسي اليوم ونزلت في عجل بعد أن

استيقظت متأخرًا.. جميع ذكرياتي تمر في ذاكرتي معها هنا واليوم الأول الذي جلست بهذا الصالون أتقدم لخطبتها..

رأيت سيادة اللواء أمين بيه يقف مبتعدًا مترات.. يرتدي ملبسًا رياضيًا ويدخن السيجار.. ما زال وسيمًا رغم التقدم في العمر وقسماته الجامدة.. شعره مصبوغ بعناية.. مظهر أربعيني لرجل تخطى الستين عامًا.. جسد رياضي وعينان ثاقبتان..

قال بحزم:

- خير يا فارس؟

ثم أضاف قبل أن أتحدث:

- عشان أريحك لو بتفكر ترجّع ملك فانسى. أنا قبلت المرة اللي فاتت بسبب ضغطها، لكن المرة دي ما عنديش استعداد إن بنتي تموت لو عاشت مع واحد....

ثم تابع وهو يزفر دخانه بغرور:

- غير سوي.

ابتسمت وقلت:

- قول مجنون عادي. أنا جاي أكلمها كلمتين وماشي.

- أوك، يا ريت ما تطولش عليها عشان أعصابها تعبانة.

ثم غادر نحو باب الفيلا، وهو يجيب على هاتفه ويضحك بلا مبالاة.. نظرت أسفل قدمي بيأس، مضت دقائق حتى ألقت ورقة بعنف على الترابيزة أمامي.. نظرت فوجدتها ملك بعينين حمراوين من البكاء.. هالات سوداء شديدة.. قسماتها جامدة تشعرني برفضها لي..

قالت بغضب:

- أقرا.

تناولت الورقة ثم وقفت وشرعت أقرأ. سألت متصنعًا عدم الفهم:

- إيه دا؟!

- مش عارف؟ أظن إنه واضح.
ثم أضافت:
- دا تحليل DNA لرحيم. الحمد لله ربنا خيب ظنك وطلع ابنك.
ثم تابعت:
- أنت مريض يا فارس، مش بمرض الجنون بس. عارف أنت مريض بإيه؟
نظرت لها بخجل فتابعت:
- أنت مريض بالوساخة، ودا مرضٍ ما لهوش علاج.
ثم انفجرت بالبكاء وهي تصيح في بهستيريا..

* * *

الساعة 4:20 مساءً..

مشيت برفق على رصيف الكورنيش بعد أن صففت سيارتي.. شعرت بنشوة مع الرياح التي تلفح وجهي.. أقاومها وأمضي عكس اتجاهها.. الريح عاصفة محملة بأتربة كثيفة جعلتني أغلق عيني قليلًا.. أستمع لصوت حفيف الأشجار، وصوت الرياح الغاضبة.. أقاوم كأنني أتحدى الطبيعة.. ملابسي تتحرك بعنف.. الجاكيت يبتعد طيرًا عن جسدي من ارتطام الرياح به..

رنَّ الهاتف فتناولته من جيب بنطالي برعونة:
- أيوة يا عاطف؟
- إيه الهوا اللي عندك دا. أنت فين؟
قلت بصياح:
- باتمشى برّا شوية.
- طب ما جيتش الجريدة ليه النهار دا؟
- ماعلش صحيت متأخر.
- هاستناك بكرة.

أغلقت الهاتف ثم دسسته في جيب بنطالي واقتربت من الكورنيش أنظر لماء النيل بشرود. أخرجت سجائري ثم قمت بإشعال واحدة بعد عدة

محاولات مع قداحة أطفأتها الريح مرات.. سحبت نفسًا عميقًا وزفرت الدخان بقوة الذي بالكاد حملته الريح عندما خرج من فمي..

سمعت صوت صافرة عذبة فنظرت عن يميني لأجد العجوز يقف يحملق في ماء النيل مثلما أفعل.. رث الهيئة طويل الشعر الأبيض واللحية الكثة.. بدا أكبر سنًا ولكنه سعيد..

قال بود:

- شكرًا يا فارس.

- على إيه؟!

ابتسم وأردف:

- إنك ما خليتهوش يقتلني.

قلت بتحفز:

- هو مين دا؟

- ما اعرفش. أنا اللي عايز أعرف مين دا، وإيه اللي أنت أردته.

مسحت على رأسي بيأس:

- أنا بيحصل لي كدا ليه؟!!

ثم صحت:

- اشمعنى أنا يحصل لي كدا؟!

مرّ من أمامي عجوز يرتدي جلبابًا، يقلب كفيه بشفقة وتمتم:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

صحت فيه:

- أنا مش مجنون...

هرول أمامي وعدت أصيح بهستيريا:

- ليه أنا؟

* * *

عبثت باللافتة المكتوبة بالإنجليزية وتحمل اسمه "فوزي خليل".. كان يعبث في الـ laptop غير عابئ بوجودي.. رفعت اللافتة وضربت بها المكتب فأراح ظهره للخلف واعتدل على كرسي المكتب.. تنهد بحنق ونظر لي بعين ثاقبة..

قال بملل:

- أستاذ فارس، حضرتك أنا قُلت إني مش هاقدر أكمِّل علاجك.

أردفت بتحدٍّ:

- أنا مش جاي أتعالج.

- جاي ليه؟

- أنت قُلت إني حاولت الاعتداء عليك.

أومأ برأسه وأردف:

- كنت هتقتلني أكتر من مرة. أنت حالتك صعبة فعلًا وعندك حالة انفصام واكتئاب وأمراض نفسية بالجملة..

- عشان كدا خفت.

ابتسم وقال بخبث:

- لأ.

- إيه اللي خوفك؟!

أشعل الـ pipe ثم أخذ نفَسا عميقًا وأردف:

- لأني اضريت جدًّا بوجودك.

- إزاي؟!

- بصراحة سمعتك سيئة وأنا كل المرضى بتوعي..

قاطعته:

- أنت بتهزر؟ وأنا جاي أخطب بنتك عشان تقول لي سمعتي؟

- أنا قُلت مش هاقدر أكمل علاجك. يا ريت ما تجيش المكتب تاني...

قلت بتحدٍّ:
- هتندم يا فوزي.
فأردف بفزع:
- أرجوك يا أستاذ فارس. مش بإيدي...
- فيه إيه؟!
قال بصوت متقطع:
- مش هاقدر أقول، بس اتأكد إن اللي اتقال لي إنك مافيش دكتور نفسي هيقدر يستقبلك.
- جالك تهديد؟!
- يا ريت تكون فهمت....
أومأت برأسي في أسى ثم قمت واتجهت نحو باب الغرفة، صاح بود:
- يا ريت ما تاخدش الموضوع بشكل شخصي.
استدرت وابتسمت برفق....

* * *

الساعة 11 مساءً..

فإن عذبتني فبسوء فعلي..
وإن تغفر فأنت به جدير..
أفر إليك منك.. أفر إليك منك..
وأين إلا إليك يفر منك المستجير..

وقفت أستمع لتلك الكلمات في الحضرة، وأمامي رجال يرتدي أكثرهم جلابيب بيضاء.. يتمايلون بعنف وتعلو كلمات الأغنية.. يمضي الوقت ولا يتغير شيء إلا من زيادة الرواد.. كنت أمام ضريح بساحة واسعة أرضيتها صخرية، والجدران مزينة بنقوش عمارة إسلامية.. الساحة دون سقف.. كبيرة بقدر ثلاثمائة متر تقريباً.. خلفي باب خشبي ضخم قد حمل عبق

التاريخ والأزمان.. مفتوح قليلًا دخل البعض منه وجلسوا على حصيرة من القش تبتعد بضعة مترات عن يميني..

أفر إليك منك.. أفر إليك منك..

وأين إلا إليك يفر منك المستجير..

تنهدت بعمق عندما سمعت هذه الكلمات ثانية.. شعرت بالسلام النفسي الذي غاب عني منذ أمد.. أغمضت عيني والكلمات ترن في أذني.. سويعات حتى هطلت أمطار خفيفة بللت كل شيء ودقائق حتى اشتدت.. ابتلت لحيتي وملابسي وتنفست بعمق.. رفعت رأسي للسماء وقطرات المطر ترتطم بوجهي..

الصوت علا وزادت حركتهم.. تمايلوا بعنف وصوفية.. نظرت بثقب رأيت عمر أخيرًا يغادرهم ويتجه نحوي، ثم ابتسم لي برفق وأشار بيده تجاه حصيرة، فتوجهت وجلست عليها ثم تبعني..

بعد أن جلس عمر تنهد بقوة بالكاد يلتقط أنفاسه، فنظرت له بثقب وقلت:

- أنت متدين ولا منحرف ولا جنس ملتك إيه؟

ابتسم برفق:

- مش بارتاح غير هنا.

ثم تابع:

- ما شاركتش ليه؟!

- ما ليش في الجو بتاعكم دا.

ثم أضفت:

- جيت من عند فوزي.

- إيه وداك هناك؟!

أردفت بضيق:

- عشان أفهم.

قال بتحفز:

- وفهمت؟!

- بيقول جاله تهديدات إن ما يتابعش حالتي وإن مافيش دكتور هيرضى يستقبلني.

قال ببلاهة:

- تهديدات!

- مش فاهم حاجة يا عمر.

شرد قليلًا:

- معنى كدا إن فيه حد بيراقبك وعارف إنك تعرف حاجات مهمة مش عايزك تتكلم فيها مع حد، لكن....

شردت ولم أستمع لباقي كلماته، وظللت أتفحص الساحة بنظري...

* * *

السيجارة الثالثة تشتعل بين أنامل يدي اليسرى.. تذاب شوقًا بين فمي.. تئن أسناني وأجز عليها.. الآلام المعوية والتقلصات الليلة تداعب السكون في عقلي وكأن الألم الجسدي أصبح رفيقًا وإن جاز فقد أصبح قرينًا.. يدي اليمنى ترتعش احترامًا مع آخر رشفة من زجاجة النبيذ التي أنهيتها ثم وضعتها على الطاولة الزجاجية أمامي..

الساعة تجاوزت الثالثة ليلًا والنوم تجاوزني كعادة مملة.. أسهر لقرب الفجر وليتني أفعل شيئًا سوى تناول ما ينسيني ما أمر به.. أصبح الصالون ملاذي ومجلسي في بيت أوهن من بيت العنكبوت، أحيا به بعد أن ذهبت عني ملك..

الشك لم يكف عن العبث في عقلي.. من كل شيء وعلى كل لقطة تمرّ في ذاكرتي..

شريط ذكريات معادة ويسف دائمًا.

تناولت الفلاشة ثم دسستها بمدخل الـ USB ثم انتظرت الموسيقا لتشعل رأسي خوفًا.. ثوان ويعمل الفيديو بعد أن ضغطت زر التشغيل..

بدأ العرض Gamecan

المكان: عيادة فوزي..

الزمان: بالأحرى ليلًا..

اعتليت جسده عندما كان ممددًا قسرًا فوق الشيزلونج.. نظر لي بفزع بعد أن مزقت الذراع الأيمن لمعطفه الطبي وأحطت به رقبته.. جحظت عيناه وهو بالكاد يلتقط أنفاسه بفم مفتوح يتوسل لذرات الأكسجين أن تمر منه.. يتفوه بحرف واحد ويردده بصعوبة (فـ).. أراد أن ينطق اسمي لعلي أرحمه من هذا القتل غير الرحيم..

توقفت فتنفس بعمق ثم قال بصوت متقطع:

- أرجوك.

أردفت بغضب:

- شايل التسجيلات بتاعة عمر دي عندك ليه؟!

ثم تابعت:

- كنت ناوي تهدده بيها؟ دي فيها كلام يسجنه!

وأضفت بعد أن لكمته:

- أنت مريض.

قال بخوف:

- أنا...

قاطعته:

- أنت ما عندكش ضمير مهني. أنا هاحبسك...

قال بتوسل:

- اديني فرصة أسمعها لك.

- تسمعني إيه؟!

أردف وهو يتنهد:

- يا أستاذ فارس دي مجرد مزيكا.

وأضاف بود:
- تعالى شوف بنفسك...
تركته يغادر المكتب ثم أحضر المسجل والـ CD وضغط زر تشغيل أمامي لتظهر موسيقا....
نظرت له ببلاهة برأس كاد ينفجر من الصداع....

أغلق الفيديو دون فعل شيء مني.. تفحصت الصالة بإضاءة ليلية خافتة مصدرها مصابيح حمراء صغيرة بطول الجدار عن يساري.. شردت أنتظره أن يأتي كما يفعل دائمًا.. أصبحنا صديقين واعتدت على وجوده إلا أنه يذكرني بسوء نفسي ولكنه مرآة تريني ما لا أرى.. العجوز لم يأتِ حتى بعدما طرقت على الطاولة الزجاجية بقوة..
صحت بغضب:
- أنت فين؟!
وأضفت بتوسل:
- أنا أنقذتك. أنت سايبني ليه؟. أنا عرفت إني خلاص هاتجنن ومصدق.
ثم بكيت بتضرع:
- مش أنا وأنت واحد. هتسيبني لحد ما أتجنن كدا ومش هتساعدني؟
تمددت على الأريكة بخوف وبكيت بشلال دموع يسقط.. يبلل قماش الأريكة.. يبلل وجهي..
روحي تطفأ ويغشاها الجزع...

* * *

الأربعاء 15 مارس..

ثقة وجمود.. عينان ثابتتان لا يرتد طرفهما.. خطوات ليث أو كما قيل واثق الخطى.. تناسيت ما حدث البارحة وكأنني شخص آخر، بل الاستسلام

جعل مني شخصًا يجيد إخفاء كل شيء.. ارتديت أفضل حلة رسمية لدي دون رابطة عنق.. أخيرًا حلقت لحيتي لأبدو أصغر سنًّا وإن كان بأشهر فقط.. عطري يملؤ الأفق بل أشد من رائحة الندى والمطر وعوادم السيارات.. أرتدي نظاراتي الشمسية حتى أثناء سيري في الممر الذي يقود لمكتب عاطف..

الساعة العاشرة والربع صباحًا والوقت يمضي بتأنٍ كأنه وقف ليراقب الثقة المفرطة.. نظرت في ساعتي حتى الآن خمس مرات ولا أعلم لماذا.. أمضي في الممر بخطوات واسعة سريعة بتحفز.. اليوم وكأنني بعثت من جديد، وكأن كل ما مررت به كابوس رحل عني..

اقتربت من الردهة وعبرت نحو الداخل.. رأيت ظهر ميرفت تستند على المكتب وتعبث ببعض الملفات.. لم تفطن لوجودي فوقفت مبتعدًا خطوات أتفحصها بعين ثاقبة..

ترتدي بنطالًا ضيقًا.. أضيق من أن يُلبس بطريقة طبيعية.. وجاكيت فوق الخصر.. مالت بجسدها على المكتب وتمايل جسدها دون إرادة منها.. أعلم ذلك، فهي بداخلها راقصة محترفة ولم تملك الفرصة لإظهار مواهبها..

تقدَّمت بحذر منها حتى لا تسمع دبيب نعلي ثم اقتربت من أذنها وهمست برفق..

- احلويتِ قووي يا ميرفت.

انتفضت ثم صرخت صرخة مكتومة وأردفت بخوف:

- أستاذ فارس!!

- أستاذ فارس عايز يرجع المية....

قاطعتني بغيظ:

- كان زمان. مش ميرفت اللي يتقال لها لأ......

قاطعتها:

- شكل عاطف بيأدي واجبه كويس.

ثم أضفت ساخرًا:
- على فكرة الحباية مش بتفارق جيبه.
- أحسن ما ينام حاضن قزازة خمرة...
قلت بغيظ:
- الشمال عمره ما يحدف يمين أبدًا.
صفعتني بقوة حتى سقطت نظاراتي الشمسية على الأرضية وأردفت:
- اخرس.
مسحت براحة يدي اليمنى على خدي ثم تركتها وتوجهت نحو باب المكتب..
صفعت الباب توًّا خلفي بقوة معها انتفض عاطف على كرسي المكتب الوثير ونظر لي بخوف، فتقدَّمت منه وأنا أصيح بغضب عاتِ:
- البت دي تسيب الجريدة النهار دا.
قال ببلاهة:
- مين؟
- ميرفت.
فأردف بخوف:
- فيه إيه يا فارس؟
- اللي سمعته.
قال ببرود:
- آسف.
- لأ، هتمشي. عايزها يبقى في البيت عندك مش هنا، وإلا هاشهرك على النت.
ثم تابعت:
- لو على فيديو نور فكل الناس عرفت إني مجنون يعني....

ثم تنهدت فقال بود:
- خلاص هامشيها. ممكن تهدا بقى وتقعد.
جلست ثم تابع برفق:
- هاجيب لك لمون يهدي أعصابك.
- مش عايز زفت.
ابتسم وأردف:
- طيب هديت؟
- أنت مين بعت لك الفيديو بتاعي؟
- طرد جا لي على المكتب.
- ماشي يا عاطف.

* * *

الساعة 7:34 مساءً..

ظللت مستندًا على تلك الشجرة أمام مركز اللغات.. الإضاءة عالية والسيارات تمضي مسرعة أمامي.. صففت سيارتي بجانب الرصيف تبتعد بضعة خطوات عني.. الجو يحمل برودة شتوية اعترت جسدي وجعلتني أرتعش قليلًا.. أشعلت سيجارة برفق لعلها تزيد الدفء.. ظللت أنظر لباب المركز حتى رأيتها تنزل درجات سلَّم المركز ببطء..
اقتربت منها ثم قلت بود:
- مدام فرح، إزيك؟
- أهلًا!
فأردفت بخجل:
- الحقيقة مش عارف أقول لك إيه. محمود بيه رفض يساعدني فلو حضرتك..
قاطعتني:
- للأسف علاقتي بيه سطحية، آسفة.

ثم تركتني ومضت أمامي خطوات فمضيت خلفها وهمست:
- ولا عشان طلبك للجواز؟
استدارت وقالت بغضب:
- هو قال لك؟!
- اعتبريه قال لي.
فقالت بضيق:
- أنت عايز إيه؟ وبتتدخل في حياتي ليه؟!
- أنا والمرحوم كنا قريبين قووي من بعض.
نظرت لي ببلاهة فتابعت:
- يعني حكى لي أول مرة عرفتو بعض فيها عن طريق أخته.
ثم أضفت بثقة:
- كان دايمًا يقول لك يا فرحتي، وكنتو بتتخانقوا بسبب شغله طول الوقت.
- أنت عرفت الكلام دا ازاي؟!
- الله يرحمه وصاني عليكِ قبل ما يموت، وكان بيدور ورا إبراهيم لأن كان فيه أهل طفل غلابة مبلغين إنه مفقود وكان متعاطف معاهم.
نظرت لي بثقب:
- شكرًا إنك بتعمل بالوصية لكن أنا...
قاطعتها:
- لازم تبقي قريبة مني وإلا وارد يحصل لك حاجة؛ لأن اللي عملوا فيه كدا أكيد فاكرين إنك معاكِ معلومات مهمة.
أومأت برأسها فقلت برفق:
- تحبي أوصلك؟
- شكرًا.

- طب خلي بالك على نفسك.

استدارت ومضت في طريقها ثم تابعتها بنظري بخبث...

* * *

الساعة 11:45 مساءً.

أغلقت الباب خلفي برفق ثم ابتسمت للبودي جارد الواقف أمام الباب كتمثال.. مفتول العضلات تجاوز طوله المائة وتسعين سنتيمترًا.. عيناه ثاقبتان بوجه خالي السمات، إلا أنه ابتسم لي بود وأردف:

- مستر مايكل مستني حضرتك في الصالة تحت.

أومأت برأسي بود فتابع:

- يا ريت توصيه علينا يا أستاذ فارس.

- ما تقلقش يا....

- عبيد.

ربت على كتفه وأردفت:

- ماشي يا عبيد.

ثم دسست يدي في جيب بنطالي وأخرجت ورقة فئة مائة جنية وضعتها في جيبه فقال بفرح:

- شكرًا لحضرتك يا أستاذ فارس.

قلت بحزم:

- لما مولة تخرج خليها تحصلني، أنا هاقعد في الصالة مع مايكل.

أومأ برأسه ثم عقد ذراعيه أمام صدره..

مضيت نحو السلَّم الذي يبتعد عني بضعة خطوات وتقدَّمت بثقة.. نزلت السلَّم وجسدي تمايل نشوة من تأثير الموسيقا الصاخبة، والجرعة التي جددت نشاطي الذكوري الذي تناسيته.. مولة فعلت بي ما لم ألقه ونسيت أمره.. غزال شارد استقر بين أحضان جفت ينابيعها، ثم أغلقت القفص عليه.. لذة ما زالت تسري بجسدي.. موج عاتٍ ثم هدأ أمام شاطئي..

تضاريس الخرائط الجغرافية التي أنهيت دراستها توًّا.. ما زالت رائحة عطرها في أنفي تجعلني أتشممها في كل شيء.. المشهد أعيد في ذاكرتي فابتسمت شبقًا..

عند آخر درجة من السلَّم تفحصت الصالة بعيني.. إضاءة خافتة تطفأ وتضاء.. تتبدل الأضواء بألوان حادة تسبب ألمًا بعيني.. تعلو الإضاءة قليلًا.. حالة نشوة وسُكر وتمايل أجساد.. موسيقا صاخبة وأجساد متلامسة على مسرح الرقص.. على الطاولات.. أمام البار..

رأيت مايكل يجلس على طاولته المعتادة بمنتصف الديسكو.. تقدَّمت، أرتطم بالأجساد رويدًا رويدًا.. كأنني أصارع لأصل لطاولة مايكل.. طريق محفوف باللذة التي معها تمايل جسدي بعنف..

جلست على طاولة مايكل الخالية إلا منه.. ابتسم لي مع فتح زجاجة البيرة التي ثارت وانفجرت كبركان كأنها هامت مثل رواد الديسكو.. صبّ الكأس أمامي وهو يقول بصياح:

- إيه؟ كله تمام؟

ابتسمت ثم أردفت:

- حبيبي يا ميكا.

ضحك بقوة وأردف:

- هو دا روستو..

ثم أضاف:

- فين مولة؟

- ثواني وجاية.

صمت أتفحص الصالة أمامي ثم أردفت:

- هو أنا اتجوزتها عرفي؟

- شوف يا روستو، أنت أحلى حاجة فيك إنك مش بتعمل حاجة حرام أبدًا. للأسف آها اتجوزتها.

ثم أضاف بأسى مصطنع:
- وأنا قطعت الورقتين.....
ثم انفجر بالضحك وتبعته، فتابع بخبث:
- أيوة كدا، اضحك بقى. يلعن أبو اللي يزعلك.
رفعت الكأس وتناولته دفعة واحدة....
مضت دقائق نتناول البيرة ونتراقص طربًا يتخللها ضحكات هستيرية.. زجاجات تفتح وموسيقا تعلو.. أضواء تسبب اتساع الحدقة.. صداع لذيذ وجسد يرتعش من النشوة..
اقترب بودي جارد من مايكل ثم مال وهمس في أذنه فتبدلت قسماته وكأنه تلقى صفعة قوية وهب واقفًا من الكرسي.. انتقلت لي العدوى فوقفت وسألت بخوف:
- فيه إيه يا مايكل؟
- العيال اتمسكوا.
قلت ببلاهة:
- عيال مين؟!
- الرجالة بتاعتي اتمسكت بالبضاعة.
- مخدرات؟!
قال بضيق:
- هيروين.
ثم تابع بغضب:
- دي بضاعة بملايين.
بعد سويعات اقترب البودي جارد وهمس ثانية في أذنه فتنهد بعمق وأردف:
- هربوا. بس البوليس ممشط المنطقة بأوصاف العيال والعربيات.
قلت بثقة:
- خليهم يبعتوا اللوكيشن.

- ليه؟!

فتحركت بسرعة مغادرًا وأردفت:

- ابعت لي اللوكيشن بتاعهم.

أتذكر كلماته لي وأنا أملأ السيارة بهذه البضاعة دون خوف.. ما زلت أرى قسماته البلهاء أمام عيني وهو يقول "أنت كدا هتتمسك" لكن لم آبه لما قيل.. تحديت رجال مايكل أن أعبر بهذه الحمولة بأمان.. الساعة الآن تجاوزت الثانية صباحًا. استنفار أمني بكل كمائن القاهرة وتم الإبلاغ..

زفرت دخاني بقوة بالهواء وسيارتي تقف خلف سيارتين.. الكمين أمامي ويقف رائد شرطة يتفحص السيارات ورخص القيادة.. بعض السيارات تفتش بعناية.. الكمين ممتلئ بقوة من الداخلية بعض الأمناء وذلك الرائد..

أشار لعسكري فأزاح الحاجز الحديدي لتعبر منه السيارة الأولى، ثم بدأ تفتيش السيارة الأخرى مع إغلاق الحاجز ثانية..

ظللت أنفس الدخان بحنق متمنيًا أن تمرّ لحظات الملل ثم فتحت الزجاج على يساري لأشم برودة خفيفة مع ريح هامس، ها قد عبرت السيارة أغلق الحاجز بعد مرورها ثانية..

قدت ببطء وملل حتى أوقفت السيارة أمامه. فقال بأدب:

- رخصك لو سمحت وافتح الشنطة.

ناولته الرخص فتابع:

- تمام أفتح الشنطة.

- طيب ممكن أنزل عشان مش بتتفتح أوتوماتيك..

أومأ رأسه وابتعد عن الباب يفسح لي الطريق.. نزلت وتبعني إلى أن وصلنا لمؤخرة السيارة ثم دسست المفتاح ورفعت الغطاء..

نظر لي بثقب فأومأت برأسي ثم ناولني الرخصة دون أن ينبس بنبت شفة. ركبت السيارة وقدتها بثقة متجهًا إلى مايكل..

* * *

الخميس 16 مارس..

جلست على كرسي مكتبي في الجريدة.. أطقطق فقرات رقبتي بعنف بجفن مثقل يجاهد لكي يبقى يقظًا.. لم أنم البارحة، فكنت برفقة مايكل إلى ما قبل الآن بساعة واحدة.. كان يومًا عصيبًا ليس عليّ؛ بل عليه ولا يزال لا يصدِّق أنني تمكنت من إحضار الهيروين له دون عناء..

وقبل أن آتي هنا مررت على مقهى وتناولت فنجانًا من القهوة حتى يساعدني على البقاء يقظًا ومن ثم المرور على الجريدة لإضاعة بعض الوقت..

أحاول البقاء يقظًا وأقوم من الكرسي وأجلس مرات حتى لا يأخذني النوم.. أشعلت سيجارة بعد أن جلست على الكرسي وتناولتها بشراهة، تفحصت الغرفة بعيني في شرود بأمر الضابط الذي لم يفتش السيارة رغم أن البضاعة كانت أمامه.. إنها إحدى المرات القليلة التي ينصفني بها الحظ ويشد عضدي..

طُرق الباب برفق ثم دلفت ميرفت تطأطئ رأسها بخجل وترتدي ملابس محتشمة على غير عادتها.. جاكيت فوق الركبة.. مسحة قليلة من مساحيق التجميل التي أظهرت بعض القبول وليس حسنًا بارعًا..

أغلقت الباب برفق ثم تقدَّمت ولم أتحدث.. فقط تابعتها بنظري إلى أن جلست على الكِرسي أمامي وما زالت تطأطئ رأسها..

سحبت نفسًا من السيجارة وزفرت الدخان بقوة تجاهها ثم أردفت:

- جاية ليه؟!

قالت بود:

- أنت فعلًا مصورني مع عاطف؟

ابتسمت بخبث وأردفت:

- للأسف.

- ليه يا فارس؟!

- دا موضوع شخصي بيني وبين عاطف.
فقالت بعد أن انسابت دمعات على وجنتيها:
- آسفة على اللي حصل امبارح. خلاص أن هاسيب الجريدة بس أرجوك بلاش تفضحني.
أطرقت رأسي ثم أردفت:
- غيرت رأيي لكن...
ثم سحبت نفس وتابعت:
- ولائك يبقى لِّي لوحدي. مافيش كلمة تحصل في الجريدة ولا مع عاطف ما اعرفهاش.
أومأت رأسها إيجابًا ثم أردفت:
- ممكن سؤال؟
- اتفضلي.
- ليه؟!
أطفأت السيجارة وقلت بثقة:
- لأن لازم كل كلمة بتحصل في الجريدة أبقى عارف بيها، وأنا مش دايمًا متواجد.
ثم أضفت مبتسمًا:
- تقدري تعتبريه فضول.
- موافقة. أنا تحت أمرك في أي حاجة.
نظرت لها بتفحص ثم أردفت:
- أي حاجة؟!
أومأت رأسها فتابعت:
- ماشي اتفضلي على مكتبك. لما أعوزك هاكلمك.
قامت ثم تابعتها بنظري بخبث، وهي تغادر الغرفة..

* * *

رفعت الهاتف على أذني عندما كنت أمام باب الجريدة المفتوح على مصراعيه وانتظرت إلى أن أتى صوته..

- ألو.

- أيوة يا رشاد، عايز أقابلك.

- فيه حاجة؟

قلت بود:

- ما تقلقش، أنا عند اتفاقنا بس عايز أسألك على كام حاجة.

- طيب تعالى على النادي....

- ماشي.

أغلقت الهاتف ودسسته في جيب بنطالي ثم تقدمت متجهًا إلى سيارتي بخطوات مسرعة..

* * *

مضت عشر دقائق.. نظرت توًّا في ساعتي التي تجاوزت الثانية عشرة وربع مساءً.. أجلس على طاولة بلاستيكية فوق عشب أخضر كسا الأرض أمامي.. حولي طاولات أخرى متناثرة بعبثية في الحديقة، جلس عليها بعض العائلات.. الطقس مشمس اليوم والهواء يحمل دفئًا.. أمامي فنجان قهوة تناولت نصفه حتى الآن، وأغراضي التي ألتقط منها الهاتف بين الحين والآخر ثم أضعه ثانية بينهم..

رأيت رشاد يبتسم بود على بعد مترات.. يرتدي ملابس رياضية، بنطالًا وجاكيت.. بدا وسيمًا كعادته لا يأبه بشيء وتقدَّم يبتسم لكل من يراهم بود.. وقف مرات يلتقط بعضهم معه الصور التذكارية كنجم من نجوم المجتمع.. غير المصافحة باليد والقبلات ونظرات النساء التي أعرفها.. نظرات لفارس أحلام تمنين أن ينلنه ولكن....

جلس على الكرسي أمامي وأردف بود:

- نعيمًا. أول مرة أشوفك من غير دقن.

- مش جاي أضيع وقت..
فتبدلت قسماته لجدية وأردف:
- اتفضل.
دسست يدي في جيب بنطالي، ثم وضعت صورة لإبراهيم قصصتها من صفحة الحوادث. نظر لها بثقب وقال:
- مش فاهم!
- تعرفه؟
تناول الصورة وظل يتفحصها ثم قال بلامبالاة:
- جابر عبد الرحمن!
- جابر مين؟!
قال بثقة:
- دا جابر عبد الرحمن. قعدت معاه مرّة قبل كدا بس ما استريحتلهوش
- ليه؟!
- ردود أفعاله غريبة وبياخد على الناس بسرعة. شخصية مجنونة كدا.
ثم تابع:
- كان صديق مقرب لنور. كان بيقول إنه رجل أعمال كبير ومعجب بيها وعايز يعمل لها فيلم.
قلت بتحفز:
- وبعدين؟
- بقى قريب منها وحاول يقرّب مني وكان بيسهر معاها هي وصحابها. أنت ما قعدتش معاه؟
قلت بضيق:
- أنا مش سألتك قبل كدا لو كانت تعرف حد برّا الوسط؟!
- بصراحة كنت قلقان منك. ما انت عارف يا فارس...

قاطعته:
- دي معلوماتك عنه؟
- آها وشُفت خبر عن وفاة واحد شبهه. اسمه إبراهيم تقريبًا وعالم....
ثم أضاف وهو يقوم من الكرسي:
- دا كل اللي أعرفه عنه.
قمت وأردفت:
- شكرًا يا رشاد.
ثم تحركت مغادرًا فنادى بعد أن مشيت خطوات. استدرت له فأضاف:
- يا ريت الموضوع بتاعي ما حدش يعرف حاجة عنه.
أومأت برأسي مبتسمًا وغادرت...

* * *

أقود سيارتي برعونة متذكرًا ما قاله رشاد من قبل.. سيل من السيارات أمامي في طريق مكوّن من ثلاث حارات.. السيارات واقفة لا تسير ولا تتحرك قيد أنملة.. parking كبير على شكل طريق طولي.. وكأن الشمس اليوم قررت أن تطل علينا بصيف حاد من أيام أغسطس الحارة.. فتح زجاج السيارة في هذا الوقت انتحار مع تلك العوادم والأصوات الصاخبة لصياح بعضهم وغضب آلات التنبيه، لكن الجلوس بلا سيجارة في هذا الملل يسبب تجلط الدماء.. شغلت المسجل على أغنية كئيبة تصبب علو هرمون الملل.. أطفأته وضغطت على آلة التنبيه بقوة مثلما كان الجميع..

فتحت الزجاج مستسلمًا وأغلقت المكيف ثم أشعلت سيجارة وزفرت دخانها بملل يقاطعه ملل.. بعض المتسولين وبائعي المناديل.. تناولت الهاتف ونظرت في الساعة التي تجاوزت الواحدة مساءً..

ضغطت زر الاتصال فأجاب بعجل:
- إيه؟!
- محمود بيه.

قال بغضب:
- مين؟
- اخص عليك، ما سجلتش رقمي؟ أنا فارس..
- خير يا فارس؟
أردفت أحاول استفزاز حسه الشرطي:
- طب حيث إنك عايز نبقى صحاب وشلت الألقاب. بص يا محمود أنا...
قاطعني بغضب:
- أنا مش فاضي لك.
- تعرف إن مراتي بنت أحد قيادات الداخلية زي مراتك كدا؟
صاح فيّ بغضب:
- وأنت ما لك ومال مراتي؟
- اهدا بس. المدام ست فاضلة مش دا موضوعنا.
- انجز عايز إيه؟!
- بص لو فريد بيه عرف إنك كنت عايز تتجوز على بنته هيعمل فيك إيه؟
قال بلامبالاة:
- قل له، أكيد هيعرف إنك كداب. وهو حد ياخد معلومة من...؟!
قاطعته:
- بص عشان ما اطولش عليك، تيجي معايا سكة في اللي عايزه وإلا.....
- عايز إيه؟!
- كل اللي تامر قالهولك.
أردف بتأفف:
- عدي عليّ في المكتب.

أغلقت الهاتف ثم ضغطت زر الاتصال برقم آخر وانتظرت فأجاب:
- شكرًا يا عم عبد الله.
- عملت إيه مع محمود بيه؟!
قلت مبتسمًا:
- المعلومات اللي اديتها لي جابت نتايج كويسة.
- ما تنساناش في الحلاوة بقى.

* * *

الساعة **1:48** مساءً

نظرت في ساعتي عندما كنت جالسًا على كرسي المكتب بينما خرج محمود منذ دقائق لمكتب المأمور وترك الباب نصف مفتوح.. ظللت أزفر وأتنهد أقطع هذا الملل الذي أصابني اليوم، ثم بعد سويعات دخل عامل البوفيه ووضع فنجان القهوة على الترابيزة الصغيرة أمام المكتب وغادر.

بعد عدة رشفات دخل محمود الغرفة يتأفف وصفع الباب خلفه. بدا في حالة مزاجية سيئة اعتدت أن أراه بها.. مقطبًا وعاقد الحاجبين دائمًا.. نظر لي بغير اكتراث ثم تقدم وجلس على كرسي مكتبه بعد أن وضع سلاحه فوق المكتب..

تأفف ثم أردف:
- تعرف إن ما حدش هددني قبل كدا؟
- لأ ما اعرفش.
ثم تابعت ببرود:
- والتهديد بيجيب نتيجة معاك ولا لأ؟
رمقني بغضب وقال:
- ها عايز تعرف إيه؟!
ثم تابع قبل أن أجيب:
- مين اللي قال لك إني كنت عايز أتجوز؟

ثم أضاف:

- ما علينا، تامر ما قالش كتير. هو جا له تهديدات وأنا حذرته يكمل في السكة دي. لكن إبراهيم دا أغرب حد دور وراه. بيسحب عامل زي نبت الشيطان مش مفهوم منه حاجة. كان هنا بيعمل إيه وسافر ليه؟!. وحكايات غريبة عنه من ناس مختلفة..

قلت بتحفز:

- إزاي؟!

- اللي عرفته إنه كان انطوائي واجتماعي. واحد ممكن يخلص قزازة الخمرة ويروح يصلي. وحكايات كتير، ناس تقول كلام كويس وناس تقول كلام وحش، ودا اللي خلى تامر يسأل دكاترة نفسيين عن حالته لأنه بدأ يشك إنك بتشتغله أو إبراهيم دا كان بيشتغلك ومافيش حاجة كدا.

قاطعته:

- سألت عن مشيرة؟

أومأ برأسه:

- سألت وصدقتك، لكن أنا ما عنديش أي طرف خيط أمشي وراه، والمنظمة اللي قال لك عليها دي تقريباً وقفت نشاطها.

أردفت بتحدٍّ:

- لأ ما وقفتش.

- إزاي؟!

- لو كانت وقفت ما كانوش قتلوا تامر عشان يبطل يدور ورا إبراهيم.

قال بخبث:

- وانت سايبينك عايش ليه؟!

- أنا ماليش علاقة بيهم.

- إزاي وانت كنت قدامهم ساعة الحادثة.....

ثم تابع بحس شرطي:
- عارف دا معناه إيه؟
- إيه؟!
- إنك متساب عايش عشان حاجة معينة.
قلت بيأس:
- أنا كدا كدا ميت...
أراح ظهره على الكرسي وأردف:
- ممكن بيشوفوا تطور الحالة قدامهم فيك.
قلت ببلاهة:
- تقصد إني...
قاطعني:
- بالظبط، متراقب.
مسحت على رأسي بخوف فأردف:
- فطبعًا أكيد عارف هاطلب منك إيه؟!
ثم تابع بود:
- أنا مش ملك نفسي، أنا عندي ناس كتير مسؤولة مني...
أومأت برأسي في أسى:
- فهمت، لكن لو احتجتك في يوم؟
- لو حاجة أقدر أعملها مش هاتأخر.
ثم أضاف:
- ما جربتش تكتب عن الموضوع؟
- شكلك بتحبني قووي. تفتكر هالحق؟
فحرك رأسه نافيًا ثم قمت وصافحته بود، ومن ثم توجهت إلى باب المكتب مغادرًا.

* * *

بعد أن جلست أمام مقود السيارة التفت أنظر حولي بتوجس كأنني أشعر بأن هناك من يراقبني.. سويعات ودقائق كالدهر بها أشعلت محرك السيارة وظللت أنظر أمامي لسيارة الشرطة التي تحركت أمامي توًّا..

سمعت صوته أخيرًا فنظرت عن يساري لأجد العجوز عاد ثانية.. نظرت في مرآة الصالون أمامي حتى لا يظن أحدهم أن أصابني الجنون..

قلت بلهفة:

- كنت فين؟

- حبيت أريحك مني شوية.

ثم تابع:

- أنت عرفت ازاي إن تامر كان بيقول لفرح يا فرحتي؟

فنظرت له في مرآة الصالون ببلاهة وتابع:

- طب عرفت معلوماتك عن محمود دا ازاي؟

- مخبر اسمه عم عبد الله شغال جوًّا.

ضحك ثم أردف:

- مش هو آخر واحد كلمته؟!

- أيوة.

- طب بص في المكالمات كدا.

التقط الهاتف ثم نظرت بسجل المكالمات. آخر اتصال مدون محمود عثمان. نظرت له بخوف فقال بيأس..

- شُفت إن وجودي هيتعبك ازاي؟ خليك في دوامة الجنان.

ثم اختفى فصحت مناديًا:

- استنى.

ثم تشبثت بالمقود وظللت أجذبه بقوة والسيارة تهتز بي....

❋ ❋ ❋

-8-

غياهب العقل أشد وطأة من جسد يُبلى. ليت الهرم طال الجسد وأبلاه وترك لي عقلًا يدرك ما حوله..

سكون يحيط بي.. وجوم وصمت في كل شيء إلا عقلي.. الكلمات لن تعبر عما مررت به.. لن تفيد.. لن تضيف سوى تساؤلات جمّة تتبعها تساؤلات ثم اعتراضات ثم تقلبات ثم جنون يؤدي لكفر بكل شيء..

البشر أغبياء لا يدركون ماهية المادة ويبحثون عن كشفها.. فضول غبي أنفق مليارات للوصول لمعرفة واهية، وإن أدركنا ماهية كل شيء فبالأخير سينتهي العالم بقنبلة نووية أو حرب عالمية أو نبوءة مكتوبة كما تقول الأديان..

للمؤمنين وغيرهم جميعًا مؤمنين بأن لكل شيء نهاية حتى هذه المعاناة التي أعيشها، ستنتهي بموت قريب، بعقل أضله هذا العقار ويبليه كما يُبلي الجسد..

ما الفارق بين الوهم والحقيقة؟ بين فارس قبل أن يقابل إبراهيم وفارس بعده؟ نفس الشيء ونفس الشخص إلا تسارع قطار العمر.. عجلة تمضي بلا توقف.. رفات لشخص يتغذى عليه آخر، وبالأخير لا حل لتلك المعضلة..

عشرة تساؤلات بلا جواب منطقي:

كيف حصل إبراهيم على الإيميل الخاص بي؟!

ما سر فيديو ملك وعمر؟!

كيف هربت منهم دون أن يقتلوني؟!

ما سر الفلاشة؟!

من هذا العجوز؟!

ما سر هذه اللوحات والفيديوهات التي رأيتها برفقة إبراهيم؟!
لماذا لم يستجوبوني إذا ظنوا أن لدي معلومات مهمة؟!
من أعطى لعاطف الفيديو الخاص بي؟!
لماذا تركني الضابط أذهب عندما رأى المخدرات بحقيبة السيارة؟!
لماذا هددوا فوزي بعدم إكمال علاجي؟!

أنهيت كتابة تلك الأسئلة عندما كنت جالسًا على كرسي التسريحة أمام المرآة بغرفة نومي.. هذا ما تذكرته وهناك الكثير لم أستطع إجابته.. ظللت شاردًا أحاول أن أجد شيئًا منطقيًا يجيب تساؤلاتي غير الجملة التي تريح كثيرًا "لقد فقدت عقلك".. بالأحرى هناك جوابٍ آخر يريح أكثر.. أنا في كابوس مزعج من تناول المخدرات وسأستيقظ قريبًا..

نعم هذا صواب.. هذا أفضل شيء يجيب تساؤلاتي.. لأن هناك عندما يغيب العقل يتوقف المنطق.. أنا في ثبات عميق وفي كابوس مزعج سأستيقظ وكل شيء قد عاد كما كان.. لم يمت رحيم ولم تخني ملك ولم أحاول قتل ريماس.. لم أفقد عقلي.. لم أُصَب باكتئاب..

تكفي كلمة "لم" لتمحو كافة الذنوب البشرية.

"لم" هي صك الغفران.. الفعل نفيه "لم".. فإذا لم يفعل ابن آدم؛ لما ارتكب جرائمه..

انسابت دمعات على خدي تائهة مثلي لا تعرف وجهتها.. تتعرج بمنحنيات تجاعيد ظهرت بقوة.. تجاعيد تخبرني أن الأمر قد اقترب.. هي ضلت طريقها وظلت تهبط حتى وصلت لشعر شاب منذ أيام على صدر رافق الدخان.. وأخرى من العين اليسرى وصلت لقلب لم يعرف البكاء.. قلب لا يشعر سوى بالجنس والمنحنيات النسائية.. قلب أدرك أن الحب هو الجسد وإن تجسد له الحب كامرأة لفعل بها الأفاعيل..

أتأمل هذا الوجه! التجاعيد ظهرت بين ليلة وضحاها.. التغيرات الفسيولوجية تحدث عند النوم.. الحل ألا أنام ولكن سأصدم بساعة

بيولوجية تتحكم في جسد واهِ ليصبح عجوزًا خرفًا قريبًا، ومن ثم نهاية نور أم مشيرة؟!

أسفل العينين جلد قديم مترهل منتفخ.. السن الآن تخطى الخمسة وخمسين عامًا أو أكثر.. أنا في طريقي.. ابكِ لأجلي يا من تشعر بما أشقى.. كل عجوز بهذا العالم يدرك ما أقول.. ليبقى حنينًا يداعبه.. حنين اليوم الأول لكل شيء.. لمدرسة الطفولة.. الحب الأول.. الخطبة.. الزواج.. الابن الأول.. الحفيد الأول.. الهرم لعنة.. الموت.. الموت...

ها قد بليت بذنب ضعفي..
عجز الجسد يعتريه بلاء..
إني أصارع عجز نفسي باكيًا..
ومن ذا الذي يستحيه بكاء..
كل الأجساد تُلقى بالتراب..
والروح تلقى روحها ظلماء..

خطا الابتسامة قد ظهرا بقوة.. برزا فوق شفتي ليخبراني أن لا حاجة لأبتسم ثانية، فقد اقتربت من الهرم.. لا بسمة بعد اليوم.. ليت إبراهيم صنع إكسير الخلود.. ليتني تركت الأسود يقتل العجوز لأحيا دائمًا.. ليس هناك خلود في هذا العالم.. وإن خيرت الآن فلا بد أن أدفع ثمن الخلود كما دُفع من قبل لكن لن يقدر عليه أحد.. لن يقدر عليه سواه.. هو فقط أول من تجبر في الكون.. هو من يقدر أن يدفع ثمن الخلود ويُلعن.. لست أنا..

مسحت الدمعات برفق أخيرًا، وقمت من أمام المرآة لألقي جسدي على السرير وأجذب بطانيتي وأنام بعمق..

* * *

كثبان رمال حولي في كل مكان.. لا دليل ولا شيء يجعلني أرى.. الشمس تلفح وجهي وأتصبب عرقًا.. ماء بلل جسدي العاري إلا من بنطال قصير..

السماء صافية زرقاء كماء المحيط.. لا شيء لأفعله سوى الجلوس.. لا ساتر هنا.. لا شيء هنا.. ولا إرادة لتختار بها أين تذهب فكل شيء تشابه..

جلست القرفصاء لبرهة قبل أن أقوم أتلوى من الرمال الساخنة.. أصيح بصوت عالٍ ولا مجيب.. ماذا أقول ومن أناجي؟ ناديت مرات ومرات..

حفرت بقوة بكلتا يدي في الرمال كالمجنون.. تعجبت فالرمال كلما حفرت أكثر تصبح باردة.. حفرت حفرة تكفي لأنام ثم نمت وردمت على جسدي بقوة.. تنفست أنفاسًا متسارعة.. أريح جسدي مما شعرت به من حرارة الشمس..

مضى الوقت الذي لا أعلم مقداره.. وقت كثير ولم تأفل الشمس.. كأنها لن تذهب بعيدًا لتظل تعذبني..

شعرت بظل معتم عندما كنت ناظرًا إلى السماء فرفعت رأسي لأرى أربعة كلاب سوداء كبيرة.. كبيرة بقدر الذهول أكبر من حصان بالغ وعلى ظهورها هودج كبير يحوطه قماش أسود.. خفت أن يروني ببادئ الأمر، لكني رأيتهم هم المُخلص مما أنا فيه..

قمت بعد أن مروا أمامي مترات ونفضت الرمال عني ثم ركضت خلفهم أصيح..

- الحقوني. حد يساعدني.

توقفت الكلاب ونظر لي أحدهم نظرة خبثة ثم ابتسم ليظهر نابيه.. جلسوا على الرمال ثم خرج من.... إبراهيم.. نعم هو.. خرج من الهودج ومشى تجاهي.. كان كملك يرتدي جلبابًا أسود تزينه حلي من الذهب وجواهر ماسية تعكس ضوء الشمس ليرتد في عينيِ اللتين لم يستطيعا أن ينظرا.. ركضت إليه بعين نصف مفتوحة.. تهللت فرحًا وأنا أصيح..

- إبراهيم..

ثم اقتربت منه وضممته بقوة فأردف بود:

- ما تخافش يا فارس. مش هاسيبك.

قلت ببلاهة:
- أنت لابس كدا ليه؟ وإيه الكلاب دي؟!
- تعالى يا فارس.
- فين؟
ابتسم وأضاف:
- يلا تعالى معايا لأنك لو سبتك هنا...
قاطعته:
- أنت اديتني العقار ليه يا إبراهيم؟ واديتهولي إمتى؟
- عقار إيه؟!
- أنا باكبر بسرعة يا إبراهيم وهاموت قريب.
ابتسم وأردف:
- أنت عايز تعيش للأبد؟! ما كلنا هنموت...
ثم تابع وهو يقبض على يدي ويجذبني:
- يلا مافيش وقت.
مضيت معه إلى أن وصلنا للكلاب ثم ركبنا الهودج وانطلقت الكلاب تطوي الصحراء التِي......
ثم صحت باكيًا:
- نزلني مش عايز أكمل...

* * *

استيقظت وانتفضت من على السرير.. جسدي بلله العرق الغزير والخوف تحكم بِي.. مددت يدي لألتقط الهاتِف من على الكومود ثم نظرت للساعة التي تجاوزت الحادية عشرة صباحًا.. ربما نمت كثيرًا لأن جسدي متعب ولم أنم جيدًا منذ أيامٍ.. ألقيته على السرير بجانبي ثم بحثت عن السجائر لم أجدها فقمت مترنحًا والتقطها من على التسريحة وعدت أجلس علىِ حافة السرير.. أفرك عيني لأستيقظ وأخرجت سيجارة أشعلتها.. سحبت أنفاسًا بشراهة وتتابع..

رنَّ الهاتف لم ألتقطه وتركته.. وظللت أتناول سيجارتي وأشرد بذلك الكابوس المزعج.. رنَّ ثانية فالتقطه ونظرت في الشاشة "تامر الرفاعي".. إنها فرح ومعها زاد الفرح في قلبي المريض.. ضغطت زر القبول ووضعت الهاتف على أذني برفق.

- أستاذ فارس، عايزة أشوفك.

- أوك نتقابل النهار دا.

قالت بعجل:

- أوك. كافيه رودانا في المهندسين. عارفه؟

- تمام عارفه، أشوفك إمتى؟

- يا ريت بعد سبعة أكون خلصت شغل.

- أوك.

- سلام...

أغلقت الهاتف وألقيته على السرير ثم قمت مترنحًا متجهًا إلى الحمام..

* * *

السبت 16 مارس..

لبست حلة كحلية مهندمة، ووضعت عطري النفاذ مع نظارات الشمس التي لم تفارق وجهي منذ الخروج من الشقة، وكأنني أردت أن أخبئ تجاعيد عيني بها.. تقدَّمت توّاً من الردهة ثم خلعت نظاراتي الشمسية وغمزت بعيني لميرفت الجالسة على المكتب وتتحدث في الهاتف بثرثرة نسائية..

ابتسمت ثم تركت سماعة الهاتف الأرضي وأردفت:

- أجيب لك قهوتك جوّا؟

- خليها دوبل يا ميرفت.

- ماشي..

دسست النظارات في أزرار القميص العلوية ثم اقتربت من باب مكتب عاطف وطرقته برفق قبل أن أدير المقبض وأدلف..

جلس كعادته فوق كرسي المكتب.. ما إن رآني حتى ابتسم بشفقة وود.. تقدمت وجلست أمام المكتب فأومأ برأسه في أسى..

قلت بضيق:

- خلاص يا عاطف. ما تقعدش تفكرني كل شوية إني كبرت.

- تشرب إيه؟!

- ميرفت هتجيب القهوة.

ابتسم بود وأردف:

- حقك تؤمر، ما انت رجعتها الشغل تاني.

- دي بنت غلبانة وبتحبك.

قال بتأفف:

- بيني وبينك زهقت. عايز أجدد.

ثم أضاف بسماجة:

- أنت عارف الملل بقى، وأنا اللي هاقول لك؟!

- جدد يا عاطف.

قال بضيق:

- مركزي أنت عارف.

- مش هتلاقي واحدة تستحملك غيرها.

- طب ما تشوف لي حاجة.

ابتسمت ثم أردفت:

- أنا خلاص عجزت زي ما أنت شايف.

فتحت ميرفت الباب برفق فصمتنا حتى وضعت القهوة وغادرت فقال عاطف:

- عارف يا فارس. برغم إني كنت باكرهك جدًّا بس خلاص المسامح كريم أنت كلها كام شهر وتقابل وجه كريم.

فقلت بضيق وأنا أشعل سيجارة:

- تصدق إني نفسي أموت عشان ما اشوفش سحنتك دي.

ضحك ثم أردف:

- مقبولة منك يا عم.

- كتبت تحقيقِ عن حالتي؟

أومأ رأسه نافيًا فتابعت:

- عمومًا هاعمل لك تحقيق عن حالتي بالظبط وكل اللي مريت بيه وابقى نزله باسمك لما أموت. أهو حاجة تترحم عليّ بيها وأوعدك بمعلومات هتقلب مصر كلها.

ابتسم وأردف بود:

- مش عارف أودي جمايلك دي فين يا فارس.

- يا راجل إحنا اخوات.

فأشار لفنجان القهوة:

- اشرب قهوتك.

* * *

الساعة 4:18 مساءً..

تقدَّمت بخطوات واسعة فوق السجادة الترتان بين صفي الطاولات في ذات العبّارة التي جلست بها مع عمر من قبل.. الجو منعش اليوم، يحمل نسائم وهواء لطيفًا.. الطاولات شبه شاغرة إلا من طاولتين أو ثلاث.. عمر جلس بآخر العبارة يرتدى نظارات شمسية وحلّة رسمية برابطة عنق.. أمامه حقيبة العمل.. بدا كأنه هنا منذ فترة ليست بالقليلة.. نظر للماء بشرود وكأنه تجمد هكذا.. مظهر لا يشي إلا بخطب ما..

سحبت كرسيًا بعد أن اقتربت من طاولته ثم أردفت مداعبًا:

- عبّارة على النيل؟ ممكن تقول لي طبيعة علاقتنا إيه بالظبط؟

نزع نظاراته فرأيت عينيه وقد تحجرت بهما دموع، فقلت بلهفة:
- ما لك يا عمر؟!
قال وهو يضع نظاراته على الطاولة:
- ما عرفتش أعمل له حاجة.
- هو مين دا يا عمر؟
انفجر بالبكاء وأردف:
- النهار دا كانت جلسة الحكم وأخد إعدام.
ثم تابع:
- كان بريء يا فارس..
وأضاف وهو ينتحب:
- وعنده عيلة وهيتشردوا. ولاده هيعيشوا بعار وأبوهم هيتعدم ظلم.
- هو صاحبك؟!
- لأ، موكل عندي.
قلت بتعجب:
- أنا أول مرّة أعرف إنك كدا.
- إني إيه؟ باحس! يا فارس إحنا بنظلم نفسنا لكن هاقابل ربنا ازاي بذنب الراجل دا؟
ثم تابع:
- عارف تلاقيك بتضحك من جواك ومش مصدقني عشان عمرك ما شُفتني كدا، لكن أنا عمري ما حد اترافعت عنه اتعدم ظلم.
أردفت متعجبًا:
- ازدواجية غريبة، كان أولى تكتب الواد اللي خلفته قبل كدا باسمك بدل ما تهرب، ما دام أنت حقاني قوي كدا.
- وإيه يضمن لي إنه ابني؟!
- أعمل له تحليل DNA.

ضحك وأردف:

- التحليل دا سهل يتزور عادي. دي عينات ممكن تتبدل.

نظرت له بثقب وشردت أتذكر تحليل رحيم ثم أردفت:

- عمرك خُنت يا عمر؟

- خُنت لكن عمري ما خُنت واحد صاحبي ولا موكل عندي.

- أمال خُنت مين؟!

أردف بحكمة:

- خُنت نفسي، وخُنت كل ست عرفتها عشان كدا ما عرفتش أتجوز ودخلت في بحر الكبت.

ثم تابع بعد أن تنهد:

- اللي زينا يا فارس عندهم كبت. مافيش ست تملا عينهم.

- بس أنا....

قاطعني:

- عارف، بتحب ملك، وهي كمان بتحبك. أنت حبك ليها وغيرتك عليها اتحولوا لوسواس بالخيانة. كنت باحاول أبوظ قضية الحضانة بأي شكل عشان مش عايزك تبقى عمر تاني.

ثم أردف بعد أن تفحصني:

- أنت هتموت فعلًا يا فارس زي ما بتقول؟!

وانفجر بالبكاء ثانية:

- كبرت قوي يا صاحبي. خلاص هتسيبني؟

ابتسمت وقلت برفق:

- العمر بإيد ربنا. لو حصل ادعي لي.

- لا يا فارس مش هتموت، أكيد فيه علاج. أنا عندي فلوس كتير خدهم واتعالج...

أومأت برأسي في أسى:

- ما الفلوس كتير يا عمر بس مافيش علاج..

- لأ فيه علاج يا فارس.. فيه علاج والله.

ظل يصيح بهستيريا وكل الأنظار تتجه إليه...

* * *

الساعة 8:30 مساءً..

منذ نصف ساعة أجلس في هذا المقهى الذي يبعث الكآبة في النفس.. هدوء وسكون تتخلله موسيقا هادئة.. أجلس على طاولة بالقرب من الجدار الزجاجي.. المقهى جدرانه زجاجية بالطابق الثاني من مبنى طويل تجاوز العشرة طوابق.. الطاولات تعد على الأصابع.. الملل جعلني أقوم بعدِّها.. ثماني عشرة طاولة ألوانها بنية.. مع أرضية نحاسية وبار بالمنتصف.. ونادل يمر أمامي بين الحين والآخر ليحضر فنجان قهوة ويأخذ الفارغ.. التدخين ممنوع تأففت كلما رأيت اللافتة على الجدار الزجاجي أمامي.. لعنت فرح لأنها وضعتني في هذا العذاب.. أعبث في الهاتف مرات ثم ألقيه على الطاولة بضجر..

ها هي عبرت الباب أمامي.. تتمايل بأنوثة بعينين زرقاوين ظهرتا مع الإضاءة العالية في المقهى.. ترتدي بلوزة قصيرة سوداء كعادتها.. طال الحداد.. وددت أن أخبرها أن القمر إن دخل في حداد لهذا السواد الغارق فيه لمات من في الأرض، لكن لن تعي هذه الكلمات البلهاء..

جلست أمامي وقالت برفق بعد أن وضعت حقيبتها:

- إزيك يا أستاذ فارس.

ثم تفحصتني بنظرها وأضافت:

- أنت حصل لك إيه؟!

- مش قلت لك إني هاموت قريب.

قالت بأسى:
- كلنا هنموت، لكن...
قاطعتها:
- مافيش حل.
ثم تابعت مبتسمًا:
- خير؟
- هو عادي إني أشوف تامر في الحلم ويقول لي قرّبي من فارس؟
ابتسمت وأردفت:
- أنت بتؤمني بالأحلام؟
أومأَت برأسها فأضفت:
- مافيش أي حاجة قال لك عليها تساعدني ما اعرفهاش.
- قال لي إنه شاكك فيك.
قلت ببلاهة:
- إزاي؟!
- يعني كان شاكك فيك في الأول، بس بعد كدا بقى متحفز جدًّا إنه يفهم مين إبراهيم دا.
- هو مات إزاي؟
- كان بيجيب آسر من المدرسة والعربية اتقلبت بيه وولعت.
نظرت لها بثقب:
- كان في شبهة جنائية.
- للأسف لأ، لكن التهديدات خلتنا نتأكد إنها بفعل فاعل.
- إزاي والحادثة قضاء وقدر!
اطرقت برأسها ثم أردفت:
- وموته بعد التهديدات دي؟!

ثم تابعت:
- الحاجة الوحيدة اللي أعرفها إن الناس دي مش بتلعب وخلصت الموضوع بمنتهى البساطة.
- مش خايفة؟
ابتسمت وقالت ببرود:
- عندي إيه أخسره تاني بعد موت جوزي وابني؟
- نقوم؟
ابتسمت وتناولت حقيبتها ثم تابعت:
- بس تسمحي لي أوصلك. أنتِ معاكِ عربية؟
- لأ
- أوصلك؟!
أومأت برأسها إيجابًا وابتسمت..

* * *

لم أستطع الجلوس بالصالة في ديسكو مايكل.. الموسيقا تسبب لي صداعًا وطنينًا بالأذن.. الإضاءة تزيد عيني حمرة وتسبب تهيجًا في أغشيتها.. جسدي لم يعد كما كان يحتمل الكثير.. أكاد أسمع صوت طقطقة فقرات رقبتي قسرًا وكأنني باب خشبي يصدر صريرًا.. قد تخلى عني الزمن وأطلق العنان لسنونه لكي تلعب معي.. غادرت الصالة منذ برهة بعد رحلة عناء وارتطام بأجساد منتشية.. أجساد لم تُبلَ مثل جسدي ولكن الشهوة تبليها.. صعدت السلَّم بخطى مثقلة واهنة نحو مكتب مايكل.. أستند على السور الحديدي له براحة يدي اليسرى.. وأقف مرات أجمع قوتي الذابلة..
مشيت في الممر الواسع أمامي ثم وصلت غرفة مكتب مايكل.. دسست المفتاح وفتحت الباب ثم دلفت وأغلقت الباب خلفي برفق..
الإضاءة عالية والغرفة معزولة عن الضوضاء في الصالة.. تقدَّمت وجلست على كرسيٍ أمام المكتب ثم نظرت في ساعة يدي برفق.. الساعة الحادية عشرة مساء.. الطقس رائع لكني لم آبه.. أنا في حداد اليوم على فارس المسكين..

فتح مايكل الباب برفق ثم تقدَّم مترنحًا من تأثير الكحول، وجلس على كرسي مقابل لي ثم أردف:

- ماعلش اتأخرت عليك يا روستو.

قلت بضيق:

- لا أنت تقوم تغسل وشك وتفوق. أنا مش هاكلمك وأنت كدا.

قال بصوت ناعس:

- يا عم أنا فايق أهووه.

- قوم يا مايكل.

تأفف وقام يترنح ويتجه لحمام صغير في الغرفة، دس رأسه أسفل صنبور الماء في الحوض بعد أن ترك باب الحمام مفتوحًا، وظل على تلك الحالة بقدر أن أشعلت سيجارة وأنهيتها وأشعلت الأخرى..

ناديت ببلاهة:

- أنت مُت ولا إيه يا ابني؟!

فأشار لي بيده ورأسه لا تزال أسفل الصنبور ثم تابعت:

- يا عم خلَّص أنت هتنام كدا. بقالك ربع ساعة تحت الحنفية.

أخيرًا أزاح رأسه ثم التقط منشفة وتقدَّم يمسح رأسه من الماء بملابس تبللت. ظل ينظر لي بعته ويبتسم ثم أردف:

- أما حلم يا فارس.

ضحكت حتى سعلت:

- أنت كنت نايم تحت الحوض؟

- مش فاكر!

جلس على كرسي في المقابل ثم تابعت:

- لا وحياة أمك ركز معايا.

- معاك يا فارس.

قلت بضيق:
- متأكد؟
- آها.
ثم ناولته سيجارة:
- خد ولع وفوق كدا.
تناولها ثم أشعلها وظل ينفث الدخان برفق وبطء ثم أردف:
- كنت عايزني في إيه؟
- فاكر حنانِ؟
سحب نفسًا ثم سأل مستفهمًا:
- حنان مين؟
- البت اللي كانت شغالة عندك.
- اللي أنت ضٍربتها؟
ثم تابع مازحًا:
- كانت أسطورة. منك لله فقدت أحد أركان الديسكو الرئيسية.
- أحد أركان. يا عم ركز والنبي مش طالبة هزار.
قال بجدية:
- ما لها؟
- عايز أشوفها.
أومأ برأسه:
- نروح لها ماشي.
ثم تابعت ثانية:
- عارف كبارية سهرات اللي في الهرم؟
- آها.
- في بت هناك رقاصة اسمها كريمان مسافرة برّا...
قال بتعجب:
- ودي عرفتها من ورايا؟

- يا عم هافهمك بعدين. المهم عايز أعرف رجعت ولا لسّا.
- طب ثواني.
أخرج هاتفه ثم ضغط زر الاتصال ووضعه على أذنه:
- ألو، إيه يا عم سيف! ما نسمعش صوتك كدا؟
ثم تابع:
- اخص عليك. لا والله مش عايز حاجة أنت وحشتني وحبيت أسأل عنك.
ثم تابع:
- باقول لك إيه.
ثم ضحك بقوة وأضاف:
- لا دا مش طلب لأ. دا لسّا جاي على بالي دلوقتي بس أنا مكلمك عشان أنت واحشني..
ثم صمت ثوان وتابع:
- فيه بت في كبارية سهرات اسمها كريمان كانت مسافرة برّا. عايز أعرف رجعت ولا لسّا.
أومأ برأسه:
- آها يعني لسّا ما رجعتش؟ حبيبي يا سيف. خلينا نشوفك سلام.
وضع الهاتف على المكتب وأردف:
- لسّا ما رجعتش.
قمت وقلت:
- طب أنا هامشي عشان محتاج أرتاح. هاكلمك عشان نروح للبت دي.
- ماشي يا روستو.
توجهت ناحية الباب وغادرت بعد أن خرجت وأغلقت الباب برفق....

* * *

الأحد 17 مارس..

الساعة 2:30 مساءً

أزحت ذراعي بعد أن نظرت في الساعة.. استيقظت منذ ساعة ونصف.. الجو يحمل برودة خفيفة، وشعاع شمسي رأسي لم ينل من عيني اللتين اختفيتا وراء نظارات شمسية سوداء.. في حديقة فيلا أمين بيه خيري، أمام البسين الممتلئ بأوراق الأشجار.. طافت فوق الماء الذي أصبح لونه بنيّاً بفعل الأتربة والرياح.. الأرض عشبية تكسوها حشائش خضراء قُلِّمت بماكينة عشب بعنايةٍ فائقة.. سور الحديقة تحوطه أشجار خضراء بلغ طولها المتر والنصف تقريباً.. الطاولة البلاستيكية خلفي بخطوات، تركت عليها أغراضي وظللت شاردًا أتفحص الماء..

الشوائب الشتوية التي غسلت كل شيء إلا هذا البسين.. فارس حسين أيضًا لن تستطيع أي مياه في العالم أن تغسل جسده الضعيف من ذنوبه وآثامه.. لن يستطيع أي دواء في العالم أن يعيد له الشباب المفقود..

أتأمل الماء وأتنفس بعمق لأخرج زفيرًا حاول أن ينفض اليأس من صدري لكنه فشل..

ربتت على كتفي بقوة:

- عايز......

ثم قطعت حديثها صرخة:

- فارس ما لك؟

قبضت على يديها:

- اهدي يا ملك أنا كويس.

ثم بكت تنتحب بسيل من الدموع انفجر من عينيها:

- إيه اللي حصل لك؟

- مسامحاني يا ملك؟

ثم تابعت:
- للأسف يا ملك خلاص كل حاجة بقت قريبة، والموت.....
قاطعتني:
- بعد الشر يا حبيبي.
- أنا جيت بس عشان أقول لك إني ما كنتش عارف أنا باعمل إيه لما ضربت ريماس. صدقيني اللي حصل دا من أعراض الحالة اللي أنا فيها.
قالت بكلمات تقاوم يأسا ملأ قسماتها:
- تتعالج يا فارس. بابا يقدر يوديك.....
قاطعتها:
- مافيش أمل يا ملك والله. أنا جاي أسألك...
قاطعتني بضمة قوية وصدر تعلو أنفاسه:
- مسامحاك وبحبك.....
انسابت دمعات على شعرها من عيني وأنا أقبّل رأسها، برفق ثم أردفت:
- على قد ما عذبتك على قد ما حبيتك.
وكأن الزمن توقف.. هنا رجوته أن يتوقف وينهي كل شيء...

* * *

الساعة 2 صباحًا..

جلست في صالون شقتي أمامي الطاولة الزجاجية وفوقها الـ laptop.. أنهيت توًّا لف السيجارة المتخمة بمخدر الحشيش، ثم مسحت عليها بطرف لساني بلعاب حاول أن يصبح لاصقًا ولكنه بالكاد فعلها.. لعابي جاف حتى بعد تناول زجاجة مياه بشراهة.. كأن الجفاف أصاب جسدي ويزحف عليه كأغصان شجرة عنب عتيقة..

وضعت السيجارة على الطاولة ثم تناولت زجاجة نبيذ، ارتشفت منها رشفتين.. دسست الفلاشة في الـ Laptop ولم أشغل الفيديو؛ بل انتظرت،

وأشعلت سيجارة الحشيش التي عبق مخدرها في عقلي.. في دمائي وإن كان قد خدَّر قلبي من اليأس أيضًا، لأطلق ضحكة أتذكر معها بلاهة مايكل أسفل صنبور المياه..

وظللت أضحك بقوة على أي شيء أتذكره.. حالة من الضحك الهستيري.. ضحكت حتى سالت الدموع من عيني ثم بكيت...

بكيت على كل شيء حتى بلاهة مايكل.. كل شيء وإن رأيت أقوى فيلم كوميدي الآن لن يزيدني غير دموع ذابلة أكثر..

ضغطت زر التشغيل أخيراً لتبدأ الموسيقا.. تهتز الصالة بي.. شعرت وكأن الأثاث ينتفض.. موسيقا تدوي في أذني.. طنين حاد وصداع معه أطلقت صرخة أكاد أجزم أن كل الجيران سمعوا بها..

ظهرت الكلمة المعتادة Gamecan وبدأ العرض..

المكان: سيارة تامر..

الزمان: بمنتصف النهار.

زاوية رؤية جانبية على يمين تامر الذي التقط هاتفه بعد أن رنَّ.. بدا متوتراً وتصبب عرقًا.. كانت يده اليسرى ترتعش ولا تتحكم في مقود السيارة، ثم وضع الهاتف على أذنه..

- ألو.

تابع بخوف:

- أنت مين؟

ثم أردف بهلع:

- طب بلاش ابني.

Cutting..

في الجريدة جلست على كرسي المكتب زفرت نفس الدخان بقوة بسيجارة أمسكتها بين أنامل يدي اليسرى، والهاتف بيدي اليمنى.. تقترب الكاميرا من وجهي.. zoom in على شفتي اللتين تصاعد منهما دخان كثيف مع كلمات مقتضبة..

- ابقى ربيه في الجنة.

الشاشة تحولت للأسود، ثم ظهر مشهد لي في الكمين مع ذلك الضابط.. الإضاءة خافتة بالكاد أرى.. زاوية الرؤية رأسية ضيقة..

نظر لي الضابط بدهشة بعد أن فتحت حقيبة السيارة:

- إيه دا؟!

ثم دسّ يده وتفحص البضاعة وقبل أن يصيح نظرت له بعين ثاقبة فناولني الرخص بعد أن أومأت برأسي..

أغلق الفيديو...

ظلت عيني جاحظة بعد أن فسدت جرعة المخدر وتأثير الكحول.. أحملق في شاشة الـ laptop كالأبله ولا أفعل شيئًا غير ذلك.. لا أعلم أي تفسير منطقي لما حدث.. ماذا فعلت وماذا حدث؟! هذه الفلاشة لعنة وتسبب لي الهذيان.. أدركت توّا أن إبراهيم قد أرسلها لي ليجن جنوني.. ما هذا الهراء؟! كيف يتم تصويري هكذا؟! هل تلك المنظمة تراقبني؟! لكن كيف تضع هذه الفيديوهات في الفلاشة.. هل هذه الفلاشة تكنولوجيا متقدمة ويرسل عليها هذه الفيديوهات دون علمي؟! هل يرونني أنني أفقد عقلي ويرسلون تلك المشاهد لمراقبة ردود أفعالي؟! تذكرت ما قاله محمود عثمان أنني تُركت حيّا لهدف.. الآن أعلم الهدف هو مراقبة ردود أفعالي من تأثير العقار..

هل مرّت نور بهذا؟!

هل مرّت مشيرة؟!

سيل الأسئلة انفجر في عقلي.. قبضت رأسي بكلتا يدي مع هذا الصداع المزمن الذي ملأ رأسي، ثم نمت على الأريكة مكاني..

* * *

الثلاثاء 19 مارس..

ما زلت أجلس على كرسي المكتب أمام عاطف الذي ارتدى نظارات القراءة وظل يتفحص الملفات أمامه بتأمل.. آثرت الصمت مع تناول هذه السيجارة التي قتلت نصفها حتى الآن.. لم أبعدها عن شفتي الجافتين.. مظهر مدمن يرتدى حلة رسمية غير مهندمة ولحية زاد طولها لتخبئ بعض التجاعيد.. أضع الملف فوق ركبتي وأنظر لفنجان القهوة الخالي أمامي إلا من بقايا بنٍّ قاتم.. المكتبة أمامي تم إصلاح زجاجها منذ أيام..

نظرت في ساعتي بعد أن أطفأت السيجارة.. تجاوزت الحادية عشرة صباحًا بخمس دقائق.. وظللت جالسًا حتى الآن ربع ساعة..

نظر لي عاطف أخيرًا ثم أردف بعد أن نزع نظاراته:

- آسف يا فارس. كنت باقرأ تقرير مهم.

ناولته الملف الذي أحمله ثم قلت:

- اتفضل. دا تحقيق كامل عن حالتي وعن اللي حصل معايا.

تناوله وابتسم بخبث:

- طيب هاقراه وأرد عليك لو فيه حاجة ما ينفعش ننشرها.

- عمومًا أهو معاك. كدا أنا وفيت بوعدي.

ثم ناولته ورقة أخرى فقال:

- إيه دي؟

- استقالتي.

- ليه؟

قلت مبتسمًا:

- محتاج أرتاح اليومين اللي فاضلين لي.

- لكن يا فارس....
قاطعته:
- محمد اللي معايا في القسم ولد موهوب وشاطر. هيمشي الشغل كويس أحسن مني كمان لحد ما تشوف حد يمسك القسم.
قال بأسى:
- أنت فكرت كويس يا فارس؟
أومأت برأسي فتابع:
- طب هتعدي علينا ولا خلاص مش هنشوفك تاني؟
- أكيد يا عاطف. بس مش عايز شوشرة. لو حد سأل عني قول لهم أخد أجازة مرضية.
- بالتوفيق يا فارس.

* * *

جلست على كرسي مكتبي بعد أن جمعت أغراضي ووضعتها على الأريكة أمامي.. تنفست بعمق ثم زفرت بأسى.. ظللت أتفحص الغرفة بعيني وكأنها نظرات الوداع.. سوف أشتاق لهذا المكتب.. لرائحة الورق.. لابتسامة الزملاء السمجة.. تنمري على البعض ولساني السليط..
أشياء عدة تشغل تفكيري الذي قاطعته طرقات برفق على باب المكتب، ثم دلف محمد وأغلق الباب برفق..
تقدَّم ثم وقف أمامي وقال بأدب:
- حضرتك طلبتني.
أشرت له:
- اقعد يا محمد.
جلس ثم أردفت:
- أنا قدِّمت استقالتي.

قال بضيق:
- ليه؟
- أنا زي ما أنت شايف مريض وما بقيتش أقدر على الشغل..
ثم تابعت:
- أنت هتمسك القسم في غيابي. أنا كلمت أستاذ عاطف وعايزك تشرفني.
ابتسمٍ وأومأ برأسه ثم أضفت:
- طبعًا أنت معاك رقمي. لو أي حاجة وقفت معاك تكلمني. أنا سايب كل أرقام المصادر بتاعتي في ملف وورد على الكمبيوتر.
ثم قلت بعد أن قمت من الكرسي:
- يلا بقى وصلني بالحاجات دي لحد العربية.

* * *

الساعة 1 مساءً..

الجو يحمل برودة خفيفة.. السماء غائمة متخمة بالسحب.. الطريق أمامي مليء بالسيارات التي تسير ببطء كالسلاحف في هذا التجمع البشري كأنه يوم الحشر.. بعض عربات الباعة الجائلين على الجهة الأخرى.. يبيعون كل شيء وأي شيء ولا أحد يشتري.. ضجيج تسببه آلات التنبيه لهذه السيارات.. أصوات صياح بعض الباعة وهم ينادون ويدللون على بضاعتهم الرثة.. صوت بائع الجرائد يصيح بين الحين والآخر..

الجلوس بمقهى شعبي له سحر خاص وضريبته الصداع الذي يدوي في الرأس.. قادتني سيارتي هنا إلى هذه الحارة التي وجدت بها مقعدًا شاغرا على ذلك المقهى أمام رصيف بالكاد يتسع للطاولات الخشبية الصغيرة، والمقاعد الخشبية القديمة التي تسبب آلام العمود الفقري..

عدت أنظر أمامي ثانية بعد أن نظرت لسحب كثيفة تتدافع في السماء وتتصارع لتكتب نهايتها قريبًا بسيل من الأمطار الرعدية، ثم رمقت النرجيلة أمامي التي لفظ الحجر الثاني لها أنفاسه الأخيرة منذ قليل..

وضعت المبسم على الترابيزة الخشبية، وتناولت الهاتف لأنظر بساعته تجاوزت الواحدة بثلاث دقائق .. تأملت ثلاث دقائق من آخر مرة رأيت بها الساعة.. هذا وضع يشي بملل ويُنبئ بأن وقت المغادرة قد آن..

السيارة صُفت أمامي والسائس يراقبها عن كثب.. يمني نفسه بورقة فئة خمسين جنيه وهو يتفحص العلامة التجارية لشركة BMW.. تلك العلامة التجارية التي أجزم أنها لم تطأ هذه الحارة من قبل مع صف السيارات Lada وغيرها من السيارات الاقتصادية التي أراها..

ملل الاهتمام بالتفاصيل عند الوحدة والتأمل الشارد برنامج حاسوبي يأخذ حيزًا كبيرًا من كمبيوتر العقل.

تأملت هذه العجوز الغجرية التي سألت حاجتها لكل الطاولات بالمقهى.. عجوز غزت التجاعيد وجهها.. ترتدي جلبابًا أسود عليه حجاب أسود كبير يخبئ ثلث وجهها.. عينان حادتان واثقتان أسفل حاجبين خفيفين بالكاد ظهرا..

أنف صغير أفطس يشغل حيزًا من وجه صغير.. شفتان يابستان أسفلهما خط أسود طولي وعلى جانبيه نقطتين وكأنما رسمت صليبًا غير مكتمل..

لم يعد هناك غيري لتسألني فدسست يدي في جيبي وأخرجت ورقة فئة عشرين جنيه تركتها في يدي، وعندما اقتربت وضعتها في يدها دون أن تتحدث..

قلت مبتسمًا:

- ادعي لي يا أمي بس بالله عليكِ.

- ربنا يكرمك يا ولدي.

ثم أضافت بكبرياء:

- احنا ما بناخد مال ولا بنتوسل لسؤال.

قلت مازحًا:

- ما أنتِ أخدتِ يا أمي.

ثم تابعت بودٍ:
- الناس لبعضها.
- لا يا ولدي أقبل إن قبلت الخدمة.
قلت ببلاهة:
- خدمة؟!
فجلست على كرسي بجواري وأردفت:
- باضرب لك الودع وأقرا لك الكف.
مددت يدي اليسرى بلا مبالاة:
- اقري.
- يمينك يا ولدي.
فسحبت يدي اليسرى وناولتها اليمنى تناولتها ثم جحظت عيناها:
- كف شيطان مريد ممسوح منه تفاصيل. لا شفنا خط عمر ولا بان منه حظ.
قلت بغضب:
- شيطان إيه يا ست أنت؟ أنت شكلك مجنونة.
نظرت لي بخوف:
- يبعد ربي شرّك.
فقلت بود:
- شوفي تاني ماعلش.
ثم وضعت يدي اليمنى واليسرى أمام عينيها فصاحت ثانية:
- يا الله!
قلت بخوف:
- فيه إيه؟!
- بانت تفاصيله.
- يا حاجة ما تخوفينيش أنا مش ناقص.

فقالت بعجل:

- عاشق وغاوي نسا. حظك بيان عظيم ومخبي فيه الشقا. عمرك ما ظاهر ليه؟!

ثم تابعت ببلاهة:

- من أنت يا ولدي؟

- أنا شخص عادي يا أمي.

ثم تابعت بيأس:

- إن حكيت لك تدبريني؟

- قول يا ولدي.

قصصت عليها بعض الأشياء عن حالتي وما حدث لي وعلى مدار عشر دقائق كانت ملامح البلاهة تكسو وجهها وبعد أن فرغت قالت..

- ما شُفت بعمري كيف ما قلت. ولا شُفت بعمري كف زي كفك. لا أقدر أقول لك سحر ولا أقدر أقول لك علم.

صمتت وتناولت رشفات من كوب المياه ثم تابعت برفق:

- ما قرينا الكتب.

وقبل أن تغادر نظرت في كفي ثانية بفضول:

- كف.....

ثم هرولت بعيدًا عني. تناولت مبسم الشيشة بعد أن وضع القهوجي حجرًا آخر...

* * *

الساعة 9:30 مساءً..

جلس عمر على الكرسي الوثير بمكتبه بعد أن أغلق النوافذ.. الغرفة شاسعة بها تكييف في الجدار المقابل لمكتب عمر الضخم.. وراء المكتب مكتبة كبيرة تحوي مجلدات.. الوسيط في شرح القانون المدني.. الدفوع الجنائية في قضايا المخدرات.. الطب الشرعي الجنائي.. ظللت شاردًا أتفحص

المجلدات بعناية وتساءلت إن قرأ عمر كل هذا لأصبح علَّامة قانونية، لكنه لم يكن محبّا للقراءة.. أيضًا هو محام متميز عن أقرانه ويتقاضى عن بعض القضايا مبالغ تتخطى المائتين ألف جنيه..

معضلة غريبة، حلها أن الفساد يجعل الطريق أسرع.. معضلة الغاية تبرر الوسيلة وهي نهج عمر في حياته، وما جعلته يصل لتلك المكانة القانونية المرموقة..

أرخى رِابطة عنقه ثم أخرج سيجارةٍ ملغمة بمخدر الحشيش وأشعلها ثم سحب نفسا وناولها لي عندما كنت جالسًا أمامه..

- الكيف مناولة يا صاحبي.

- عمر أنت مش بتتكسف لما بتقعد مع زمايلك من طريقة كلامك دي؟

تناولت السيجارة ثم أجاب:

- الطريقة دي اللي بتخليني أعرف أتعامل. أنا بيورد عليّ كل فئات المجتمع ولازم أعامل كل واحد بطريقته.

- وأنت بتتكلم معايا كدا على أساس إني مُسجل؟

أردف بودٍ:

- لا يا صاحبي أنا بابقى براحتي معاك.

أومأت برأسي ثم سألت ببلاهة:

- أنت قريت الكتب اللي وراك دي؟

- لا يا عم، أقرا إيه بس؟ دول ديكور.

فضحكنا ثم أردفت:

- حصل لي موقف غريب النهار دا.

- إيه؟!

سحبت نفسًا عميقًا من السيجارة ثم قلت:

- قابلت ست غجرية من اللي بيقروا الكف أول ما شافت كفي اتصدمت وقالت لي كف شيطان مافيش فيه تفاصيل. بعد شوية شافته تاني قالت لي بانت تفاصيله وقعدت تكلمني عن حظي لكن خط العمر ما كانش ظاهر.

قال بتحفز وأنا أناوله السيجارة:
- وبعدين؟
- حكيت لها عن اللي حصل لي قالت لي دا ما اقدرش أقول سحر ولا علم.
ثم تنهدت وتابعت:
- بصراحة كلامها لعب في دماغي وعايز أروح لحد من الناس دول.
قال ببلاهة وهو يزفر نفس الدخان:
- ناس مين؟
- الدجالين. تعرف حد؟
ابتسم وقال بثقة:
- عمر مافيش حاجة ما يعرفاش.
ثم أطفأ السيجارة وقام من الكرسي وأضاف:
- يلا نسهر شوية ولا هتنام بدري؟
- لا يلا.

-9-

العلم سحر لمن لم يدركه، والسحر علم لمن أدركه..

أكملت توًّا ارتداء جاكيت البدلة.. وقفت أهندم ملابسي أمام المرآة بتأنٍّ.. نظرت لوجهي نظرات شفقة على تلك التجاعيد التي كسته وتفحلت به.. عاقد الحاجبين، واجم القسمات، عبوسًا كأسد جائع.. تأملت لحيتي التي أنبتت وزاد طولها وشعر رأسي الذي ظهر فاقدًا بعض الخصلات الأمامية ولكن لا تُلفت الأنظار..

تناولت زجاجة عطر ثم رششت على ملابسي إلى أنِ اقتربت من أن تنتهي.. وسواس قهري بالنظافة لجسد سيِبلى ويتعفن قريبًا.. متلازمة البقاء تدفع ما بقي من روحي المهترئة.. مسحت على وجهي بالعطر المنعش ثم تناولت أغراضي وغادرت الغرفة..

رأيت الصالون المتسخ في طريقي للخروج ثم رمقته بضيق مشمئزًا وعبرت نحو باب الشقة، ثم خرجت وركبت الأسانسير..

ظللت أتأمل وجهي في مرآة الأسانسير إلى أن استقر أخيرًا بالطابق الأرضي، فخرجت صافعًا الباب خلفي بقوة كادت أن تحطم الزجاج الأمامي له..

مشيت بثقة في مدخل العمارة ثم ألقيت التحية على بواب متحفز النظرات.. وأكملت طريقي للخارج.. بعد بضعة خطوات من باب العمارة صُفت سيارتي.. تقدَّمت منها ثم ركبت وأشعلت المحرك مغادرًا..

سرت ببطء في الشارع الضيق إلى أن وصلت نهايته وأدرت عجلة القيادة برفق يمينًا مع إشارة.. ثم أطلقت العنان لمحرك السيارة لتسير بسرعة مع

أنغام علت من المسجل لأغنية تركية adımı kalbine yaz لحن يسبب تهيج الأغشية السمعية وتنميل في الأطراف لتتحرك معه..

Senden nı bir haber

Ne selam geler oldu

أطقطق على مقود السيارة مع علو اللحن الذي خالجه رنين هاتفي.. أغلقت المسجل ثم أجبت..

- ألو.
- أيوة يا فارس عايز أقابلك.
- ما لك يا رشاد؟!
- مافيش أنا في الفيلا. يا ريت تعدي عليّ ضروري.
- طيب يا رشاد ساعة وأكون عندك.
- ما تتأخرش يا فارس.

أغلقت الهاتف ثم ضغطت زر تشغيل المسجل ثانية...

* * *

وقفت أمام الجدار الزجاجي بطول الغرفة الذي يطل على حديقة فيلا رشاد.. فتحت الباب قليلًا ثم نفخت دخاني نحو الخارج مع عبور تيار هواء قوي أثلج صدري.. رميت السيجارة في الهواء لتُكتب قصة عشق دامت دقيقتين.. الجو يحمل برودة قارسة مع هواء بارد.. درجة الحرارة خمس عشرة درجة كما ظهرت في الهاتف الذى نظرت في شاشته منذ قليل.. استدرت أتفحص الغرفة..

الغرفة شاسعة ومساحتها تخطت الأربعين مترًا.. سرير رشاد خلفي بعد عدة مترات.. سرير له أربع قوائم ضخمة وأربعة أعمدة يحملون ستارة شفافة.. التسريحة عملاقة في مواجهة السرير.. لم يكن هناك دولاب ملابس أمامي.. وربما امتلك dress room مخصصة للملابس..

وكان هناك في آخر الغرفة بقسم آخر أنتريه مودرن أمامه شاشة تلفاز عملاقة، وباب صغير خرج من منتصف الجدار الأيسر بالأحرى باب حمام داخلي..

المال لا يجلب العمر ولا يجلب السعادة لكن يجلب الرفاهية.

كان رشاد غارقًا في نوم عميق.. ينتفض بين الحين والآخر والعرق الغزير بلل نصفه العلوي مع تلك البيجامة البيضاء.. ربما يعاني من الحمى.. غُطي نصفه السفلي ببطانية ثقيلة أثقل من أن يتحملها جسده مع هذا العرق..

الساعة الآن الواحدة والنصف مساءً.. مرت نصف ساعة منذ أن أتيت ولم يستيقظ إلى الآن، أردت أن أوقظه مرات لكني احترمت ما طلب..

فقد أخبر الخادمة بأن أجلس أمام السرير وإن وجدته نائمًا، ولا أغادر حتى يستيقظ ولا أحاول أن أوقظه..

تتأففت ثم تقدَّمت من باب الغرفة وعندما اقتربت من باب الغرفة، رأيت الخادمة ترتدي uniform منزلي وتحمل فنجانًا آخر من القهوة..

قالت بأدب وهي تعترض طريقي:

- فارس بيه، أرجوك استنى شوية. رشاد بيه لو عرف إنك مشيت ممكن يقتلني.

قلت بغضب:

- هو المجنون دا ما طلبش دكتور ليه؟!

قالت بأسى:

- هو مش بيحب الدكاترة.

- أنا هاكلم دكتور.

ثم تنهدت وتابعت:

- وإيه هاقعد أتفرج عليه وهو نايم؟!

- ماعلش يا فارس بيه. حضرتك اشرب القهوة الأول، وبعدين اعمل اللي تعمله..

أومأت برأسي ثم دلفت الغرفة ووضعت القهوة على كومود بالقرب من السرير وغادرت..

تقدَّمت وجلست على كرسي بالقرب من السرير ثم أشعلت سيجارة.. تناولت فنجان القهوة وارتشفت عدة رشفات ثم وضعته أمامي.. فتح رشاد عينيه بصعوبة ونظر لي بخوف وتوسل..

أردف بخوف:

- فارس، مش عايزة تسيبني.

- مين دي يا رشاد؟!

- نور.

ثم أضاف وهو يبكي:

- عايزة تشوفك يا فارس.

قلت مازحًا:

- لا أنا لازم أكلم دكتور أنت شكلك عندك حمى وبتخرف يا رشاد.

- لا يا فارس.

ثم مدَّ يده بوهن فمددت يدي بعد أن أزحت الستارة الشفافة:

- عايز تسلم.....

* * *

كانت الأرض ترابية أسفل قدمي.. غابة من أشجار الكافور العملاقة التي تمتد على مرمى بصري.. تمتد بقدر ما استطاع نظري أن يصل.. نظرت حولي في كل الاتجاهات وكأنها بلا نهاية.. كما أنا أرتدي ملابسي بذات الهيئة.. ركضت للأمام حتى لهثت واتكأت على ركبتي براحتي يدي ثم تنفست بعمق وركضت يمينًا ويسارًا.. لم أستطع أن أحدد الاتجاهات فدسست يدي في جيب بنطالي لأخرج الهاتف وأرى البوصلة لكن لم أحمل شيئًا في جيبي.. لا مال ولا محفظة ولا هاتف..

صدري يعلو ويهبط مع الأنفاس المتهدجة ثم جلست أستند على ساق شجرة.. دقائق بل ثوان ثم قمت وصحت بصوت رنَّ ودوى كأنه خرج من مكبر صوتي..

- رشاد.

- رشاد.

- نور.

ثم ظهرت أمامي نور من العدم على بعد مترات.. عادت شابة كما كانت.. جميلة كبدر.. عينان زرقاوان تلمعان كموج المحيط.. خصلات ذهبية زاد لمعانها شعاع شمسي فرّ من ظلال أشجار الكافور.. ترتدي جلبابًا أسود مزينًا بحلى ذهبية وأخرى ماسية مثل الذي ارتداه إبراهيم من قبل.. ابتسمت وهي تضع قدمها فوق صدر رشاد المسجى على الأرض بذات الملابس.. نظر لي بتوسل ويأس..

لم يتحدث ولكن هي من قالت بغلٍّ:

- لازم يموت الكلب دا.

فأردف رشاد بتوسل:

- خليها تسيبني يا فارس.

ركلته في وجهه بقدمها فسالت دماء من فمه وفقد الوعي ثم أردفت بلهفة:

- وحشتني يا فارس. أنا عايشة في وحدة وعايزاك معايا.

- سيبيه يا نور.

صاحت فيّ بغضب:

- لا مش هاسيبه.

- طب سيبيه وهاعمل لك اللي تطلبيه.

أطرقت برأسها ثم أردفت:

- تيجي معايا.

قلت مازحًا:

- أوعدك لما أموت وأدخل النار هابقى أتجوزك هناك.

ضحكت ثم قالت:

- ومين قال لك إنك مش في النار؟ أنتو قيامتكم يوم ميلادكم وبتدخلوا نار الدنيا من غير حساب.

قلت ببلاهة:

- إحنا مين؟!

- هاسيبه يا فارس عشان بحبك، لكن المرة دي لو خدعتني تاني..

قاطعتها:

- إحنا مين؟!

- أنتو......

ثم ضحكت وأضافت:

- هاستناك.

عدت لوعيي أقبض على يد رشاد اليمنى.. فتح عينيه ثم نظر لي مبتسمًا مع فمٍ سالت منه دماء قليلة.. وكأن رشاد لم يشعر بالتعب.. لم يكن هناك عرق.. كان في كامل وعيه وفي أوج نشاطه.. قام ثم أزاح الستارة وجلس على حافة السرير..

قلت ببلاهة:

- عندك تفسير للي حصل؟!

- أنا كنت باتعذب يا فارس.

ثم تابع بعد أن دنا مني وقبّل رأسي:

- أنت أنقذتني.

عاد وجلس على حافة السرير ثانية فقلت بغضب:

- عايز تفسير!

- كانت بتيجي لي كل يوم لحد ما الموضوع زاد. كنت فاكر إنها مجرد كوابيس لحد ما قالت إنها هتقتلني لو ما شافتكش. أنا ابتديت أتوتر ورحت لدكاترة ما جابتش نتيجة لحد ما واحد شار عليّ أروح لراجل علّامة كبير..

ثم تنهد وتابع:

- اسمه شمس تبرير. راجل شيخ كبير كدا وعليه الوقار، قال لي إن روحها مش عايزة تسيبك ولازم تعمل لها اللي عايزاه وإلا ممكن تتأذى منها وهي كان طلبها إنها تشوفك...

قلت بتحفز:

- أنا عايز أقابل الراجل دا.

- للأسف هو مش في مصر حاليًا، لكن أنا هاكلمه وهابعت أجيبه.

ثم أضاف بفضول:

- عايز تشوفه ليه؟!

- الراجل دا ممكن يريحني من اللي أنا فيه، بس في أقرب وقت يا رشاد لأني مش ضامن أعيش لحد إمتى...

- أنت عندك نفس حالة نور؟!

أومأت برأسي فأردف بودٍّ:

- خلاص يا فارس. في أقرب وقت هيكون هنا ما تقلقش.

* * *

الخميس 21 مارس..

كل شيء حمل عبقًا ونسائم رقيقة.. الجو رائع تزين بلون ربيعي ينعش الأنفاس.. أنفاسي التي اختلطت بدخان وكحول، هل سيقدر الربيع أن ينسيها فسادها؟! الليل أتى سرمديًا مع أضواء خافتة لوقت تجاوز السابعة مساءً.. الوحدة والشجن يحيطان بي.. أخيرًا ارتديت ملابس خفيفة مع ذلك الطقس الذي تأخر كثيرًا ولكنه بالأخير أتى ليطوي بعض الشتاء بما له وما عليه..

أجلس على الكورنيش أتأمل مياه النيل وأشرد بها.. أحدثها عما مررت به ولا تجيب، فأزيدها حديثًا واهيًا.. أشعل سيجارة أخرى وألفظ أنفاسها بغضب عندما كنت جالسًا على السور الصخري..

الهرم آفة الأغنياء وأصحاب النفوذ..

الصحة ما عجز المال عن شرائها..

الموت لا يُرشى ولا يموت..

الخلود ممل ولعنة..

لم أذهب أي مكان منذ أن تركت رشاد البارحة.. نمت منذ أن غادرت فيلته إلى قبل الآن بساعتين وكأن عقلي رفض جنون الواقع ووجد بالنوم ضالته فاستسلم له طواعية..

أتأمل العاشقين على يساري، أحضان هامسة وقبلات خلسة بين الحين والآخر، يسرقان من الحياة لحظات من الحب الذي سينتهي قريبًا بزيجة لهذه الحسناء رغمًا عنها ثم تتأقلم لتصبح سعيدة بما حظيت..

الحب الصادق لا ينتهي بالزواج.. الزواج منحنى بالقصة.. الحب الصادق لا ينتهي أبدًا وإن لم يكن هناك زواج.

رنَّ هاتفي فالتقطه وأجبت:

- إيه يا عمر؟

قال بوهن:

- أنا في مستشفى السلامة.

قلت بلهفة:

- فيه إيه؟

ثم أضفت:

- أنا جاي لك.

* * *

عبرت الباب المفتوح ملتصقًا بالحائط توًّا.. ألهث كمن فرّ من فكٍّ مفترس.. صدري يعلو ويهبط وأنفاسي متقطعة.. لا بد أن السجائر جعلت صدري كقنديل فقد وقوده فخفت واقترب من ألا يضيء ثانية.. أتأمل الغرفة الصغيرة بدولاب طبي قزم بجانب سرير ارتفع ما يقرب من المتر بآخر الغرفة.. لا شيء يذُكر في تفاصيلها غير الإضاءة العالية بمصابيح نيون قوية زادت إضاءتها مع الجدران البيضاء والأرضية..

جلس عمر على حافة السرير الطبي عاري النصف العلوي ولفَّ شاشًا طبيّا فوق كتفه اليسرى..

كانت الممرضة قد فرغت توًّا منه وتستعد لكي تغادر.. ما إن رأتني حتى ابتسمت ببرود ولكن ابتسامة عمر ما جعلت عقلي يهدأ قليلًا..

تقدَّمت بخطوات متحفزة وأنا أصيح:

- ما لك يا عمر؟

ثم أردفت الممرضة ببرود:

- ما تقلقش خير.

وأردف عمر:

- مافيش حاجة، إصابة بسيطة كدا. قدَّر ولطف.

- حصل إيه؟!

قال بعد أن غادرت الممرضة:

- عيل مُسجل اختلفت معاه في الأتعاب ضربني بمطواة.

- عملت محضر؟!

ابتسم ثم قال بغلٍّ:

- لا أنا هاعرف أجيب حقي كويس.

تعجبت من ازدواجية عمر وكيف أنه محام ولا يخضع للقانون فيما يخصه وظللت شاردًا حتى قطع صمتي..

- يلا بينا. هات إيدك بس خلي بالك على كتفي.

- طب هيمشوك إزاي من غير محضر؟
أردف مبتسمًا:
- ما تشغلش بالك. أنا مخلص كل حاجة.
مددت يدي أساعده وسِرنا ببطء وبعد أن اقتربنا من باب الغرفة قال بأدب:
- ماعلش يا فارس نسينا التيشرت بتاعي على السرير ورا. ممكن تجيبه؟
تركته عند باب الغرفة وبعد أن تناولت التيشرت نظرت لظهره ثم جحظت عيني.. شعرت أن الدُنيا تدور بي وسأفقد وعيي لكني جمعت بالكاد قوتي.
أردفت بهدوء يخالف ما شعرت به:
- إيه اللي في ضهرك دا يا عمر؟
- دا جرح قديم كنت واقع وأنا صغير على سيخ حديد لكن ربك ستر.
قلت بتعجب:
- لكن دا أكتر من 3 علامات!
- الحمد لله.
ثم تابع مازحًا:
- المؤمن دايمًا مصاب. مش أنا مؤمن يا فارس؟
ابتسمت بخبث وأردفت:
- أنا اللي آمنت خلاص.
نظر لي ببلاهة ثم اقتربت منه وتابعنا طريقنا...

* * *

الإثنين 1 أبريل..

أيام مضت ورحلت ولم يرحل جسدي من شقتي.. أصبحت حبيس هواجسي بما رأيت من رشاد ثم عمر.. كل شيء خارج حدود المنطق الآن ويدفع عقلي للخلود إلى النوم.. تئن نفسي وتصارع الواقع الفوضوي..

تشابهت الأيام واختلط الحابل بالنابل.. الخمر أصبح رفيق عزلتي على مدار الأيام الماضية.. لم يأتِ الزائر حتى الآن وكأنه فرغ مني..

فقدت ضرسين وساءت حالتي عن ذي قبل.. أموت ببطء.. قطار الهرم سريع لكني أريد قطار الموت أن يسبقه.. أريد أن أموت بلا ألم وتطلق روحي بسجية تئن قسراً..

نظرت في هاتفي ثم وضعته على الطاولة أمامي عندما كنت أجلس في صالون الشقة الجلوس المعتاد.. الساعة الخامسة مساء.. مضت ثلاث ساعات أجلس بها على ذات الحال.. فقط أتأمل وأفكر..

رنَّ هاتفي الذي تركته توّاً كأنما حزن على فراقي. تناولته ثم أردفت:

- إزيك يا مدام فرح.
- الحمدلله. أنت أخبارك إيه؟
- عايزة أشوفك النهار دا.
- تمام أنا كنت خلاص زهقت من البيت وهانزل. هاعدِّي عليكِ.
- أوك في المركز.
- أوك سلام..

* * *

الساعة 8 مساءً..

قبضت على يدي برفق عندما كنت أضعها فوق مقود السيارة.. مثبت العينين على الطريق أمامي الذي كان مكوّناً من أربع حارات.. حركة المرور بطيئة وبالكاد سرت مسافة أربعين كيلومتر في الساعة..

السيارات تملأ الحارات وصوت المحركات وآلات التنبيه أسمعه بقوة مع شبابيك أمامية مفتوحة يسري منها تيار هواء منعش..

نظرت لها بدهشة ثم قلت:

- فيه إيه يا فرح؟!
- وحشتني.

قلت بتعجب:
- أنت كويسة؟!
ثم تابَعت بعد أن أزحت يدها:
- شاربة حاجة؟
- عاجباك؟
صففت السيارة على يمين الطريق ثم أردفت:
- فرح أنتِ مش طبيعية خالص.
- عاجباكَ من أول ما شفتني وبتحاول تعمل أي حجة عشان تقابلني.
ثم تابعت بخبث:
- أنت كمان عاجبني. فاكر يا فارس لما اتخليت عني وسبتني؟
قلت ببلاهة:
- اتخليت عنك؟!
- عشان عجزت.
صحت فيها:
- فيه إيه يا فرح؟!
- جسم حلو لكن للأسف مش هيتحمل وجودي. ممكن أبقى فيه كل ما تعوز نبقى سوا. ها قُلت إيه؟
- فرح؟!
قالت بغضب:
- أنا نور مش فرح.
- نور..
- إيه مستغرب إن روح تبقى في جسم تاني؟ فيه حاجات كتير ما تعرفوش عنها حاجة.
لطمتها بقوة:
- فوقي يا فرح.

- هاجي لك تاني.
ثم انتفض جسدها بقوة واهتز وفقدت وعيها للحظات.
استيقظت ونظرت لي بريبة:
- فيه إيه؟ إيه اللي موقفك هنا؟!
- مافيش أغمى عليكِ وكنت باحاول أفوقك.
قالت برفق:
- أنا فعلًا ما حسيتش بنفسي. حاسة إني مرهقة من الشغل.
- ألف سلامة عليك. أنا هاوصلك وروحي ارتاحي على طول.
أومأت برأسها ثم أَشعلت المحرك..
* * *
مسحت على مرآة الحمام برفق لأزيح قطرات الماء العالقة بها.. نظرت بتوجس لوجه خالجته التجاعيد.. أصبت بلعنة تسارع ساعة العمر.. شفتان يابستان ووجه تحجر وجفت نضارته.. فتحت فمي ونظرت لضرسي اللذين فقدتهما من قبل.. شعرت بيأس وموت يطرق أبواب جسدي.. لا داعي لأحلمٍ الآن.. متى سينحني ظهري؟! سأصبح غير قادر على الحركة ثم سأموت متعفنًا فوق أريكة الصالون.. سيعلم الجيران بوفاتي من رائحة جسدي ثم ستسرد قصص واهية كاذبة بأن فارس حسين رحمه الله كان طيبًا محبًّا للخير..
لا داعي لفعل الخير فالموتى دائمًا كانوا أفضل الناس.
هذا ما يقال دائمًا عن الموت وكأن الناس تجامل الروح البائسة بكلمات لن تزيدها شيئًا سوى سيرة طيبة بعالم مادي.. لن تشفع الكلمات المنمقة للموتى ولن تزيدهم شيئًا..
تناولت منشفة ثم جففت جسدي ببطء من قطرات ماء تشبثت به لدقائق، وهي مدة وقوفي أمام المرآة والآن المنشفة كتبت نهاية قصتها..
ارتديت ملابسي ببطء ثم غادرت الحمام بخطى واهنة..

اقتربت مترنحًا من أريكة الصالون ثم جلست.. رأيت سجائري فمددت ذراعي والتقط سيجارة أشعلتها وزفرت الدخان بحنق.. أتذكر المأساة التي أحياها وحين تذكرت العجوز الزائر وجدته يجلس على كرسي يساري..

قال مبتسمًا:

- كبرت قووي يا فارس.

- هاموت إمتى؟

فأردف بتعجب:

- مستعجل على الموت؟

- عايز أترحم من العذاب اللي أنا فيه.

قال بغلٍّ:

- وهتسيب حقك؟

ثم تابع:

- شُفت ضهر عمر عامل إزاي؟ أكيد صدَّقت إن كل اللي شُفته حقيقي!

- عمر مستحيل يخوني.

فضحك وأردف:

- تفتكر واحد بازدواجية عمر دي. مش سهل جدًّا يبقى وفي وخاين في نفس الوقت؟

ثم أضاف:

- أحلى حاجة فيك إنك بتختار تصاحب المرضى النفسيين اللي زيك.

- أنت عايز إيه؟!

قال بودٍّ:

- مش عايز. أنا بس باوعيك عشان صعبان عليّ.

- عمر عمره ما كان خاين...

قاطعني:

- طب وملك مش طول عمرك شايفها خاينة. مش ممكن تكون ضحكت عليه؟!

- لا ملك ما تعملش كدا.
- براحتك. أنت اللي....
ثم اختفى مع إشعالي سيجارة أخرى متخمة بمخدر الحشيش..
* * *

الثلاثاء 2 أبريل..

الساعة 4 مساءً..

خفتت الأشعة الشمسية وقلت حرارة الجو.. لم يقترب ما بقي منها من عيني بنظارات شمسية سوداء زينت وجهًا جافًا.. الجو منعش ويحمل تيار هواء بارد مع رؤية النيل أمامي في تلك العبّارة التي أصبحت أحد أفضل زبائنها.. الطاولات ممتلئة أمامي.. تفحصت العبّارة بعيني قبل أن أنظر ثانية لماء النيل الهادئ أمامي..

أجلس على طاولة جهة اليمين بمنتصف العبّارة.. أرتشف من القهوة السادة رشفات متتابعة ثم نظرت لعلبة سجائر أمامي وتراجعت عن تناول سيجارة أخرى.. رئتي تحملان أطنانًا من السواد الذي خلّفه الدخان..

نظرت في الموبايل ثانية وقبل أن أتصل بها وجدتها أمامي.. تغيّر كل شيء بها.. ماذا حدث لك يا ملك؟! ارتدت عباءة سوداء وحجاباً صغيرا.. نظارات شمسية ذات عدسات دائرية كبيرة خبأت وجهها.. كأنها شخص آخر لفظ الدنيا وآثر أن يعود لطبيعته الملائكية.. أكانت في حداد على ما أصابني؟!

اقتربت من الطاولة ثم سحبت كرسيّا وجلست دون أن تسلم عليّ، ثم نزعت نظاراتها ونظرت لي بشوق بعينين تحجرت بهما دموع جزعة.. نظرات يأس وحب.. نظرات لم أرها من قبل في عين أحدهم..

قالت برفق:
- عمري ما كنت أتخيل يا فارس حبنا ينتهي بانفصال.
ثم فرّت الدمعات من عينيها وتابعت:
- عمري ما فكرت في لحظة إني هاشوفك بتموت قدامي وما اقدرش أعمل لك حاجة.

ابتسمت وحاولت أن أقبض على يدها فأبعدتها ثم قلت بخجل:
- كفاية إنك تسامحيني.
- أنا مرتاحة كدا يا فارس.
ثم تابعت:
- فارس أنت ما جربتش تقرّب من ربنا؟
- ما أنا قريب من ربنا، وبعدين إحنا بشر لازم نغلط.
أردفت بضيق:
- يا فارس أنت بتموت. لازم تحاول تصلح من نفسك.
- إن شاء الله. تشربي إيه؟!
- شكرًا.
صمتنا شاردين لثوانٍ ثم قالت بودٍّ:
- فارس أنا عايزة أعيش معاك اليومين اللي هتعيشهم.
قلت بيأس:
- لكن ما اتعودتش أكون تقيل...
قاطعتني:
- أنا ملك يا فارس. هارجع البيت بكرة إن شاء الله.
ثم قامت وابتسمت لي برفق...

* * *

الساعة 6 مساءً..

قبضت على الباب الزجاجي برفق ثم فتحته ودلفت.. تفحصت المقهى بعيني.. الطاولات متناثرة ومتباعدة بنظام في صالة المقهى مع علو أنغام لمعزوفة المطر.. موسيقا ترخي الأعصاب.. تنفست بعمق ثم تنهدت وقبل أن أخرج هاتفي اقترب مني مدير المقهى وابتسم بسماجة..

ارتدى بدلة سوداء أضافت الرسمية على قسماته وقال بأدب:

- اتفضل يا أفندم. فيه حجز؟
- أستاذ عاطف...
قاطعني بأدب:
- آخر ترابيزة على اليمين. هو في انتظار حضرتك يا فارس بيه.
أومأت برأسي ثم تقدمت.. ما إن رآني حتى ابتسم بود ثم اقتربت منه وسحبت كرسيًا وجلست..
قال مازحًا:
- ما تقلع النضارة دي. مافيش شمس خلاص.
أزحت النظارات عن وجهى ثم أردفت بعد أن وضعتها على الطاولة:
- خير يا عاطف؟!
- التحقيق اللي بعتهولي.
- ما له؟!
قال بتعجب:
- بصراحة غريب.
- مش فاهم!
- بص يا فارس. أنا مش هانكر إن دايمًا علاقتنا كانت متوترة لكن دا ما ينفعش يكون دافع ليك إنك تخليني مادة للسخرية.
قلت ببلاهة:
- مش فاهمِ!
أردف ساخرًا:
- الكلام اللي بعتهولي دا تقراه في رواية هابطة.
ثم أضاف بعد أن ضحك:
- لا رواية إيه. دا ما حصلش مجلة ميكي.
قلت بغضب:
- تصدق إنك حمار وعمرك ما هتتغير.

قال بدهشة:

- أنا يا فارس؟!

- أيوة يا عاطف. ما تبص على وشي. فين الكدب؟! شايف أنا عجزت قد إيه؟

فأردف بتأفف:

- أيوة وحد بيطلع يكلمك اللي هو أنت بعد ما كبرت، وبتشوف خيالات وحاجات ما حصلتش ومش عارف الخيال من الحقيقة ومنظمة بتراقبك..

ثم تابع بعد أن شرد قليلًا:

- إحنا ممكن نحط دا تحت مسمى الجنون اللي بتسببه الحالة دي.

صحت فيه:

- أنا مش مجنونٍ يا عاطف.

ثم قمت مغادرًا...

* * *

جلست على كرسي المكتب في شقتي.. لحظات من الصمت والتأمل في سمت الجنون.. الخيوط متشابكة بقدر لا يعي فهمها.. وكأن قصتي كتبها روائي بائس مجنون يلهث وراء الشهرة.. حبكة قدرية لا منطق بها وصدف غريبة.. لا أريد أن يكذب عليّ أحدهم الآن فعقلي قام بذلك وقد فعل بأبهى صورة..

قصتي لوحة غير نمطية لفنان فقد عقله.. تشبه اللوحتين أمامي على المكتب ورُسمتا بعبثية بيد إبراهيم.. ظللت أتأملهما وأشرد بهما.. في صورة هذا الرجل ممسوح الوجه.. من هو؟! هل هي رسالة؟!

كما رأيت من قبل في الفيديو أن الاهتمام بالتفاصيل سيجعلني أصل إلى ما أريد.. دقائق هكذا حتى شعرت بملل ومعه أرحت رأسي على كرسي المكتب وطقطقت فقرات رقبتي بعنف كاد أن يحطمها..

أشعلت سيجارة معها أطلقت زفرة غاضبة من ملل أصابني ولحق بي.. بل من فضول المعرفة التي ما زلت أبحث عنها حتى بعدما اقترب أجلي..

صمت وهمسات خافتة مصدرها الأثير.. همسات لا يسمعها إلا عقلي ولن يسمعها غير عقلي العالق في سكرات متاهة التأمل..

رنَّ صوته في أذني وهو يجلس أمامي على كرسي المكتب الأيمن، ثم قال مبتسمًا:

- باحب أقعد على الكرسي اليمين دايمًا. تعرف باحس إن اليمين دايمًا الصح.

- ممكن؟

ثم تابعت:

- أنت مين؟!

- يا راجل دا أنت سألتني السؤال دا ألف مرّة وما جاوبتش. ليه هاجاوب دلوقتي؟

قلت بعين ثاقبة:

- عشان أنت يمين واليمين صح وبيساعد الضعيف.

- اممممم نظرية.

أومأ برأسه:

- أنا اللي باقي منك!

- مش فاهم.

فقال مبتسمًا:

- تقدر تقول أنا شوية العقل اللي فاضلين في مخك.

- عقل؟!

ثم تابعت غاضبًا:

- دا أنت كنت سبب في إن حالتي تبقى أسوأ.

- أنا كنت بافكرك بس.

أومأت برأسي وقلت بحزم:

- طب فكرني باللوحتين دول. مين الشخص اللي ممسوحة تفاصيل وشه دا؟

أطرق برأسه:
- دا؟ امممم ما اعرفهوش لكن...
ثم أضاف وهو يشير بيده محذرًا:
- إبراهيم مش صح إنك تمشي وراه أبدًا.
- يعني إيه؟!
لم يجب واختفى من أمامي، لم آبه وتناولت سيجارة حشيش أشعلتها..

* * *

الأربعاء 3 أبريل

الساعة 10 مساءً..

صففت سيارتي أمام ديسكو مايكل.. ترجلت برفق ثم أغلقت الباب الأمامي بصفعة قوية.. مشيت ببطء متجهًا لباب الديسكو الذي زينه تمثلان من الجبس لفتاة تمتطي أسدًا ظهر ناباه وأحكمت لجامه.. إشارة عظيمة بأن هنا الجنس الآخر يروض الرجال.. هنا الجنس والكحول والموسيقا.. هنا يسكن شيطان الهلس ويخرّ أعتى جبابرة الرجولة الشرقية.. هنا يا صديقي يباع الوهم وتذاكر الهيروين.. بل تباع أجساد النساء وكلما زادت المنحنيات زاد السعر..

وقف شابان مفتولا العضلات.. ارتديا زيًّا رسميًّا.. ساعدان معقودان إلى الصدر.. ونظرات ثاقبة مع إيماءات لمن يعبر الباب..

رأيت لافتة عنوان الديسكو mika devi house.. مع أضواء حمراء قوية وكشافات led تضيء أمام الديسكو.. مايكل صاحب منزل الشيطان.. ابتسمت أتذكر بلاهته ثم تقدَّمت أصعد درجات السلَّم الرخامي..

ما إن وصلت إلى الباب حتى فُتح الباب وخرج مايكل يرتدي ملابس خفيفة ويضع يده فوق كتف فتاة بالكاد ارتدت ما ستر جسدها..

رآني فصفعها مازحًا وقال:
- اسبقيني جواً.

ثم صافحني بضمة قوية وقبلات وتابع:
- روستو حبيبي، فينك يا عم؟
ثم أضاف وهو يقبض على يدي ويجذبني نحو الداخل:
- تعالى ندخل.
- لا خلاص بقى. شكلك كانت عندك سهرة.
- سهرة إيه يا عم؟ أنا كنت هاعمل كدا مع أول واحد أشوفه وكأنه صاحبي.
ثم أضاف هامسًا:
- بيني وبينك كنت عايز أخلع. يلا هنفضل واقفين كدا؟
- لا هامشي. أنت عملت إيه مع حنان؟
قال بضيق:
- عزلت والله بس هاجيب عنوانها قريب. البت ريحتها طلعت في منطقتها واضطرت تمشي. الناس قرفانة منها، ما حدش عارف راحت فين.
- هاكلمك تاني.
ثم ابتعدت خطوات فنادى وهو يتبعني:
- استنى. أنت وراك حاجة؟
قلت بعد أن استدرت له:
- لأ.
- طب أن جاي نسهر سوا.
أومأت برأسي فتابع:
- بتعرف تسوق ولا نركب عربيتي؟
- مش ناقصة رزالة أمك.
فضحك وأردف:
- حبيبي يا روستو.

* * *

تمايل القارب برفق فوق سطح الماء الهادئ مع تيار هواء ربيعي منعش.. جلسنا بمنتصف القارب.. دندن مايكل لحنًا كئيبًا ولفظ أنفاس سيجارته بقوة ليحملها الهواء وتصير زبدًا.. الإضاءة خافتة لا نكاد نرى إلا أضواء بعيدة على ضفتي النيل.. ننظر أمامنا بظهرين متكئين على جانب القارب الصغير..

شغَّل صاحب القارب أغنية لأم كلثوم معها خفت صوت مايكل وهي تدندن أغنية أنت عمري..

الليل وسماه... نظرنا للسماء بشجن..

ونجومه وقمره.. شردنا أكثر..

كلنا في الحب سوا..

قال مايكل مازحًا:

- ملعون أبوه.

- مين دا؟

- الحب.

ثم أضاف متأثرًا:

- جيلان سابتني عشان قلة الفلوس ودلوقتي بتضرب نفسها بالجزمة. ما هي كلبة فلوس ما يفرقش معاها القرف اللي أنا فيه.

قلت بتأثر:

- طب أنت ليه...

قاطعني:

- كلهم كلاب فلوس.

ثم تابع بيأس:

- أنا مش مرتاح يا روستو. مليت من القرف اللي أنا فيه.

- ما حدش مرتاح يا مايكل.

أردف بأسى:

- أنت هتموت وهترتاح. يا ريت كنت أنا.

- إيه يا عم هنقلبها دراما؟ بعدين أنت خلصت السيجارة من غير ما آخد نفس!

فأشعل واحدة وناولني إياها...

* * *

الخميس 4 أبريل..

رنَّ جرس الشقة وطرق الباب بعنف.. تقدمت مترنحًا بالكاد أتوازن ثم فتحت الباب بعين نصف مفتوحة وقلت بدهشة..

- أمين بيه؟

أردف بغضب:

- هتسيبني واقف على الباب كتير؟

- لا اتفضل سعادتك.

دخل أمامي ثم اغلقت الباب، يرتدي بدلة رسمية ومنمق الملبس.. كعادته له غرور تهابه النفوس.. شخصية اللواء تسيطر عليه حتى الآن.. ما إن وصلنا إلى الصالون حتى رمقه مشمئزًا..

- إيه القرف دا؟!

فهرولت أنظف كرسيّا ليجلس عليه ثم تقدَّم وجلس وتبعته..

تابع بسخط:

- بص يا فارس. أنت واحد زي ما أنت شايف مش قادر تخلي بالك من نفسك، هتخلي بالك من بنتي ازاي؟! شايف القرف اللي أنت عايش فيه؟

ثم تابع بعد أن أشعل سيجارًا وقال بجمود:

- عندي علم بحالتك وعرفت إن كلها أيام وتموت. ملك أنا حبستها في الفيلا لأني ما احبهاش تعيش تخدم واحد زيك.

وتابع مشمئزًا:

- افرض اللي عندك دا معدي؟ ترضى إن بنتك تموت بسببه أو ملك؟

صمت فصاح فيّ بغضب:

- رد.

أردفت بخوف:

- لأ.

سحب نفسًا من سيجارته وزفره بكبرياء ثم أشار بسبابته محذرًا:

- اسمع يا فارس، أنت زي ابني، وكنت باعتبرك كدا، لكن لما الموضوع يوصل لأنك تضر ملك. أنت عارف أنا أقدر أعمل إيه.

ثم صاح مؤكدًا:

- عارف ولا لأ؟!

- عارف.

- يا ريت لا تتصل بيها ولا تشوفها تاني.

أومأت برأسي ثم قام مغادرًا وصفع الباب خلفه بقوة...

-10-

يبقى في داخلك جزء لا مرئي.. لا تعلم عنه شيئًا.. جزء يتصرف بما يخالف ظاهرك عندما يُطلب..

انتفض جسدي بقوة فوق السرير.. تصببت عرقًا من ذلك الحلم المزعج الذي تذكرت بعض تفاصيله ثم ذهب عني.. الكوابيس تعبث في العقل لتغزل لوحة جنون يرفضها العقل ويصحو ليتشبث بواقع فاق الكوابيس حدة..

تأملت الغرفة بعينين شاردتين، ثم التقطت سجائري من على الكومود الذي كان بالقرب من السرير، أشعلتها وسحبت أنفاسًا زفرتها بحنق بعين تقاوم النعاس الذي داعبها مرات.. تثاءبت ثم فركت عيني بكلتا يدي.. طقطقت فقرات رقبتي برفق..

تناولت الهاتف بعد أن رنَّ:

- ألو.

قالت بصوت متقطع:

- إزيك يا فارس.

قلت بود:

- إيه يا ميرفت فينك؟

- عايزة أقابلك ضروري.

- لو على اللي طلبته منك إن تراقبي عاطف.....

قاطعتني:

- عايزاك في موضوع شخصي.

ثم تابعت باكية:

- هتقف جنبي؟

- هالبِس وأقابلك في كافيه موكا اللي جنب الجريدة.
- شكرًا يا فارس.

ثم أغلقت الهاتف وألقيته على السرير وسحبت نفسًا آخر زفرت دخانه بقوة..

* * *

الساعة 12:14 مساءً.

أزحت يدي توًا بعد أن نظرت في الساعة ثم تناولت فنجان القهوة وارتشفت رشفة واحدة.. وضعت الفنجان وتناولت الهاتف من على الترابيزة، وتفحصت الإنترنت لدقائق.. لم يُفلح النت في إخماد لهيب الملل المستعر في عقلي..

الطاولات شبه خالية إلا من طاولتين يجلس على كل واحدة شاب.. تأملت الأول، منعزل عن العالم في شاشة الهاتف ويدخن النرجيلة مع رائحة علكة نفاذة طغت على رائحة عطري وملأت المكان، أما الآخر يصيح في الهاتف بغضب ويسب لحبيبة تركته حتى الآن ما يقرب من ساعة..

الكافيه يبعث الكآبة في النفس، مظهر مشوه لحداثة التصميم مع عبق الماضي.. لافتات تحمل كلمات أغانٍ قديمة على جدران زُينت بطوب ديكور وطاولات مودرن من الخشب الوثير..

لم أشعر بهذا من قبل، لكن ربما تقلّب مزاجي وأصبحت دائم التأمل والاهتمام بتفاصيل لا يراها أحد، ناقوس خطر يفضح مللًا وزهدًا وحالة من الهواجس.. تأملت النادل ثم الجدران ثم الساعات.. الهواتف والطاولات ثم باب المقهى والأرضية إلخ....

وكأن كلمات إبراهيم علقت في ذهني، وكأن الاهتمام بأدق التفاصيل سيجعلني أجد حلًا لما أنا فيه..

مقهى رتيب وممل.. مشوه ككل شيء.. الحضارة لا تخالجها حداثة والماضي لا يخالط الحاضر..

إن اجتمع عبق الماضي مع الحداثة سنحصل على كيان مشوه.

ربما أهذي من الفتور الذي أصابي، ثم قطعته ميرفت بعد أن تحدثت بصوت هامس:

- فارس أنا بانادي عليك من فترة. ما لك؟

- ماعلش سرحت شوية يا ميرفت.

ثم تابعت:

- كنتِ عايزاني في إيه؟!

تنهدتَ وقالت بأسى:

- عاطف.

- ما له؟!

تحجرت الدموع في عينيها وأردفت:

- قطّع الورقتين العرفي بعد ما عرف إني حامل.

قلت بغضب:

- ابن الكلب! أنتِ حامل في الشهر الكام؟

قالت باكية:

- في شهرين.

ثم تابعت بتوسلٍ:

- فارس استر عليّ. أنا أبويا لو عرف ممكن يموت فيها.

- أتجوزك يعني؟

- لأ، اقنعه يتجوزني.

- طب ما تسقطي وخلاص.

قالت بيأس:

- كنت غلطانة لما افتكرت....

قاطعتها:

- خلاص يا ميرفت. أنت روحي دلوقت وما تنزليش الجريدة تاني لحد ما أشوف هاتصرف ازاي في المَصيبة دي.

قالت بتوسل:

- هتساعدني؟

- هاساعدك يا ميرفت. يلا قومي أنتِ دلوقتي وهابقى أكلمك.

* * *

أغلقت باب مكتب عاطف بالترباس من الداخل ثم استدرت أنظر له بعينين يحملان بركانًا متوهجًا.. حمم بركانية في رأسي تجعل وجهي أشد حمرة من لون الدماء.. قسمات ليث ينتظر الانقضاض على فريسته ويدان ترتعشان غضبًا..

قام من كرسي المكتب ثم نزع نظارات القراءة ووضعها أمامه وأردف بخوف:

- أنت زعلان عشان اللي قُلته عن التحقيق؟ أنت عارف أنا هزاري تقيل. دا تحقيق ممتاز وهانشره.

ثم أضاف وهو يتنهد:

- هانشره حالًا. استنى بس أكلم المطبعة.

قلت بغضب عندما كنت أتقدَّم ببطء:

- دا أنا اللي هانشرك.

- فيه إيه يا فارس؟

- فيه إنك ابن كلب وواطي. تضحك على البت الغلبانة وتقطع الورقتين؟!

قاطعني بخوف:

- وأنا إيه يضمن لي إنه مني؟

ابتسمت بخبث:

- هتتجوزها؟

- يا فارس أنا بحبك ومش عايز...

ثم صمت وابتلع ريقه وقال بصوت متقطع:
- يا فارس دي بنت شمال وضحكت عليك بكلمتين.
- هتتجوزها يا عاطف؟
فقال بتحدٍّ:
- لا يا فارس.
انقضضت عليه واعتليت جسده فوق المكتب وظللت أكيل له اللكمات وأردد:
- هتتجوزها؟
- لأ مش هاتجوزها.
أردفت بغضب وأنا أقبض على رقبته:
- هاقتلك يا عاطف.
كُسّر الباب وتجمع الزملاء ثم أبعدوا جسدي عنه وهو يصيح:
- والله ما هاسيبك يا فارس أنت وهي.
- مش هاتكلم عشان مش عايز أفضحك، بس ورحمة أبويا لأعمل اللي قُلت لك عليه.
ثم دفعت الزملاء عني وذهبت مغادرًا...

* * *

الأحد 7 أبريل..

الساعة 1 صباحًا..

جلست في صالون شقتي أمسك زجاجة خمر وأتجرعها بيأس.. تذكرت ما فعلت البارحة مع عاطف ثم ضحكت حتى سعلت.. تناولت سيجارة الحشيش من المطفأة ثم سحبت نفسًا عميقًا انتهى بضحكة قوية جعلت الدخان يرتد قسرًا من صدري الذي كان يئن ألمًا.. ثم بصقت في المطفأة كتلة دماء خالصة قانية..

نظرت لها بيأس ثم ضحكت وقلت مخاطبها:
- شُفت؟ أهو هاموت دلوقتي.
ثم تابعَت بيأس:
- منك لله يا إبراهيم. يا رب تولع.
ثم قلت مخاطبًا زجاجة الخمر:
- يولع إيه؟ دا زمانه بيتشوي في نار جهنم.
وأضفت:
- قال عايز يعمل إنسان كامل. طب أنا ذنب أمي إيه؟ أنا ولا نور ولا مشيرة، لازم تدينا الزفت دا؟ طب أنا ليه مش فاكر إني كنت أعرفه؟ والمنظمة اللي سايباني دي وعمالة تراقبني وتبعت لي فيديوهات ما كانوا قتلوني وخلصوا.
ثم ألقيت زجاجة الخمر أمامي على الأرضية وأطفأت السيجارة ونمت على الأريكة مكاني..

* * *

دوى صوت موسيقا الفيديو في أذني.. على نعيق الغربان على شجر الصفصاف ورائي.. دنت فروعها مني حتى لامست كتفي.. الأرض عشبية خضراء أسفل قدمي.. غابت الشمس وخفتت أشعتها وتحت أضواء قمرية نظرت حولي لأرى أشجار الصنوبر والصفصاف والكافور..
دخان عظيم يلقي بظلاله على الغابة تحمله الرياح التي لامست وجهي برفق.. رائحة عفن حملها وجعلت القيء ينساب مني ليعكر صفو هذه الحشائش الخضراء.. لكن لونه ما جعلني أحتار في أمري.. دماء سوداء لزجة صنعت دائرة فوق العشب.. عدلت ظهري ثانية ثم ذهبت تجاه الدخان..
مشيت مترات حتى ظهرت نار تبعد بقدر ليس ببعيد.. نار شديدة التوهج والغلظة ومن حدتها استشعرت حرارتها.. سرت متجهًا نحو النار بتحفز وكأن شيئًا ما يناديني ولما اقتربت وجدت أناسًا كثيرين يرقصون طربًا ويطوفون حول هذه النار..

جلس رجل يبتعد مترات يمسك بيده آلة غريبة بشكل صليب مقلوب وينفث في قاعدته لتعلو أصوات تشبه الموسيقا التي سمعتها قبلًا في الفلاشة..

شعرت بالخدر يسري في جسدي وتقدَّمت مترنحًا نحو بقعة ضوء ظهرت في الأفق.. وكلما ابتعدت عن الصوت استعدت توازني.. حتى هرولت هربًا.. أركض حافي القدمين فوق رمال تتحرك كلما لامست قدمي..

علت أنفاسي ولهثت.. توقفت مرات ألتقط أنفاسي وعندما وصلت لبقعة الضوء.. كانت دائرة ضوئية خرجت من كهف وكأنها القمر..

كهف خرج من هضبة صخرية وابتعد عن الأرض مترات وحفر بالهضبة سلَّمًا ممهدًا إلى الكهف..

اقتربت من السلَّم وقبل أن أصعد سمعت الصوت:

- رايح فين يا فارس؟

استدرت فوجدت إبراهيم ومشيرة ونور يقفون على خط واحد، وارتدوا ذات العباءة السوداء المزينة بالحُلي ثم نظرت لهم ببلادة فتابع..

- مش هتعرف تدخل مهما حصل.

- أدخل فين؟!

أشار للكهف:

- هنا.

- أنا كنت أعرفك ازاي وإيه الدوا اللي اديتهولي؟

- القدر نتقابل وننسى ونتقابل لكن....

استيقظت على صوت رنين الهاتف تناولته وأجبت:

- أيوة يا مايكل.

- عندي ليك خبر حلو.

- إيه؟ لقيت حنان؟!

- أيوة ساكنة في القلعة.

ثم تابع برفق:

- نروح لها إمتى؟

- هاكلمك بالليل، سلام.

* * *

أغلقت الهاتف وأكملت نومي...حتى رنَّ ثانية تناولته متأففًا ولكني ابتسمت عندما نظرت في شاشته..

- ملك وحشتيني.

قالت باكية:

- بابا يا فارس.

- عرفت، هو جا لي.

ثم تابعت برفق:

- ما تزعليش يا ملك. هو صح، أنا هابقى أعدي أشوفك من وقت للتاني.

- لكن يا فارس..

قاطعتها:

- اهدي وكل حاجة هتبقى تمام.

- ماشي يا فارس.

* * *

الإثنين 8 أبريل..

الساعة 10:28 مساءً..

طرقت على الباب الخشبي بقوة ثم نظرت لهمـ.. كانوا يقفون ورائي يراقبون ما أفعل في صمت.. نظرت لميرفت منتفخة العينين لم تكف عيناها عن البكاء وكأنها سماء في أحد أيامِ يناير ولم ينطفئ سيل الأمطار منها..

عمر الذي أومأ برأسه مبتسمًا كأنه يشجعني على ما أفعل.. حملق فيّ بنظرات واثقة ثم غمز بعينه اليمنى ليجعل عقلي يتشجع أكثر على ما أراد..

وذلك المأذون الذي يرتدي جلبابًا كحليّا وعلى رأسه عمامة.. ويحمل بيمينه دفترًا كبيرًا.. حسن الوجه ومتناسق القسمات بوجه ملائكي يشع نورًا وعلامة صلاة كبيرة أعلى جبهته.. بلحية حليقة وعينين زرقاوين وأنف طويل مستقيم.. شاب ثلاثيني وقور ومهذب.. نظراته لي كانت جامدة لم تفصح عن شيء إلا أنني شعرت بقليل من التعجب أو الخوف على قسماته..

فُتح الباب ونظرت لنا خادمة ترتدي جلبابًا مزينًا ببعض الورود.. ملامح بائسة لامرأة خمسينية تحمل بين طياتها ألمًا ووهنًا، نظرات رعب حركت المياه الراكدة في تعابير وجهها لتزيد بعضًا من تجاعيده مع حجاب أظهر بعض الخصلات البيضاء لشعر أشعث..

قلت لها بغضب:

- هو هنا؟

قالت بصوت متقطع:

- مين؟

- عاطف.

أومأت برأسها في خوف وأردفت:

- آها، هاناديه.

فتقدَّمت ودفعتها بيدي اليمنى ثم مررت نحو الداخل وهم يتبعونني لأصل لصالة تتوسطها طاولة خشبية ضخمة يجلس عليها عاطف برفقة أربعة آخرين، وخلفهم نافذة يعبر منها تيار هواء قوي.. كانوا يلعبون القمار أو الكوتشينة لم آبه وتقدَّمت أصيح بهم..

- اطلعوا برّا.

نظروا لي نظرات رعب وكأنهم يرون مجنونًا، ثم أخرجت طبنجة رصاص حي تسعة مللي وسحبت الأجزاء.. اقتربت منهم أكيل لهم اللكمات والركلات وهم يفرون أمامي كفئران، ثم نظرت لعاطف نظرات نمر جائع.. نظرات جعلته يقف من الكرسي كتمثال فاقد الحياة..

قلت بحزم وأنا أشهر فوه المسدس تجاه صدره:
- اقعد يا عاطف.
ثم تابعت:
- حسابك في البنك وصل كام؟
قال بصوت متقطع:
- تلاتين مليون.
- طلع دفتر الشيكات واكتب شيك بخمسين مليون باسم..
ثم نظرت لميرفت:
- اسمك الرباعي إيه؟
- ميرفت عماد عبد العظيم وهدان.
نظرت له وقلت بغضب:
- سمعت؟!
أخرج دفتر الشيكات وكتبه وهو يبكي ثم أردف:
- خلاص كدا؟
- لأ.
ثم أشرت للمأذون:
- اتفضل يا مولانا.
واقتربت من عاطف تناولت الشيك ثم ناولته لعمر الذي رمقه متحفزًا ثم أردف بغلٍّ مخاطبًا عاطف:
- طبعًا لو فكرت تطلق عارف إيه اللي هيحصل؟
أومأ برأسه في خوف ثم أشرت لميرفت فجلست على الطاولة وقلت لعمر:
- هات بطاقتك.
تناولت البطاقة ثم أخرجت بطاقتي وناولتهما للمأذون:
- البطايق أهي يا مولانا....

* * *

الثلاثاء 9 أبريل..

جلست برفقة مايكل فوق أحد أسطح البنايات في منطقة القلعة.. السطح خالٍ إلا من غرفة تشغل حيزًا صغيرًا منه وأريكة مهترئة تستند للسور الذي تجاوز طوله المتر ويطوق السطح.. أمام الأريكة كرسي خشبي قديم وجالون مياه مقلوب فوق أربعة حجارة تم استغلاله كترابيزة ليكمل لمسة الديكور الشعبية..

مايكل كان يتحدث في الهاتف ثم صاح بغضب وقام متجهًا لآخر السور الذي ظل مستندًا عليه ويهمس بخفوت ثم يصيح بعته ثم يتقلّب مزاجه بضحكات هستيرية إلخ...

تفحصت البدلة الصفراء التي يرتديها وشعره الذي تطاير بفعل ريح رقيق فوق مبنى تجاوز الأربعة طوابق.. ابتسمت من حماقته ثم نظرت في شاشة الهاتف والساعة تجاوزت الرابعة بعشر دقائق..

طقطقت فقرات رقبتي بعنف ثم دسست الهاتف في جيب بنطالي ورمقت البنايات حولي.. عبثية وبناء عشوائي مع بعض عشش الدواجن وأطباق الدش.. مبانٍ من الطوب الأحمر.. لوحة رائحة لمن أراد أن يصاب بالاشمئزاز..

أنهى مايكل المكالمة ثم قال وهو يتقدَّم:

- الـ view ريّح أعضائي، بافكر أشتري بيت هنا.

قلت بضيق:

- هي أم حنان دي ماتت جوّا؟!

- يا عم الست بتحبني لازم تضايفنا، وبعدين دول كوبايتين شاي.

ثم أضاف وهو يجلس على الأريكة:

- وكمان حنان مش هنا. مش قالت لك بتجيب حاجة من تحت؟

زفرت بحنق مع خروج أم حنان من الغرفة.. امرأة تجاوزت الخمسين عامًا.. بدينة وتتحرك بصعوبة مع عرجة خفيفة.. قمحية البشرة ذات عينين

ضيقتين وحواجب غليظة وأنف ينساب منه خط من الماء.. ارتدت جلبابًا فضفاضًا.. بلا حجاب فظهر شعرها المجعد..

ظللت أتابعها بعيني مشمئزًا حتى وضعت الصينية أمامنا وجلست وأردفت بودٍ:

- طب والمسيح الحي إحنا زارنا النبي يا مايكل بيه.

ثم تابعت وهي تنظر لي بودٍ:

- اشرب يا حاج.

ثم تابعت مازحة:

- يوووه نسيت، اشرب يا مقدس، والإنجيل إحنا زارنا النبي.

نظرت لها بضيق فأردف مايكل ضاحكًا:

- فارس مسلم يا أم حنان.

- والله يا حاج فارس زارنا النبي.

قلت بضيق:

- هي حنان فين؟!

- بتجيب حاجة بنات من الصيدلية.

ثم غمزت لمايكل وتابعت ضاحكة:

- حاجة بنات بقى يا مايكل بيه. أنت فاهم.

ضحك مايكل وأردف:

- أيوة فاهم أيوة.

ثم تابع بسخرية:

- ألا هو أنت كنتِ بنت يا أم حنان ولا اتولدتِ بالحجم دا؟

ضحكت وأردفت:

- مقبولة منك يا مايكل بيه. الحمد لله البت مش طالعة لي.

- هو كان فيه زي حنان، دي كان عليها....

ثم صمت عندما رأى حنان التي تحولت قسمات وجهها لفرح ممزوج بهستيريا وركضت تحضن مايكل بودٍّ:

- ميكا، والله ابن حلال.

- عاملة إيه يا بت وفين أراضيكِ؟

قالت بضيق:

- شغالة ممرضة بس أيامك وحشتني يا ميكا.

- إحنا فيها، ارجعي الشغل.

ثم اقتربت من أمها ووكزتها في كتفها:

- قومي يا امّه عايزة أقعد مع ميكا شوية.

ثم نظرت لي ببرود:

- إزيك يا حاج؟

قال مايكل مبتسمًا:

- دا فارس.

- فارس مين؟!

- فارس حسين صاحبي.

قالت بفزع:

- يا نهار أسود..

- اهدي بس واقعدي.

ثم جذبها مايكل لتجلس على الكرسي الخشبي بعد أن غادرت أمها وجلس بالقرب مني على الأريكة..

قلت بودٍّ:

- حنان أنا عايز أفهم أنا ضربتك ليه؟!

- مش عارفة. ألا هو أنت حصل لك إيه يا أخويا؟

قال مايكل بتأفف:

- حنان مش جايين نتساير. اخلصي احكي حصل إيه.

- بص إحنا دخلنا الأوضة وكانت كل حاجة حلوة، فجأة فارس اتحول وفضل يضرب فيّ لحد ما أغمى عليّ. ولولا عمر بيه ربنا يستره سمعني كان زماني رُحت فطيس. صحيت وشي كله دم ولا مؤاخذة عضني في بطني.

ثم نظرت بخوف فقال مايكل:

- كمِّلي.

- أنا قُلت أقعد في البيت ما نزلتش الشغل لحد ما وشي يخف. سخنت بعد ما روحت على طول، فروحت المستشفى الدكتور شاف العضة قال لي إنها عضة كلب مش عضة بني آدم أبدًا واتعالجت. وحلفت يمين ما ادخل الديسكو تاني.

قلت ببلاهة:

- عضة كلب!

- وأخدت مصل.

قال مايكل بغضب:

- بت اتظبطي.

- والله أخدت مصل يا ميكا.

تبادلنا نظرات التعجب.. ثم قمت مبتعدًا نحو السور وأخرجت الهاتف واتصلت بعمر حتى أتى صوته..

- عمر شُفت لي الشيخ. أنا لازم أشوفه في أقرب وقت.

قال بتعجب:

- فيه إيه؟!

- اسمع اللي باقول لك عليه.

- طيب خلاص هاشوف وأكلمك.

أغلقت الهاتف ثم توجهت لمايكل وقلت بحزم:

- يلا بينا يا مايكل.

* * *

الأربعاء 10 أبريل..

الساعة 2 صباحًا..

رنَّ الهاتف ودوى صوته كالنعيق فوق رأس متخم بالكوابيس.. تحسست بيدي موضع الهاتف الذي شاركني نومتي.. وضعت يدي على زرٍّ كتم الصوت دون أن أنظر في الشاشة، ثم غطيت رأسي بوسادة أخرى لتكتم صوت رنين الهاتف المستعر الذي ظل يرنُّ لكني لم آبه..

زفرت بغضب ثم التقطه بعين ناعسة ونظرت فيه، وضعته على أذني ثم أجبت بصوت مبحوح..

- أيوة يا ميرفت. حد يكلم حد في الوقت دا؟

ثم تابعت بوهن قبل أن تتحدث:

- بصي أنا فيّ اللي مكفيني حلي مشاكلك مع عاطف بعيد عني.

قالت بعجل وخوف:

- اسمعني يا فارس، فيه حاجة مهمة لازم تعرفها.

ثم تابعت بصوت متقطع:

- عاطف كان بيكلم حد عليك وقال له التحقيق اللي بعته ما قلتش فيه حاجة عن العقار، وإنك بتلعب عليه ومخبي معلومات كتير.

انتفضت وقلت بخوف:

- بتقولي إيه؟!

- قال لهم يستجوبوك بمعرفتهم.

ثم أضافت:

- فارس أنت لازم تهرب من عندك لأنهم في طريقهم ليك.

قلت بعجل:

- أنتِ متأكدة؟!

- صدَقني والله أنا سمعته بالصدفة وحبيت أبلغك.

- خلاص اقفلي.

قمت من السرير كالمجنون أتخبط في الغرفة ثم تنهدت وجلست على حافة السرير.. تناولت الهاتف وحاولت مرات حتى أجاب بصوت ناعس غاضب:

- أيوة يا محمود....

* * *

نُزعت العصابة عن عيني توًا.. قاومت كثيرًا حتى أستطيع النظر برؤية مشوشة وعمى جزئي أصابني.. حاولت أن أمد ذراعي لأفرك عيني لكنه كان مكبلًا في كرسي حديدي استقبل جسدي كالسجن..

دقائق من الصمت حتى بدأت تتضح الرؤية..

الغرفة سماوية خالية إلا من ترابيزة حديدة في منتصفها مع كرسيين كان أولهما من نصيبي.. الإضاءة عالية مصدرها مصابيح ليد بطول جدران الغرفة.. تحاشيت النظر لأعلى حتى لا تسبب لي الصداع.. نظرت خلفي لأرى رجلًا يرتدي بدلة من قطعة واحدة لونها أصفر.. ذكرتني برواد الفضاء.. لم يخبئ وجهه الذي لم تكن به تفاصيل كبيرة غير أنه لا يحمل الجنسية المصرية..

لم يتحدث وظل واقفًا خلفي حتى فُتح الباب ودخل رجل أربعيني فارع الطول.. لديه شامة على يسار الخد.. قسمات جامدة.. حواجب خفيفة فوق عينين حادتين حالكتين كقمر محاق، وأنف طويل كساق الكافور..

مع حلَّة رسمية مهندمة وصوت دبيب نعلين يدوي في الغرفة..

أشار بيده للرجل الواقف خلفي فغادر وأغلق الباب برفق ثم جلس الرجل صاحب الحلَّة أمامي وأردف:

- إيه يا فارس؟ سبناك كتير؟

قهقهت:

- إيه جو العصابات دا؟!

- الجو دا أنت اللي بدعته. بص إبراهيم ساب لك عينة من العقار قبل ما نقتله.

- ليه هو أنتوا مش معاكم عينة؟

- إبراهيم دمر كل العينات قبل ما يهرب. فقتلناه لما خفنا إنه يسافر ويدي نتايج الأبحاث دي لأي حد.

ثم تنهد:

- الكلب حط فيروس على الـ system بعد أيامٍ من الحادثة النظام الأمني بتاعنا كله اتدمر واتمسحت كل الملفات وطبعًا كل الأجهزة بقت خردة.

ضحكت ساخرًا ثم أردفت:

- والناس اللي كانت شغالة معاه؟

قال بضيق:

- كانوا بقر ما حدش فيهم عرف يفهم باقي الأبحاث.

ثم أطرق برأسه وسأل بتحفز:

- أنت هربت ازاي منهم في الحادثة. أنا مديهم أمر مباشر إنهم يخلصوا عليك.

تنهدت وقلت:

- ما أنا كنت قدامك بعد الحادثة.

- للأسف كان عندنا شك إن فيه عينه من العقار معاك وكنا هنستجوبك فلقيناك بتعاني من الحالة اللي بيسببها العقار وجسمك كان متماسك أو بالأصح أول حالة ملموسة قدامنا فقررنا نراقبك من بعيد.

- امممم وبعدين؟!

صاح بغضب:

- وبعدين سيادتك معاك العقار دا وأنا عايزه وإلا هاطلعه منك بطريقتي.

قلت بتحدٍّ:
- أنا مش معايا عقار، ولا هاتكلم بأساليب التعذيب مهما عملت.
ضحك وقال بسخرية:
- تعذيب إيه يا راجل بس إحنا علماء. أنا هاعمل عليك شوية تجارب.
ثم تابع بخبث:
- ويؤسفني أقول لك إن آخرتها هتموت، لكن الألم النفسي والجسدي أضعاف اللي أنت فيه..

صُفع باب الغرفة بقوة نزعته من المفصلات وأردته أرضًا كالقتيل.. تقدم محمود يشهر سلاحه وخلفه قوة من قوات التدخل السريع وعناصر الأمن.. لم أستمع للمعركة بالخارج لأن الغرفة كانت معزولة جيدًا..

نظر له الرجل بعين ثاقبة ثم أردف يخاطبني:
- نهايتك قرّبت يا فارس.
ضحكت وقلت:
- يؤسفني أقول لك إنك هتشوف ألم نفسي وجسدي أكتر من تأثير العقار.

* * *

الثلاثاء 30 أبريل..

الساعة 12 مساءً..

دلفت مكتب محمود عثمان ثم أغلق العسكري الباب خلفي برفق.. جلس فوق كرسي مكتبه يعبث بأزرار laptop ويدخن سيجارة بشراهة وكأنه يغتصبها إلى أن استسلمت أخيرًا ثم فركها في المطفأة أمامه..

ابتسم لي ثم وقف من كرسي مكتبه واقترب ليصافحني بحرارة وقوة، ثم جلسنا أمام مكتبه..

أردف بودٍّ:
- عامل إيه يا فارس؟
- الحمد لله وأنت يا محمود؟
ابتسم ثم قال برفق:
- أول مرة في تاريخ خدمتي أبقى راضي عن نفسي، الله يرحمه إبراهيم كويس إنه دمر كل حاجة قبل ما يموت.
قلت ببلاهة:
- لكن ليه قال لي إن العقار دا معاهم؟
- تلاقيه كان عايزك تخلصه منهم.
أومأت برأسي:
- دا التفسير المنطقي.
قال بأسى:
- للأسف يا فارس بعد كل محاولات استجواب الناس دي مافيش أي تهمة نقدر نوجهها لهم غير خطفك.
أومأت برأسي ثانية فتابع:
- لكن الحمد لله هم وانزاح.
ثم أضاف:
- زعلان عشان هتموت؟!
- المفروض أزعل، لكن...
قاطعني:
- أنت بطل يا فارس ولازم تواجه.
- فيه حاجة عايز أقولها لك، الناس دي كانت بتراقبني من فترة كبيرة، وكان فيه فيديوهات بتتبعت على فلاشة. ما اعرفش كانت بتوصل لها ازاي من غير نت. بس هو واضح إنها تكنولوجيا متقدمة.
قال بتحفز:
- فين دي؟!

دسست يدي في جيب بنطالي وناولته الفلاشة فقام وأدار الـ laptop تجاهنا ثم دسها وانتظر.. ضغط على الملف فظهر الفيديو بشاشة سوداء ثابتة عليها كلمة Gamecan.. لم يعمل الفيديو لكني سمعت صوت الموسيقا التي سببت لي طنينًا حادًّا وصداعًا مزمنًا..

قال محمود:

- دي كلمة ثابتة ومافيش حاجة.

- مش سامع الموسيقا؟!

أردف بتعجب:

- موسيقا!!

علا الطنين في رأسي وشعرت بأنني أرى شريطًا من المشاهد التي تُعرض أمامي..

تنهدت بعمق مع دوار أصابني ثم صحت:

- اقفلها يا محمود.

- فيه إيه؟!

- مافيش.

ثم تابعت بتحفز:

- أنت متأكد إنك لا شُفت ولا سمعت حاجة؟

- آها.

فسحبت الفلاشة وغادرت...

* * *

الأربعاء 1 مايو..

الساعة 9 مساءً..

كانت الغرفة بلا دهان ذات إضاءة خافتة مصدرها قنديل صغير وُضع فوق ترابيزة أمامه.. جلست برفقة عمر على أريكة خشبية فرشت بجلد

الماعز دون إسفنج.. أحسست بألم في ظهري من الجلوس عليها.. الغرفة واسعة ظلماء دهماء خالية إلا من الأريكة والكرسي..

على الترابيزة كتاب غليظ الجلد وعليه نقوش من الخارج لأرقام ورموز..

على الكرسي جلس رجل بدين الجسد بوجه كمثلث.. ذو ذقن مدببة ولحية غير مكتملة فكانت الشعرات في وجهه لا تريح النظر.. أصلع الرأس.. رأس ملساء تلمع في الضوء.. عينان حادتان ترمقنا بثبات بين الحين والآخر.. أنف ضخم أسفله شفتين غليظتين.. شفاه علوية مشقوقة من المنتصف وسن ذهبي بصف الأسنان العلوي.. ارتدى جلباباً أسود غُطي ببعض خالجته الرقع الكبيرة بشال أسود التف حول الرقبة..

لحظات من الصمت زادت التوتر في عين عمر حتى انتقلت العدوى لي حتى قطعها الرجل بصوت أجش:

- خير؟ مين دلكم على هنا؟

قال عمر بتنحنح:

- والله يا شيخ عمّار...

قاطعه:

- خلاص مين المضرور؟!

قلت برفق:

- أنا.

- احكي.

- بيطلع حد يكلمني وباشوف أحلام غريبة والنهار دا عرفت إني من فترة عضيت واحدة والدكتور قال لها إن دي مستحيل تكون عضة بني آدم وأخدت مصل لعضة الكلب..

فنظر لي ببلاهة ثم تابعت:

- باشوف أموات وباكلمهم وواحدة كنت على علاقة بيها لبست جسم واحدة تانية وقالت لي نبقى سوا.

قال بثقة:
- أنت بتحب النسا؟
أومأت برأسي فأردف:
- نحضر الخدّام وكل شيء هيبقى معلوم.
ارتعد جسد عمر خوفًا فقبضت على يده ليهدأ ثم تناول عمّار الكتاب وغمغم بصوت خافت حتى ارتعش جسده بقوة وانتفض.. سيل من الدماء سال من أنفه ثم استيقظ..
قال بفزع:
- شر.
ثم انتفض جسده ثانية وسويعات حتى اشتعلت النار التي كان مصدرها لا شيء.. نار عظيمة على الجدران وكأننا بداخل فرن كبير..
استيقظ ثانية وقال بوهن:
- شر، الخدام مات.....
ثم لفظ أنفاسه الأخيرة فركضنا إلى خارج الغرفة في رعب..

❋ ❋ ❋

-11-

عندما تيأس من الغد ستفتش عن نفسك في ماضيك..

وكأن القمر ملَّ من البشر واختفى وراء سواد مظلم.. هذا ما قلته وأنا أفتش عنه في سماء حالكة تزينها نجوم منيرة بعد أن صففت سيارتي على جانب الطريق وجلست فوق الرصيف لبرهة أريح ظهري من القيادة التي دامت لأربع ساعات دون وجهة..

ظللت شاردًا هكذا وصوت العجلات يرنُّ في أذني وكل ما شغل عقلي هو أمر الفلاشة الملعونة التي أحملها في جيبي.. نظرت في الساعة ولم أستطع رؤية الوقت لخفوتِ الإضاءة.. أخرجت هاتفي ونظرت بشاشته.. الساعة تجاوزت الثامنة مساءً..

ما زلت لم أتصل بعمر منذ ذلك اليوم.. تركته في ذعره الذي لم يؤثر على عقلِي الذي عاش بأضغاث وهلوسات جعلته كصنم لا يشعر بما حوله ولا يفرِّق بين واقع أم خيال..

الأسئلة لا تزال تملأ عقلي.. أسئلة سمجة لن تضيف شيئًا لي غير أجوبة غير منطقية لرجل شارف على الحقيقة المنطقية التي اتفق عليها كل من في الأرض..

الحقيقة الوحيدة التي اتفق عليها الناس رغم أنهم اختلفوا على الإله هي الموت.

منطق غريب، الاتفاق على المخلوق والاختلاف على الخالق! أي بلاهة أصيب بها ابن آدم.. طين في طبق طيني لم يجف، هذا هو ذكاء البشر.. ذكاء أبله في عقل غير ناضح.. ذكاء في عقل غير مكتمل فقد رونقه في هذا العقل المحدود..

أبعد عن شقتي القديمة عشر دقائق.. تذكرت عم سالم والفلاشة ثم قمت وركبت السيارة مغادرًا..

مضت ثماني دقائق فأبطأت سرعة السيارة وأدرت المقود يسارًا برفق وأنا أدلف الشارع الذي تقبع فيه بناية شقتي القديمة..

صففت السيارة وترجلت ثم تقدَّمت ببطء تجاه البناية.. عم سالم هناك يجلس على أريكة خشبية.. يرتدي جلبابًا خفيفًا أبيض اللون ويدخن النرجيلة التي غزل دخانها خيوطًا كأنها فلتت من جلبابه..

رآني فابتسم ثم قام واحتضنني بحب:

- والله وحشتني يا أستاذ فارس.

- كنت جنب العمارة وحبيت أشوفك.

فقال وهو يجلس ويطرق على الأريكة برفق:

- اقعد يا فارس يا ابني.

ثم أضاف:

- الهانم الصغيرة عاملة إيه؟

- الحمد لله.

- أنا ما شُفتهاش غير مرّة واحدة بس ما شاء الله ربنا يحفظها..

قلت بودٍ:

- ربنا يخليك يا راجل يا طيب.

ثم أضفت بعد أن جلست:

- الفلاشة اللي اديتهالي.

- كلاشة إيه؟!

قلت مبتسمًا:

- الفلاشة اللي قُلت لي حد سابها لي.

- آهاااا أيوة أيوة.

- مين اللي سابها؟ أقصد شكله إيه؟!

- هو واحد طول بعرض كدا لابس بدلة وكان راكب عربية آخر فخامة.
- امممم طب مافيش فيه علامة مميزة؟!
- لا غير إن وشه كان عليه غضب ربنا ما بيضحكش.
- ماشي يا عم سالم.
ثم أضفت بعد أن قمت:
- أنا هامشي.
- ما تقعد.
دسست يدي في جيبي وناولته ورقتين فئة مئتين جنيه.
- لا عايز أروح عشان أرتاح شوية.
- روح ربنا يبارك لك يا أمير يا ابن الناس الطيبة..

* * *

السبت 4 مايو..

الساعة 12 مساءً..

فتحت الباب الزجاجي برفق لذلك المقهى الذي يبتعد عن مبنى الجريدة بضعة مترات.. كان خالياً إلا من ثلاث طاولات وميرفت تجلس على طاولة منهن.. ترتدي ملابس سوداء لا رائحة فيها ولا طعم ككوب ماء لكن تكفي لستر حياء الجسد.. مسحت عينيها بمنديل ورقي ثم رمته في مطفأة على الطاولة.. تناولت كوب الشاي الأخضر وارتشفت منه برفق..

أغلقت الباب خلفي بهدوء بعد أن تفحصت المقهى بعيني ثم تقدَّمت لطاولة ميرفت القابعة بآخر المقهى على يساري تستند على الجدار المزين بطوب الديكور..

جلست أمامها ثم أردفت بودٍّ:
- إزيك يا ميرفت؟
ثم تابعت:
- أنا مش عارف أشكرك إزاي، لولا اللي عملتيه معايا...

قاطعتني:
- دا جزء بسيط من جمايلك..
ثم أضافت بهدوء:
- أنا هاطلق من عاطف وكنت عايزة الشيك.
- ليه؟!
- عايزة اديهوله.
- امممم إحنا ممكن نحبسه.
قاطعتني ثانية:
- هو already محبوس جوّا نفسه، وجوّا خوفه منك.
ابتسمت وأردفت:
- عاطف عمره ما كان مشكلة لأني عارف آخره.
- أنت بتناقض نفسك!
تنهدت وقلت:
- دا آخر كلام عندك؟
- صدقني يا فارس عاطف أحقر من إنك تأذيه.
ثم أضافت بأسى:
- أو إن ست تعيش معاه وتستحمل ميولة الغريبة.
- أنت قبلت ليه؟!
- افتكَرت إنَه هو العفريت اللي هيحقق أحلامي.
وتابعت بحزن:
- ساعات مش بيبقى عندك إرادة تختار.
قلت بسماجة:
- هو حد غصبك عليه؟!!
- لأ، بس لما يبقى قدامك كام اختيار والعقل والمنطق والظروف تدفعك لاختيار بعينه دي مش إرادة. كنت عايز أعمل إيه؟ أنا واحدة كل مؤهلاتي

دبلوم تجارة ولقيت فرصة زي دي قدامي. فلوس ومركز يساعدوني أصرف على عيلة وأب مريض! ولا كنت أروح أقف في سوبر ماركت ودا يعاكس ودا يبصبص.

قلت بضيق:

- مش مبرر!

- أنا كان ممكن أكون سلعة قدام....

قاطعتها:

- أنت شُفتِ نفسك سلعة على المشاع، فاخترتِ تبقي جارية، كمّلي بقى. أنا ممكن أساوم عاطف وأجيب لك منه كام مليون بالشيك دا..

قالت باكية:

- يعني بعد ربنا ما سترني....

- ميرفت ما تكلمينيش في الدين. احسبيها بعقلك. كويس اتنين مليون؟

ثم تابعت:

- امممم لأ خمسة عشان يبقى في عين العدو.

ابتسمت ثم أردفت:

- لكن يا فارس أنا....

قاطعتها:

- ولا كلمة، الفلوس دي اعتبريها مكافأة مني بس أنا لازم أعور عاطف فيهم عشان يعرف مين فارس حسين.

ثم قمت وتابعت:

- استأذنك دلوقتي وخلي تليفونك مفتوح عشان هاكلمك قريب..

* * *

دفعت الباب برفق ثم أغلقته ودلفت ببطء مبتسمًا.. نظر لي كأنه يرى شبحًا.. لم يُخيل إليه أن فارس ما زال حيًا.. قام من المكتب بوجه غزاه الرعب وتملَّك منه فتصبب عرقًا وتناول منديل قماش يجفف وجهه بيد

ترتعش قسرًا.. ابتسم رعبًا وهو يلقي المنديل على المكتب.. علت أنفاسه ودقّ قلبه بعنف.. أكاد أستشعر ما يشعر به وأنا أقف أمام الباب المُغلق أبتسم له بسماجة وبرود فاقا جبال القطبين..

قال بصوت مبحوح:

- فارس!!

- إزيك يا عاطف؟ اوعى تكون زعلان من اللي عملته فيك.

ثم أضفت وأنا أتقدَّم ببطء:

- أنا كمان مش زعلان عشان كلِّمت الناس دي تقول لهم يستجوبوني.

- فارس....

قاطعته وأنا أجلس:

- خلاص اللي فات مات.

ثم أشرت له ليجلس وتابعت:

- كنت تعرفهم من إمتى؟!

صمت بعد أن جلس فصحت فيه:

- رد.

- كلموني من قريب والله وسألوني عن حالتك ومع كام وعد حكيت لهم عن التقرير.

- وبعدين؟!

- طلبوا مني أراقبك وأبقى قريب منك بس لما عملت معايا كدا....

قاطعته:

- قُلت تنتقم.

ثم تابعت ببرود:

- أنا مسامح في حقي بس حق البنت الغلبانة مش مسامح فيه.

- مين؟!

- ميرفت.

قال بضيق:
- ما أنا اتجوزتها؟!
- ما دا مش حقها. حقها تعيش مع راجل يا عاطف. أكيد فاهمني.
- أطلقها ماشي، بس الشيك؟
قلت برفق:
- ما دا اللي عايزك فيه! تاخد الشيك وتطلق وتديها خمسة مليون.
قال بغضب:
- بس دا كتير يا فارس!!
- نسيت أقول لك إني بارجع في كلامي.
- إزاي؟!
قلت ببرود:
- يعني ممكن ما اسامحش في حقي. ها قُلت إيه؟
- ممممممم.
صحت بحزم:
- اخلص.
- موافق. موافق.
- شاطر.

* * *

الساعة 9 مساءً..

دلفت مكتب عمر ببطء وهدوء.. كان يجلس على كرسي المكتب يعبث ببعض ملفات القضايا ويتفحص الأوراق.. أوراق كثيرة متناثرة على المكتب مع بعض من الكتب التي أخذها من المكتبة القانونية القابعة خلف كرسي المكتب..

تفحصني ببصره بحب ورعب ويأس وقام من كرسيه ثم اقترب مني واحتضنني برفق، وكأن شيئًا ما في صدره جعله يخافني أو يريد تجنب

ملاقاتي.. لم أعر هذا الشعور اهتمامًا وصافحته ببسمة ممزوجة بلهفة صداقة قرين.. استدَار وعاد يجلس على مكتبه ثم لملم الأوراق المبعثرة على سطح المكتب دون الحديث..

جلست على كرسي المكتب الأمامي ووضعت أغراضي فوق الترابيزة الصغيرة ثم أشعلت سيجارة ونفثت دخانها ببرود.. أشعل سيجارة هو الآخر ثم ابتسم لي بودٍّ..

قلت مبتسمًا:

- مش بتكلمني يعني ولا أعرف عنك حاجة من ساعة ما كنا عند الشيخ دا؟

أردف متلعثمًا:

- لا والله يا فارس، انشغلت شوية. أنت أخبارك إيه؟

- لا تعالى معايا دوغري. فيه إيه؟

- مافيش يا فارس.

قلت بضيق:

- لأ فيه.

قال بخوف:

- فارس أنا من ساعة اللي حصل مش باعرف أنام، وكل ما افتكر شكل الراجل...

قاطعته:

- اعتبرها حادثة قهرية.

- اللي هو ازاي؟! أنت ما شُفتش اللي حصل؟!

ثم تابع:

- أنت أزاي مش خايف على نفسك؟

ابتسمت ثم أضاف ثانية:

- فارس، أنت أكيد فيه سحر كبير معمول لك.

- للأسف اتأكدت.
- طب والعمل؟
أومأت برأسي:
- قريب يا عمر هافهم كل حاجة.
ثم تابعت بعد أن قمت من الكرسي:
- مش هتيجي نسهر شوية؟
- لا أنا عندي شوية شغل.
- على راحتك.

* * *

الأحد 5 مايو..

الساعة 8 مساءً..

صففت السيارة بالقرب من الكورنيش.. الإضاءة خافتة والهواء منعش أثلج صدري.. الناس تعبر أمامي غير عابئين بشيء ولا يفكرون سوى بخطف لحظات من السعادة الواهية التي ستؤول إلى برود ثم تفكر كحال البشر جميعًا..

نظرت على يميني وملك تجلس تنظر أمامها ببرود ثم نظرت لي بضيق وترجلت من السيارة لتسير مبتعدة بعد أن صفعت الباب خلفها وكأنها أخرجت الغضب المستعر في صدرها به..

ترجلت خلفها وسرت سريعًا حتى ألحق هذا القطار الغاضب من كل شيء.. من أمين بيه.. من فارس حسين.. من الحياة وقوانين القدر..

ناديت مرات ولم تعرني اهتمامًا حتى جذبتها من يدها برفق فاستدارت بعينين تحملان أطنانًا من الأسى والعتاب.. السائرون يراقبوننا بأعين تختلس النظرات المتطفلة.. لا شك أنهم لم يظنوا أننا مراهقان وإلا ما كانوا لينظروا بذات الطريقة، بل ظنوا أننا زوجان على أعتاب الفراق..

قلت برفق:
- فيه إيه يا ملك؟!
- أنت جاي تقابلني عشان تقول لي إن بابا عنده حق.
- صدقيني دا الأحسن ليّ وليكِ.
قالت بعتاب:
- يا خسارة يا فارس، كنت فاكراك اتغيرت، لكن للأسف اتأكدت إن عمرك ما حبيت غير نفسك.
أردفت غاضبًا:
- أنا يا ملك؟ أنتِ متأكدة من حبي ليك. هو أنا عشان باقول لك بابا عنده حق وما ينفعش تربطي مصيرك بواحد خلاص بينه وبين الموت لحظات أبقى باكرهك؟
- ولا تحبني! طول عمرك جبان وخواف ولا قدرت تواجه حاجة. طول عمرك بتحمل غلطك على غيرك.
ثم تابعت بعد أن أجهشت بالبكاء:
- أنا ماشية يا فارس، بس تعرف إنك لو احتجتني هتلاقيني. عارف ليه؟!
صمت فتابعت ثانية:
- عشان أنا بحبك. سلام يا فارس.
ثم استدارت ومضت خطوات أراقبها بعينين تحجرت بهما الدموع.. بجسد أتلفه المرض وعقل ذابل كزهرة خريفية.. أشارت لـ Taxi ثم ركبت وغادرت وما زلت أتابعها بعيني..

* * *

استيقظت فزعًا توًّا من كابوس لا أذكر تفاصيله.. جلست على السرير أتنفس بصعوبة وعمق.. صدري يعلو ويهبط كعدَّاء أنهى سباقًا منذ برهة.. أتألم وأشعر بطنين بأذني وآلام بعظامي.. كأن فقرات رقبتي تهشمت بمطرقة حديدة.. الإضاءة عالية، لم أغلق مصابيح الشقة.. الخوف كان يسيطر عليّ ويتحكم بما بقي من أعصابي..

اختلست النظر عن يميني وعن يساري وكأني أشعر بأنفاس خفيفة قريبة مني.. أستشعرها وأكاد أوقن بحقيقتها.. إنها أنفاس ساخنة ذات رائحة عفنة.. أشعر بأنني أقترب من الهلاك والجنون..

عبر العجوز باب غرفة نومي المفتوح وتقدَّم بخطوات واهنة، بدا وكأنه يتعفن.. لقد نال منه الشيب وفاق ما نالني.. يمشي بعرجة ثقيلة يكاد يجرّ قدمه اليسرى ويدفع بحمل جسده على قدمه اليمنى.. ما زال كما هو يرتدي الحلَّة الرسمية.. اقترب كثيراً مني ونظرت له بتعجب لكنه نظر لي بشفقة وحب.. إنه الموت الذي يقترب منه ومني.. إنه أنا.. إنه فارس..

قال بوهن:

- خلاص يا فارس، النهاية قرّبت.

ابتسمت وقلت:

- ما جبتش جديد. كلنا أموات ولاد أموات.

- أنا نفسك يا فارس، أو تقدر تقول عقلك أو اللاوعي. أنا قرّبت أنتهي لأنك..

قاطعته:

- هاموت.

- لأ.

ثم تابع:

- لأنك خلاص قرّبت تفقد الجزء الأخير في عقلك وبعد كدا هتنتهي. ما كنتش أتمنى عالم زيك يموت الموتة دي...

قهقهت:

- عالم!

ابتسم وأردف:

- مش إبراهيم بس اللي كان عالم.

قلت بصياح:

- أنا مش فاكر ليه أي حاجة؟!

- لأن اللحظة اللي بتشوفني فيها هي دي ممكن تكون اللحظة الوحيدة اللي بتبقى فيها أنت...

قلت بيأس:

- أنا مش فاهم!

- صدقني ولا أنا فاهم لكن الفلاشة....

- ما لها؟!

قال بيأس:

- مش عارف...

ثم اختفى من أمامي تاركًا أسئلة تدور في خلدي وعدت أصيح وأردد النداء حتى يعود أو يسمعني...

* * *

الإثنين 6 مايو..

الساعة 9 مساءً..

أرحت رأسي على الكرسي الجلدي الوثير ثم وضعت هاتفي على الطاولة الزجاجية أمامي.. نظرت إلى الطاولات المتناثرة حولي في هذا المقهى الفاخر.. طاولتي أمام المقهى ولا ساتر فالسماء المعتمة تزيد المشهد هدوءا مع تلك الإضاءة الخافتة والموسيقا السلو.. تعلو سحب الدخان الكثيفة حولي مع بعض الرواد الذين يدخنون النرجيلة.. والأصوات المتداخلة باتت تعكر صفو المشهد.. ضحكات خليعة.. أصوات نرجيلة.. عبث شبابي وألفاظ نابية.. بعد الطاولات رصيف يعبر منه بعض المارة ويقفون لتبادل التقاط الصور.. تحوّل المشهد لصورة ممسوخة تعكرها الضوضاء..

التقطت السجائر وأشعلت واحدة ثم نفثت دخانها ببطء.. أشرت بيدي اليمنى لمايكل الذي وقف على بعد مترات يجول بنظره ببلاهة يفتش عني وتقف جارته مولة.. ليس من الصعب تمييزه بذلك القميص أخضر اللون وكأنه سقط من شجرة عتيقة..

رآني فابتسم ببلاهة وربما مولة أصابتها العدوى منه ففعلت مثلما فعل وتقدما حتى اقتربا من الطاولة وجلس ثم قال مايكل:

- ماعلش يا فارس مولة صممت تيجي معايا.

قالت مولة:

- وحشتني يا فارس.

- شكرا يا مولة.

فنظرت لي بغضب حتى قاطع مايكل الهدوء:

- أنت بقالك كام يوم مش بتكلمني ولا بترد على تليفونك ليه؟

- ماعلش يا مايكل نفسيتي تعبانة شوية.

فأضاف:

- عمومًا كريمان رجعت.

- بجد؟

قالت مولة بضيق:

- مين كريمان دي؟

قلت بضيق:

- خليكِ في حالك يا مولة.

ثم تابعت:

- هنروح لها إمتى؟!

- تنزل بس الشغل يا فارس.

- ماشي يا مايكل. تشربوا إيه؟

- مممممم

* * *

الساعة 1 صباحًا..

الليل يداعب نفسي ويغشاها.. باتت أشد ظلمة من سماء حالكة.. الطريق إلى الموت جبرًا والإرادة لا تستطيع أن تفر من قدر أوشك على

الوقوع.. قانون الكون من العدم نشأ وإلى العدم سيزول وهذا الدخان الذي ملأ الغرفة كأنه الغبار الكوني لعالم خلقته وأردت أن أحيا به.. ظننت أنني إله ولم ينل مني الموت أو الهرم، ولن تنال مني خطاطيف القدر لكني الآن أدركت الحقيقة الأزلية.. الحقيقة الواحدة والتي نعرفها ونؤمن بها لكنها في أعمق مكان في عقلنا اللاواعي..

جمعينا نؤول لذات المصير وجمعينا نؤمنِ أن مصيرنا لم يكتب مثله..

ممدد الجسد على السرير.. ألتقط أنفاسًا حارة من السيجارة والدخان يتصاعد برفق مع الإضاءة الخافتة.. صدري يعلو ويهبط.. فقدت تسعين نفسًا من أنفاسي الباقية إلى الآن.. لا أملك تفسيرًا لما رأيت ولكني أعلم أن ذلك العجوز أخبرني باقتراب أجلي..

استسلمت للنوم أخيرًا وأغلقت جفني.. النوم غالبني ونال مني خلسة فغدوت معه بأوصال واهنة مرتخية..

* * *

أقف أمام الهضبة مرة أخرى والإضاءة خافتة.. القمر يلقي بنوره رأسيًّا على باب الكهف.. نظرت مرات إلى السلَّم الذي صعدته من قبل.. أحاول الصعود.. أحاول أن أعلم لماذا أعود هنا مرة أخرى.. شيء ما يدفعني لأصعد.. هرولت لأصعد السلَّم لاهثًا.. اقتربت من الباب.. باب خشبي لا أعلم هل تغير أم ما زال على حالته.. طرقت على الباب بكلتا يدي.. شق صخر الهضبة وخرج ثعبان لم أر مثله.. ارتعدت خوفًا ثم وقعت على الأرض أحاول الابتعاد دون أن أشيح نظري عنه..

- لقد لعنت قبلًا أنت ورفقائك وحرم عليكم معبدنا.

صرخت من الخوف فتابع:

- عد من حيث أتيت لتحيا مثلهم وتوارى ثراهم.

- أنا مش فاهم.

فتح فمه وأظهر لسانه المشقوق ثم تابع:

- وكلت بحفظ السر، ولن تعبر إلا بموتي ولو سمح لي لقتلتك.

- أنت مين؟!

- أنا حارس المعبد.

قلت بخوف:

- أنا ليه بيحصل لي كدا؟!

- لا أعلم ما تقول، وحق عليك أن تعلم كما جمعت الألسنة..

ثم صاح بغضب:

- عد من حيث أتيت وإلا كبلتك.

استيقظت أنتفض وأتصبب عرقًا ثم قمت مترنحًا لأشعل ضوء الغرفة لكني سقطت أرضًا مغشيًا عليّ..

* * *

الثلاثاء 7 مايو..

الساعة 8 مساءً..

صيّاد ورحت اصطاد صادوني..

يا عدوية

طرحوا شباكهم رموش العين وصادوني..

يا عدوية..

سحب الدخان كثيفة.. غابة ضبابية في ذلك الملهى الليلي.. الطاولات متناثرة.. زجاجات البيرة تُفتح وتفور بهيام.. أفتش حولي بعين منتشية مع اللحن.. على المسرح مطرب يرتدي حلة رسمية.. يدندن بنغم ويعلو الإيقاع.. كريمان ترقص وترتدي ما لا يستر.. الأعين تتفحصها بشوق..

الملهى مكتظ بالرواد.. النادل يمرّ أمام عيني مرات يحجب رؤية المسرح.. الأجساد تتمايل.. صورة غير نمطية للملهى الليلي.. ليس هناك الثري العربي أو المعلم صاحب العباءة.. لعل مشهد الستينات تغير في مطلع هذه الألفية..

آه يا ليل يا قمر..

المانجا طابت ع الشجر..

يُتابع اللحن وتكرار.. مايكل تمايل وحرّك رأسه طربًا.. حماقته ترسم البسمة علىٍ شفتين يابستين.. ناولني سيجارة الحشيش المتخمة.. تناولتها سحبت نفسًا عميقًا.. أعمق من أن يفرّ من صدري.. نفسًا يغشى روحي.. يجعلني أذوب شوقًا لسريري.. أنسى.. مع علو اللحن يزداد الخدر.. تمايل جسدي هو الآخر ونسيت كل شيء..

لحظات السعادة إن دامت لمات الصراع بداخلنا وتهدمت الدُنيا..

لكني أعلم أنها زائلة ولن تدوم.. معها انسحب المخدر من جسدي.. أطفأت السيجارة وأخرجت هاتفي.. نظرت في الكاميرا.. لأرى وجه العجوز فارس والعينين الحمراوين.. استفقت من غفلتي ونظرت لمايكل بضيق وهو يتفحص كريمان ويتناولها ببصره.. أكاد أرى انعكاسات مفاتنها في عينيه.. حياة مادية بحتة.. عالم تعيس وسكير.. جميعنا سكارى في ملذات الحياة ونهايتنا سكرات موتنا..

ابن آدم سكير والمشاعر كأسه..

انتهت الأغنية ومعها علا التصفيق الحار.. ابتسمت كريمان ثم غادرت المسرح وتبعها هذا المطرب..

صحت بمايكل:

- هنفضل كدا كتير؟

- استنى يا فارس دقايق وهتنزل تقعد معانا.

أومأت برأسي فأضاف:
- بس إبراهيم دا كان ذوقه عالي قووي.
ابتسمت فتابع:
- ما لك يا فارس؟
- قرفان منك.
اشعل سيجارة وقال وهو يزفر النفس الأول ويغمض عينه اليسرى:
- عادي.
ثم تناول نفسًا آخر وزفره بحنق:
- ما انا قرفان من نفسي بس أنت هتموت وترتاح.
وتابع بجدية:
- تعرف يا فارس أول مرّة أحسدك.
ضحكت بسخرية:
- أنت فاكرني هادخل الجنة؟!
- على الأقل هترتاح من قرف الدنيا.
أومأت برأسي:
- ما افتكرش إني هارتاح أبدًا.
قاطعني:
- أنت بتدور ليه؟
- عايز أفهم....
قاطعني ثانية:
- ليه؟
- عشان...
قاطعني ثالثة:
- عشان عندك أمل إنك تلاقي أي مخرج. متمسك بالحياة قووي. حاسس إنك لازم تعيش أكتر.

- عشان أصلح.
- لا ما أظنش. أنت بتجري ورا ملذات الدنيا. ما شبعتش من المخدر.
- أنت عايز إيه يا مايكل؟!
اقتربت كريمان من طاولتنا وهي تبتسم.. هبّ مايكل واقفًا وهي تمد يدها بالسلام.. سلّم بشوق ثم انحنى وقبّل يدها.. زاد غرورها الأنثوي وابتسمت ببرود..
- ما اعرفش إن عندنا فنانات بالجمال دا.
ابتسمت وأردفت:
- ميرسي يا مستر مايكل.
- شكلنا هنعمل شغل سوا كتير.
ثم غمز بعينه فضحكت ضحكة ماجنة وهي تنظر لي ببرود.. أزاح مايكل الكرسي لتجلس فجلست وتبعها ثم أردف..
- أعرفك بفارس صاحبي.
- إزيك؟
أومأت برأسي في برود:
- أهلًا..
كيمياء البشر تنافرت بيننا.. وأدركت أنها شخصية لن تبحر في قاربي.. لحظات صمت دامت ونحن نتفحص الملهى حتى قاطع مايكل الصمت:
- عرفتِ عايز أقابلك ليه؟
قالت ببرود:
- شغل؟!
- امممم خدمة.
ثم نظر لي فقلت:
- بصي يا كريمان عشان ما اطولش عليكِ. أنت كنت تعرفي إبراهيم محيي؟

- أعرفه.
- طب احكي؟!
أردفت بتعجب:
- أحكي؟!
- علاقتك بيه.
- كنا أصدقاء.
قلت ببرود:
- صداقة من أي نوع؟!
- أصدقاء عادي.
- طب انطباعك عنه؟!
- مش فاهمة؟!
- يعني كان بيتصرف ازاي معاكِ؟!
شردت ثم ابتسمت:
- كان gentle man.
أومأت برأسي وتابعت:
- ما لاحظتيش حاجة غريبة عليه؟!
- لأ.
قلت بغضب:
- بت اتظبطي واحكي.
جحظت عيناها:
- أنت مجنون؟
- آها للأسف. اسألي مايكل.
حاولت أن تغادر جذبها مايكل من ذراعها حتى أجلسها فتابعت:
- كان ماشي معاكِ. ما تدَّعيش الشرف. أنا مش جاي أفتح تحقيق معاكِ.

ثم تابعت مهددًا:
- أنتِ لو ما اتكلمتيش هاقتلك.
نظرتُ لمايكل فأومأ برأسه وأردف:
- كريمان إبراهيم ادى لفارس عقار طبي خلاه يكبر زي ما انتِ شايفة. هو قدامه أيام معدودة وبيحاول يلاقي أي مخرج فلازم تساعديه باللي تعرفيه لأنه مش باقي على حاجة..
كست أمارات الدهشة وجهها وظلت تنظر لي بتعجب لدقيقة ثم أردفت:
- هاقول حاجة مهمة. إبراهيم حصل له كدا.
قلت بتعجب:
- إزاي؟
صمتت وقالت بخفوت:
- جسمه من جوّا جلده كبر وشعر راسه وقع لكن...
صمتت فصحت فيها:
- إيه؟!
- مش عارفة وقف الموضوع..
ثم شردت وتابعت:
- يوم جا لي وجاب لي عربية غالية وكان طاير من الفرحة وقال لي إنه لقي العلاج. ما كنتش فاهمة حاجة. أنا لاحظت إن جلده بدأ يكرمش لكن بعد كدا وقف الموضوع وثبت عند حد معين وبعد كدا بقى بياخد أدوية...
قلت مبتسمًا بسعادة:
- أيوة والعلاج دا فين؟!
- صدقني ما اعرفش.
- طب مافيش حاجة تانية؟!

حركت رأسها نفيًا فأشرت لمايكل:

- يلا بينا.

* * *

الهواء منعش منتشٍ يلفح وجهي.. أنفاس باردة مع طقس معتدل.. أقود بتأنٍ وأنظر إلى الطريق أمامي بعين ثابتة.. شاردًا بعقلي وعيناي مثبتتان على السيارات أمامي.. اختلست النظر إلى المرآة اليمنى ثم عبرت جهة اليمين.. أمام الكورنيش في موضع اعتدت أن يكون ملاذي.. الساعة تجاوزت الرابعة مساءً وذبلت حرارة الشمس.. أبطأت السرعة وضغطت زر الانتظار.. نظرت عن يميني أفتش عنها.. نظرت أمامي لم أجد سيارتها.. أخرجت هاتفي وقبل أن أحدثها وجدتها تقف تنظر إلى الماء.. أعلم تفاصيلها وكل شيء عنها.. أدرك رائحتها وإن بعدت عني سنوات ضوئية.. من خلف ظهرها وإن لم أرَ وجهها.. ترتدي ملابس فضفاضة واسعة وحجاب صغير.. ترتدي الأسود وكأنها ترثي لحالي.. ملك من أشعلت جوارحي.. من ملكت عصمة أمري.. ملك الحب والوهم والحبيبة والخائنة وكل شيء..

ملك هي ملاكي في عالم خلقته في عقلي.. عالم تقترف فيه الملائكة الأخطاء.. فارس حسين إن صنع عالمًا سيكون عالمًا ممسوخًا.. وتكون ملك أفضل من به..

صففت السيارة ببطء وترجلت.. أغلقت الباب برفق وتقدَّمت منها بخطوات متراجعة.. وقفت خلفها أتنفس بعمق.. أشتم رائحتها التي فاقت كل شيء.. عطرها يغشى الكون ويملأ أفق عالمي..

ناديت بخفوت:

- ملك.

استدارت بعينين شاردتين في قسماتي.. تحتضنني بعينيها وتعاتبني.. مقلتان تحجرت بهما الدمعات.. دمعات شوق وهيام.. عطف وكبرياء.. حب وكره وغضب.. كل ما ورثته الإنسانية من مشاعر جُمع في هذه اللحظة.. وأين سأجد كلمات تصف ما مررت به.. لن يفُلح الوصف..

مثبت العينين وأصابتني عدواها.. تحجرت الدمعات في عيني.. شردت بها بقلب يثور.. بعقل نسي كل شيء سواها.. ما فعل مخدري مثلما فعلت بي.. وكأنها كأسي الذي طال بحثي عنه..

- فارس.

قلت بهدوء:

- ليه عايزانا نتقابل هنا؟ ممكن نقعد في مكان.

ابتسمت:

- حبيت نبقى في مكان لينا ذكريات كتير فيه..

- ملك...

قاطعتني:

- بتحبني؟!

- ما اعرفش إنها ممكن توصف حاجة من اللي في قلبي ليكِ.

قالت بحزن:

- ليه هتسيبني؟!

- ملك أنا باخا...

قاطعتني:

- لمرّة واحدة حاول ما تكونش سلبي.

- ملك أنا عارف إن النهاية خلاص، وكدا كدا أنا هاموت. هنعيش سوا كام يوم وأسيب لك ألم. ملك أنتِ جرحتيني كتير وأنا جرحتك..

ثم شردت:

- فاكرة لما جيت لي المستشفى وكنتي لابسة خفيف في عز المطر؟

- كنت عايزة أشوف غيرتك. فارس أنا بحبك.

ثم تابعت:

- سيبني أعيش معاك اليومين اللي فاضلين لوحدي، هاسيب البنت عند بابا.

- لكن...
- بابا مش هيعارض.
- طب تعالي أوصلك...
ثم جذبتها من يدها قاصدين السيارة...

* * *

الساعة 9 مساءً..

أطقطق بيدي على سطح المكتب بسخط.. الوقت لا يمرّ.. أخرجت هاتفي وتفحصت مواقع التواصل.. أجلس أمام مكتب عمر.. خرج قبلًا ليتحدث في الهاتف، وبدت أنها مكالمة غرامية لا يريد أن تصل بذاءته إلى مسامعي.. أعبث في الهاتف بتأفف.. أشعلت سيجارة وزفرت الدخان بسخط.. مرت خمس دقائق إلى الآن وما زال يتابع الثرثرة.. شعرت به يربت على كتفي وهو يتجه ليجلس على كرسي المكتب.. لم ألحظ أنه هنا لشرودي بشاشة الهاتف..

قال وهو يجلس:
- ماعلش يا فارس اتأخرت عليك.
- ولا يهمك.
ثم أضفت:
- أنت مش بتطمن عليّ ليه؟!
قال بتعجب:
- فارس أنا حاولت أكلمك أكتر من مرّة أنت بقيت بتختفي.
- امممم.
تابع مبتسمًا:
- أخبارك إيه؟!
- لقيت علاج.

هب واقفًا وقال فرحًا:
- إزاي؟!
- الرقاصة اللي اسمها كريمان قالت إن إبراهيم كان بيحصل له زيي وقدر يوقف الموضوع.
- الحمد لله.
- لكن...
أردف بتحفز:
- إيه؟!
- ما اعرفش مكانه. أنا أعرف إنه موجود بس.
جلس وتابع بأسى:
- قصدك إيه؟!
- ما بقيتش عارف حاجة يا عمر.
قال وهو يحرك رأسه يمنة ويسرة:
- لا لا في أمل يا فارس. إحنا مش هنستسلم.
أطفأت السيجارة وتابعت:
- أنا هامشي يا عمر.
- تعالى نسهر.
قلت بهدوء:
- مرّة تانية، محتاج أرتاح.
أومأ برأسه ثم قمت من الكرسي وتوجهت إلى باب المكتب..
نادى بودٍ:
- فارس.
استدرت وقلت:
- نعم؟

قال مبتسمًا:

- مش هنيأس.

أومأت برأسي وغادرت..

* * *

الأربعاء 8 مايو..

رنَّ الهاتف مرات ولم أعره اهتمامًا.. لم أملك القوة للنظر فيه.. تابعت افتعال النوم حتى صمت.. لم يغالبني النوم منذ أن رنَّ.. أحاول أن أغلق عيني.. أمني نفسي بميتة وقتية تأخذني من معاناة الواقع وإن كانت كوابيسي ستعانقني.. تقلَّبت مرات يمينًا ويسارًا.. وضعت الوسادة فوق رأسي.. اعتدلت وجلست ثم حاولت النوم ثانية.. دقائق على هذه الحالة حتى يأس عقلي من النوم.. اعتدلت وتناولت سجائري.. أشعلت واحدة والتقطت الهاتف.. الساعة الآن الثانية ظهرًا.. أربع مكالمات فائتة من رشاد..

ضغطت زر الاتصال وما إن سمعت جرس الهاتف حتى أجاب:

- أنت فين يا فارس؟

- كنت نايم يا رشاد.

فقال بعجل:

- هنروح لشمس النهار دا. هو وصل مصر امبارح.

قلت فرحًا:

- تمام.

- أشوفك بالليل..

سحبت نفسًا عميقًا من سيجارتي بعد أن أغلقت الهاتف.. ظللت أتناولها بشراهة.. خمسة أنفاس عميقة حتى اقتربت من سكراتها ثم أطفأتها بميتة رحيمة..

رنَّ هاتفي ثانية، التقطه:

- ملك أنتِ كويسة؟

- فكرت في اللي اتكلمنا فيه..

صمت لثوانٍ ثم أردفت:

- ادعي لي يا ملك. إن شاء الله هنعيش سوا.

- امممممم!

ثم تابعت بغضب:

- لسّا زي ما أنت.

- مش كدا....

قاطعتني:

- سلام يا فارس...

سمعت جرس انتهاء المكالمة فألقيت الهاتف على السرير وقمت...

* * *

الساعة 10 مساءً..

ظل ثابت العينين ينظر أمامه ولا يكاد يرمقني بنظرات إلا خلسة بطرف عينه اليمنى.. وضع يده اليسرى على مقود السيارة وقد أراح كرسي القيادة إلى الوراء.. تفحصته مرات بين الحين والآخر.. أدرك كم الغرور البشري في هذه الشخصية.. حلّته الرسمية.. عطره البرّاق.. الساعة الـ Rolex بجانب علامة marcedes وإن كان لا يقصد أن تكون ساعة يسراه بجانب علامة السيارة على المقود لكن المصادفات تحدث..

لبرهة تذكرت إبراهيم "لازم تركز في أدق التفاصيل".. ابتسمت ثم نظرت أمامي حتى قاطع شرودي وقال بثقة:

- الفيلا قدام بعد 200 متر على اليمين.

قلت بلا مبالاة:

- تمام.

فتابع:
- على فكرة أنا اللي مأجرها له عشان تعرف...
قاطعته:
- ما تكلمنيش بالمادة يا رشاد. أنت عارف إن عندي فلوس قدك عشر مرات.
فقال بتردد:
- لا ما اقصدش. أنت فهمت غلط.
- مش هتفرق..
اقتربنا من باب الفيلا فأدار المقود يمينًا وضغط على آلة التنبيه مرات حتى فتح الباب رجل أربعيني يرتدي جلبابًا.. لم أر تفاصيل وجهه لخفوت الضوء.. رفع يده وحيا رشاد الذي تجاهله وتابع القيادة للداخل..
صف رشاد السيارة ثم ترجلنا ودلفنا إلى الداخل بعد أن عبرنا الباب المفتوح على مصراعيه.. اقتربنا من الصالون وجلسنا متقابلين لبضع دقائق حتى قطعت الصمت..
- هو مافيش حد في الفيلا؟
- بيحب العزلة.
سمعت خطوات نعليه وهو يقترب فتوجهت الأنظار تجاه الصوت حتى رأيته.. رجل خمسيني يرتدي حلَّة رسمية.. الكثير من الخواتم في أصابع يده اليمنى.. شعر مصفف إلى الوراء بعناية تخالطه الشعرات البيضاء.. بشرة ناصعة البياض وأنف دقيق.. عينان واثقتان.. لحية متوسطة الطول.. وجه متناسق القسمات.. جسد متناسق وخطوات واثقة.. لا يبتسم.. فقط يمضي بتأنٍّ.. جلس على كرسي يتوسط الأريكتين اللتين جلس كل واحد منا على إحداهما.. نظر لي بعين واثقة.. كأنه يقرأ كتابًا.. اضطربت قليلًا حتى قال بلكنة مصرية ركيكة:
- خايف؟!
- عايز أفهم..

فابتسم ببرود:
- مافيش داعي تبقى خايف.
- قبل ما اجي لك زُرت شيخ والمكان ولع وآخر كلمة قالها...
قاطعني:
- جايز يكون...
قاطعته بثقة:
- المفروض مين يخاف؟!
شرد ثم أردف:
- بتشوف كوابيس؟
- كتير.
ثم تابعت:
- أكيد عارف اللي حصل مع رشاد...
- طب هنعمل حاجة وعايزك تحكي شُفت إيه؟
- حاجة إيه؟!

قام واقترب مني ثم وضع يده على رأسي.. نظرت له بتعجب حتى بدأ يتمتم بصوت هامس.. بدأ الخدر يسري في جسدي.. ارتخت أوصالي وشعرت بدوار.. الرؤية مشوشة.. علت أنفاسي وشعرت بأن شيئًا ما بي يقاوم.. فاستفقت ثانية.. بدا عليه التعب بجفنين مثقلين ثم نظر لي وصاح بغضب..
- قُلت لك أنا باساعدك.

ثم عاد يكرر ما فعله.. فشعرت بالخدر واستسلمت للنوم أخيرًا..

علا صوت الموسيقا التي سمعتها قبلًاgamecan .. شعرت بالخدر يسري بجسدي ومضيت مترنحًا أسقط أرضًا ثم أقف ثم سقطت ثانية وزحفت مبتعدًا عن الصوت.. لا أرى شيئًا فالظلام حالك.. أشعة قمرية ساقطة رأسيًا تبتعد مترات عني.. زحفت تجاهها بوهن.. الصوت ينخفض كلما ابتعدت وتتضح الرؤية.. قل طنين أذني وبدأت أشعر بعودة وعيي.. أستفيق من

غفلتي.. أقترب من بقعة الضوء.. أزحف بوهن حتى اختفى الصوت واستجمعت قواي ووقفت أنفض الغبار عن جسدي..

لقد عبرت غابة بالكاد أرى مدخلها.. ضوء القمر يلقي بنوره على جسدي والضوء خافت.. نظرت حولي لكل شيء.. أفتش عن شيء لا أدركه.. أدور حول نفسي في حلقات.. ناديت على إبراهيم ولم يجب.. ناديت على شمس.. ناديت صارخًا لعلي أستيقظ.. ثم مشيت خطوات إلى الأمام.. زادت الإضاءة كلما سرت وأصبحت أرى الهضبة وباب الكهف.. شيء ما يقودني هنا..

شقت الأرض على بعد متر مني فوقعت أرضًا وتعرق جسدي من الخوف.. لقد رأيته كما كان من قبل.. يسد الأفق أمامي.. ضخم الجسد وعيناه تلمعان بالشر.. حمراوان مشقوقتان طويلًا وكأنه ينظر زهوًا.. ثم أخرج لسانه المشقوق نصفين.. علت ضربات قلبي ولم أستجمع قوتي لأقف أو أفر منه.. الثعبان الذي ألاحقه ويلحقني وكأن شيئًا ما يقودني لأراه وبئس النهاية..

تنهدت بعنف وارتجفت حتى قال بغلٍّ:

- لماذا تعود ثانية؟!

- مش عارف.

- لقد أخبرتك أنك لن تدخل المعبد ثانية.

- ليه؟!

قال بحزم:

- أنت من رفضت ميراث العائلة، ولعنت من أبيك لتحيا بجسد فانٍ يضعفك وتضعفه وتموتا سويًّا.

- مش عايز أموت!

- لن تفلح العودة لقد وكلت بحماية المعبد.

- طب هو مالوش ذنب.

- ما زلت تعشق عالمهم ولك ما شئت ستفنى كبشري.

ثم أضاف:

- إن عدت ثانية ستكون الثالثة ويحق لي قتلك.

استيقظت أرتجف وجسدي بلله العرق الغزير.. شمس ما زال يضع يده على رأسي ثم ابتسم لي وقال:

- شُفت إيه يا فارس؟!

تنهدت بعمق وأرحت رأسي على الأريكة فكرر بحماس:

- شُفت إيه؟!

- تعبان.

أومأ برأسه وأردف:

- كمِّل.

- لعنة وهاعيش في جسم بشري لحد ما أموت فيه.

ثم تنهدت:

- وكهف كل شوية أروح عنده. قال لي هاقتلك لو قربت هنا تاني.

قال بحزم:

- فارس أنت لازم تدخل الكهف دا بأي شكل.

- ليه؟!

- لأن دا خلاصك!

- لكن إبراهيم لقي علاج.

قال بحزم:

- مافيش علاج. لازم تدخل.

- هيقتلني..

أردف بهدوء:

- مش هتكون لوحدك.

قلت بخوف:
- لأ.
أردف رشاد:
- فارس دا الحل.
ثم تابع:
- ممكن تدي له مهلة يفكر يا شيخ شمس.
قال شمس ببرود:
- يوم وإلا مش هاقدر أساعده..
أومأت برأسي فقام رشاد:
- نستأذنك يا شيخ شمس.
قمت وسرت برفقة رشاد مغادرًا..

-12-

الموت يحيا بداخلنا منذ ميلادنا لم يكن يومًا مرادفًا للنهاية..

الخميس 9 مايو..

الهواء رائع والأنفاس باردة.. روحانيات عالية وإيماني بدأ ينضج أخيرًا.. آمنت أن الموت الذي أفرّ منه سيلاقيني.. لكني آمنت أن السعي لإيجاد علاج ما أنا فيه سيجعلني أموت راضيًا..

أجلس في تلك العبّارة على النيل.. بالطابق العلوي وأشرد في وجوه البشر.. أراهم موتى وصرعى.. وجوه تخبئ أسفلها هياكل عظمية.. مشاعر خالجها اليأس.. الضحكات والحب والسعادة أسفلها شعور واحد.. شعور الفقدان والقهر والموت.. الظاهر يغشى الباطن، والباطن هو حقيقة الأمور، ولأن الدنيا بلاء فحقيقتها مشاعر سلبية..

بعض الرواد يعبرون الممر الطولي ويجلسون.. ما زالت السيجارة في يدي تتألم مما تلاقيه.. من مصير حتمي.. أنظر إلى مياه النيل بشرود ثم أطرق برأسي.. أنتظر عمر الذي خاطبته قبلًا منذ ساعة.. نظرت في ساعة يدي.. كانت الرابعة والنصف مساءً ثم أزحت يدي وتناولت الهاتف.. ووضعته ثانية لأمسك فنجان القهوة وأتناوله.. رشفة واحدة تكفي.. أطفأت السيجارة مع قدوم عمر الذي تقدَّم تجاهي مبتسمًا بخطوات متحفزة.. لعله ابتسم لكي يشاركني ما أنا فيه.. نظرت له متجاهلًا ما بدر حتى جلس ثم أردف:

- ما لك يا فارس؟!
- قابلت شيخ اسمه شمس معرفة رشاد.
- وبعدين؟!

- عنده علاج.
قال بسعادة:
- بجد؟
- لكن ممكن أموت.
- مش فاهم...
- فيه تعبان بيحرس كهف باحاول أدخله ولكنه بيمنعني.
قال ببلاهة:
- دا حلم؟
أومأت رأسي نافيًا:
- كأنه حقيقة يا عمر.
- والعلاج إنك تدخل الكهف؟!
- للأسف لكن وارد إني أموت. هو قال هيساعدني.
أومأ برأسه:
- أنا مش بافهم في الأمور دي لكن أنت كدا كدا هتموت. مش هيحصل حاجة لو جربت.
قلت بهدوء:
- عندك حق.
ثم أضفت:
- عايزك معايا.
- آسف يا فارس مش هاقدر.
- هاكلمك يا عمر لما أخلَّص..
ثم قمت مغادرًا فنادى:
- فارس، أنا آسف.
- مافيش مبرر يا عمر.
ثم غادرت......

* * *

الحادية عشرة مساءً..

عمَّ الصمت وتبادرت النظرات خلسة.. وكأننا أبينا أن نتواصل.. وإن جاز كأن الصمت يفرغ جبال الأسئلة في خلدي.. وإن لم أجد جوابًا لما مررت به.. رمقني بثبات وجحود وهو يجلس على الكرسي الذي توسط الأريكتين في الفيلا.. وكأن المشهد أُعيد توًا.. وما سلف قد حلَّ ثانية..

رشاد مطأطأ الرأس.. يفتش عن ماضيه بين قدميه.. يخشى شيئًا ما.. وما زلت أجهل لم أراد أن يساعدني! تحاشيت النظر في عيني شمس وظللت أتفحص رشاد.. لم أبد مرتعبًا ولكن الصمت يفرغ ما في جعبته ليُري شمس أنني كذلك.. أكاد أشعر بما يدور في خاطره.. كأنني هنا قسرًا.. طائعًا لمصيري الذي قادني ولا أملك الفرار منه..

شردت أتفحص الصالون إلى أن التقت أعيننا فابتسم لي وأردف:

- جاهز يا فارس؟

أومأت برأسي فتابع:

- أنا عارف إنك مش خايف.

- شُفت حاجات تخليني...

قاطعني:

- ما تخافش؟!

قلت بلا مبالاة:

- إيه هيخوف حد بينه وبين الموت شعرة؟

- الموت.

ثم تابع:

- ولا مش خايف منه هو كمان؟

- امممم.

- أنت لازم تدخل الكهف، فيه مخطوطة هتحفظها وتكتبها لي لأن دي علاج اللي أنت فيه.

قلت مضطربًا:

- طب والتعبان؟!

- ما تقلقش.

ثم قام وتقدَّم مني كأنني فريسته.. وضع يده فوق رأسي لسويعات.. دقائق.. لم أشعر سوى بخدر وغالبني النوم..

* * *

دوى نعيق الغربان في أذني.. تلفت يمينًا ويسارًا.. لم أر سوى الظلام.. ظلام تحفه ظلمات.. صحت بصوت فزع.. تلفت ثانية.. ثالثة.. أدور في حلقة.. ركضت لاهثًا حتى سال لعابي.. على صدري وهبط كأمواج عاتية في محيط ثائر.. جفَّ حلقي واتكأت على ركبتي.. ثم خارت قواي ووقعت أرضًا..

صوت الغربان يعلو.. نباح كلاب.. النباح يزداد.. المخاوف تتجسد أمامي.. ألقيت في سجن وغلِّقت أبوابه.. سمعت صوتًا كالحفيف في أذني..

- قوم في نفس اتجاهك لحد آخر الغابة..

قمت بوهن وسرت ببطء.. سرت كثيرًا حتى لاح القمر في سماء لم أر فيها نجمة واحدة.. رأيت الهضبة أمامي فركضت تجاهها حتى اقتربت منها.. رمقت الكهف بخوف.. لم أر الثعبان هذه المرّة.. لم أتقدَّم خوفًا من مصير الموت.. حاولت العودة لكني أردت أن أنهي ما أنا فيه..

شقت الأرض عنه حتى صار أمامي.. كأنه يشتعل نارًا من غضبته.. تنفست بقوة مضطربًا..

- ألم أخبرك؟!

ثم تابع:

- حسنًا هذه نهايتك.

زاد نباح الكلاب واقترب من أذني.. ظل يعلو ويدنو من أذني.. أسمع الصوت قادمًا من خلفي.. زاد الرعب في نفسي.. بت أعلم مصيري الآن.. هذا

شَرَك أوقعني فيه شمس.. علم أن الخوف من الموت سيجعلني أقترب من نهايتي..

القدر لا فرار منه والفرار منه إليه..

وضعت يدي على أذني حتى لا أسمع هذا النباح.. لكن لا جدوى بات قريبًا كأنهم في رأسي.. أغمضت عيني حتى سمعت صرخات هذا الثعبان.. كأنه يتلوى ألمًا.. ثم صرخ بصوت عالٍ..

- لمَ يا مريد؟!

نظرت إليه وتلك الكلاب تقبض بأنيابها عليه وهو يحاول التملص.. كلاب سوداء زادوا عن العشرة كلاب، ضخام كأنهم أسود برية.. أعين حمراء تشع نارًا.. تصرعه وهو يقاوم.. تركت المعركة وركضت تجاه الكهف وهو يصيح..

- لا تقترب، فعلتها قبلًا وستنهي أمر العشيرة.

اقتربت من الهضبة وصعدت هرولة.. ألهث ولا أقدر على التنفس لكني أقاوم بما أوتيت من قوة خائرة.. لكنها أصبحت خارقة.. الآن صراع البقاء.. اقتربت من الباب الخشبي للكهف.. دفعته بقوة لم يُفتح.. مرات أحاول ولم أستطع.. سقطت أرضًا وحاولت حتى فُتح أخيرًا..

كان الظلام يحفه لكن شيئًا ما جعلني أرى.. كأن عيني تشعان نورًا.. الكهف ضيق بقدر كبير بشكل هرمي.. تقدمت خطوات للداخل بحذر.. تكفي أربعون خطوة لتجعلني أرى الجدار أمامي برموز لم أر مثلها.. وقفت أمام الجدار الصخري المنحوت ببراعة أنظر لتلك الرموز التي لم أعلم كينونتها.. مرّ الوقت أتأملها شاردًا بها.. كأنني بلا روح.. كأنها خطفت بصري.. ظللت هكذا..

الوقت يمضي لكنه توقف في عقلي حتى حدث!!

الحروف بدأت تضيء وتغير موضعها.. فتشت حولي في الكهف.. وجدت صخرة صغيرة مدببة.. تناولتها وظللت أحفر تلك العبارات على جلد ساعدي الأيسر..

انتهيت وغادرت الكهف لاهثًا نزلت الهضبة عدوًا ثم صحت:

- شمس أنا خلاص جبت اللي أنت عايزه.. شمس خرجني..

ثم ركضت في كل مكان.. أريد أن أعود.. سمعت صوت ذلك الثعبان في أذني..

- لا تضيع القسم حتى لا تخضع عشيرتنا.

* * *

استيقظت ساعدي الأيسر يتقطر بالدماء.. رأيت عينا شمس تلمعان بالشره وينظر لساعدي ثم قال بتحفز:

- فك الرمز.

نظرت له ببلاهة فتابع:

- يلا مستني إيه؟! ما أنت حبسوك في الجسم دا.

صرخت:

- لأ.

فقال بغضب:

- أنا عشت طول عمري مستني اللحظة دي. أنتو العشيرة الوحيدة اللي اتمردت وما قدرش حد...

قاطعته:

- لأ.

- فك الرموز وإلا هاقتلك.

دفعته بقوة.. قام رشاد واقترب مني ثم حاول أن يوقفني.. دفعته هو الآخر ثم ركضت هاربًا..

* * *

انداحت همهمات الليل وزاد عني مرارة.. أتلفظ الأنفاس حسرة.. لم أعِ ما يحدث حولي، ولم أفسِّر ما كان إلا أنني أصبت بلعنة من عالم آخر.. عوالم غيبية وجن وأشباح.. أشياء لم أعلم عنها شيئًا.. ربما علمت ولكني لا أتذكر.. حتى ذلك الوقت من الليل الذي تحوطه الظلمات زاد غموض المشهد..

الساعة تجاوزت الواحدة وما زلت أنظر إلى ماء النيل كأنه جواب ما أنا فيه.. أستند على السور الحديدي وأتكئ عليه.. أصبت بمرض الكرب.. سأموت حاملًا في صدري مخلوقًا غريبًا..

كل شيء حدث لي محض خيالات.. الفلاشة مجرد خيال.. ولربما يخيل إليّ أن هذا يحدث..

رنَّ الهاتف، التقطه من جيب بنطالي، نظرت إلى الشاشة.. رقم خاص.. وضعته على أذني..

- فارس لازم أقابلك.

- أنت مين؟!

قال بعجل:

- أنا وحيد سليمان، مهندس برمجيات وعارف إبراهيم كويس.

- وإيه المطلوب؟!

- أعتقد إنك عايز تفهم؟!

قلت بتحفز:

- يا ريت.

- اكتب العنوان دا.

* * *

السبت 11 مايو..

الحادية عشرة والنصف صباحًا..

مضى يوم حمل معه معاناة وأتى آخر حُمّل بضيق.. لم أقابله البارحة.. لم أفعل أي شيء سوى النوم والنظر إلى ساعدي الأيسر.. أحاول أن أفهم ما قاله شمس.. عانيت لفهم أمر ذلك الثعبان والقسم.. لكن لا جدوى من المحاولات اليائسة..

أجلس في سيارتي أمام مبنى عالٍ مدون عليه لافتة عملاقة بطول المبنى.. elwaheed group.. أفكِّر هل أتقدَّمَ أم أعود من حيث أتيت.. دقائق مرت وقد ظللت هكذا حتى رنَّ هاتفي فأجبت ليأتي صوته بحزم:

- اتفضل يا فارس أنا مستنيك من بدري.

- حاضر.

أغلقت الهاتف ووضعته في جيب بنطالي ثم ترجلت من السيارة متجهًا لمدخل البناية.. التقطني بودي جارد بابتسامة باردة ومضيت معه نحو المصعد.. تحرّك المصعد متجهًا للطابق الخامس ولم أحدث هذا الجسمان القابع أمامي كأنه يخشى فراري من ثقب في المصعد..

مضت الدقائق كدهر كئيب ومضيت معه في ممر طولي حتى اقتربنا من باب غرفة مؤصدة فتحها دون أن يطرق بابها ودفعني برفق إلى الداخل..

الغرفة بيضاء الجدران إلا الجدار المقابل لبابها كان زجاجيًا.. أمامه مكتب زجاجي وكرسيان معدنيان.. وجلس على كرسي المكتب وكان الكرسي في مواجهة الجدار الزجاجي.. لم أر وجهه.. رأيت ظهره فقط.. تحدث بثبات دون أن يعدِّل من وضع الكرسي..

- اتفضل اقعد يا فارس..

قلت ببرود:

- ما اتعودتش أكلم حد من قفاه.

ضحك ثم أردف:

- كنت متوقع.

ثم استدار فرأيت وجهه.. كان رجلًا عجوزًا أصلع الشعر.. ليست لديه تفاصيل تذكر في ملامحه لكن رائحة عطره لم أتبينها وكانت قوية كأنها تميزه.. لا شيء يذكر.. سمين الجسد.. مترهل.. أنف صغير.. حاجب دقيق.. عينان بنيتان.. أسنان بارزة.. ملابس أنيقة..

قاطع شرودي:

- اتفضل.

تقدَّمت بثقة وجلست:

- طلبتني؟!

- عايز تفهم؟

أومأت برأسي فتابع:

- أنا زيك بالظبط.

قلت بدهشة:

- نفس الحالة؟

أومأ برأسه:

- أنا اللي برمجت الفلاشة.

قلت بتحفز:

- فهم...

قاطعني:

- هافهمك وما تقاطعنيش.

ثم استطرد:

- الحالة اللي عندنا دي حالة تلبس، أو تقدر تقول إحنا ملازمنا جن. لا يقدر يخرج مننا ولا نقدر نسيبه.. الفلاشة عبارة عن ذبذبات حاولت بيها أبطأ مفعول اللعنة اللي صابتنا..

- تقصد اللي عندهم نفس حالتنا؟

ثم تابعت:

- إحنا كام واحد؟!

- وليه إحنا.. ليه بيحصل لي كدا وإيه الفيديوهات اللي على الفلاشة دي؟

- فيديوهات؟!

قلت بغضب:

- أيوة.

- أنا لما برمجت الذبذبات دي كان الهدف إني أبطأ...

قاطعته:
- إبراهيم لقى علاج..
قال بغضب:
- ابن الكلب!!!
صحت فيه:
- فهمني؟!
- فارس أنت اللي كنت بتشوفه ممكن اللي محفور في اللاوعي عندك..
- أنا شُفت حاجات حصلت..
قال بدهشة:
- يبقى كنت بتشوف بعينيه!
صحت ثانية:
- مش فاهم.
- ولا أنا فاهم كل حاجة!
قلت بضيق:
- هو طول الوقت متحكم فيّ ومش فاكر أي حاجة.
- ما عرفناش.
صحت ثالثة:
- وضَّح.
- ما عرفناش إرادة مين فينا اللي بتتحكم.. اللي قدرت أفسّره إن إرادتنا بقت واحدة.
- يعني إيه؟!
- يعني ما اعرفش مين اللي بيتكلم دلوقتي همَّ ولا إحنا.
- وليه شُفت نفسي عجوز؟!
- يمكن لأنك عارف نهايتك، عقلك اللاواعي رسم الشخصية دي.
قمت من الكرسي فأردف:
- رايح فين؟!

- عرفت مِين اللي بيتكلم؟!

نظر مقطبًا فتابعت:

- همَّ اللي بيتكلموا. عارف ليه؟

- ليه؟

- لأنك ظهرت دلوقتي وكان ممكن تظهر من زمان..

فأومأ برأسه:

- إحنا شياطين يا فارس.

ثم اِنسابت دمعات من عينيه لم أستطع حجب تأثيرها وغادرت بدمع يفر قسرًا من عيني..

* * *

الواحدة صباحًا..

أشعلت سيجارة ثانية بعد أن صرعت الأولى منذ سويعات.. متخمة بمخدر الحشيش أكثر من سابقتها.. سحبت نفسًا عميقًا ثم لفظت الدخان بضيق.. الغرفة ساكنة مع إضاءة خافتة إلا من همهمات أنفاسي.. أطرقت برأسي أنظر إلى الغرفة أفتش عن العجوز.. ربما اشتقت إليه.. ممدد على سريري أضع قدمًا فوق الأخرى.. أطقطق فقرات رقبتي بقوة.. أسحب أنفاسًا متسارعة ثم أطفأت سيجارتي أخيرًا..

ألم في ساعدي الأيسر.. كأن نارًا تشتعل به.. وضعت يمناي عليه.. صرخت ألمًا.. وددت قطعه حتى أستريح.. يخيل إليّ أن الحروف تبرز.. تغير موضعها.. نظرت إليه بدهشة.. بخوف.. بضيق.. حتى استسلمت أخيرًا..

دوى الطنين في أذني.. أكاد أسمع صوت دقات قلبي ونبض أوردتي.. أشعر بحركة عظامي وهي تئن..

صرخت ثانية.. ثالثة.. رابعة.. الحروف تبرز.. تتضح أكثر.. كتابة لم أرَها من قبل..

* * *

كان الضباب الأحمر الدامي قد سدَّ الأفق وحجب رؤية كل شيء.. أسفل قدمي رمال ذهبية تلمع.. سمعت همهمات حولي.. أصوات خافتة متداخلة.. دقات طبول.. أزير مياه.. حفيف أشجار.. صرخات.. صدى صوت.. الأصوات تعلو في رأسي.. وضعت كلتا يدي على أذني.. لكن لم تتوقف كأن الصوت أتى من رأسي..

* * *

جبال لم أر نهايتها.. أرض ممهدة أمامي.. أقف أمام جبل شاهق وأمامي يمر رجال يرتدون الجلابيب السوداء.. زادوا عن المائة.. لم أر وجوههم.. تركتهم يعبرون أمامي.. كانوا يقودون أحدهم مكبل اليدين.. لم يلحظوا وجودي.. كأنني سراب..

توقفوا وجلس الرجل المكبل على ركبتيه.. اقترب منه أحدهم.. سرت تجاههم حتى أتفقد ما يحدث..

دقائق مرت حتى قال الرجل:

- لعنت يا طالوس، وستبقي بجسد بشري حتى تفنى معه.

قال المكبل:

- لكني لم أعِ.

- إن قوانين العشيرة قد خطت قبل ميراث البشر. لم نخضع لساحر أو مارد ومن يخضع منا يصير كالبشر ويهرم مثلهم..

- العفو.

- لقد آثرت أن تتشكل بجسد بشري وتعيش بعالمهم. لتحيا به..

ثم تابع:

- ستهرم معه ويهرم معك بقوانين البشر. ستتحد إرادتك وإرادته. ولن تعي من سيكون صاحب الجسد..

* * *

دبَّ الصولجان الفضي على أرض صخرية فنحرها وفتت منها قطعًا حجرية تناثرت بالفضاء.. رمقت صاحب الصولجان فاقشعر بدني.. ارتعشت

خوفًا.. على صدري.. لم أعِ ما أرى.. كيان أسود لم أتبين قسماته.. قرنان كبيران ملتويان فوق الرأس.. عينان كأعين الثعابين ولكنها حمراء تتوهج.. رأس طولي بذقن مدبب.. هب واقفًا لأرى جسدًا ضعيفًا تجاوز المتر بقليل.. ملابس سوداء تزينها حلي باهتة وأحجار عاجية.. غر الفاه وظللت هكذا.. أتأمل جدرانِ الكهف الصخرية.. أتأمل الكيان الآخر الذي وقف أمامه خانعًا.. خاضعًا.. مطأطأ الرأس..

دبّ الصولجان ثانية لتهتز معه جدرانِ الكهف وأطلقت صرخة رعب لم يسمعها سواي.. لم يحرك الكيان الآخر ساكنًا وظل أمامه على حالته.. لم أفرِّق بينهما.. يتشابهان كثيرًا إلا أن الآخر كان عاري الجذع..

قال صاحب الصولجان:

- من اليوم أنت مريد العشيرة. تمردت كما فعل طالوس وستلعن بجسد بشري.

- لكن يا أبتي..

صاح فيه بغضب:

- لست أبًا لأحد. لتحل عليك لعنتي وتمكث لتفنى معه.

* * *

كانت الجبال في كل صوب.. متناثرة بعبثية.. فوقها سماء فاقع لونها.. وأرض خالطتها الصخور والرمال.. أكواخ مخروطية تناثرت على الأرض بعبثية.. فضاء شاسع من الأرض أمامي.. ثم ظهر هذا الكائن عاري الجذع ثانية من الفراغ لكنه لم يكن وحيدًا.. رافقه كيان آخر يشبهه لكن طويل الشعر بقدر اقترب أن يلامس الأرض.. يرتدي عباءة سوداء ذات خطوط حمراء داكنة.. ينتعلان شبشبًا باليسرى واليمنى حافية..

قال الكيان صاحب العباءة:

- ماذا تريديني أن أفعل يا حاصد الألسنة؟

- كوني معي يا رياعن نحيا كالبشر لنرى عالم...

قاطعته:
- لكن العشيرة لن تمنحنا من الحظ ذلك.
ثم صمتت وتابعت:
- سنلعن.
- درست كل الألسنة لأفك طلسم العشيرة ويجندهم السحرة.
اشتعلت نارًا من الغضب:
- ستفعل ذلك لأجل ماذا؟!
- أكره معيشتكم. أنتم عتاة الجن تعيشون هكذا. نحن العشيرة الوحيدة التي امتلكت قوةً تخضع العالمين وأبت.
ثم تابع بودٍ:
- ستحيين معي؟!
- نعم ولكن..
قاطعها:
- لتذهب العشيرة لجحيم يستعر..

* * *

عاد الكهف ثانية.. ليقف مريد أمام الكيان صاحب الصولجان لكنه هذه المرّة كان مكبل اليدين تحوطه كِيانات أخرى وتقيد حركته.. كان صاحب الصولجان يشتعل نارًا.. يرتعد غضبًا.. يثور.. لكن مريد لم يحرك ساكنًا هذه المرّة وكأنه أبى أن يحاكم بشيء شعر أنه حق له..
قال صاحب الصولجان:
- خنت العشيرة واخترت البشر ستحيا كما أردت وستنسى مثلهم، وصار وعدًا علينا أن نلعن كل من سار في درب أنت وضعت سنته.
قال المريد بتوسل:
- لكن رياعن يا أبي.
- ستلعن هي ورفاقك، ستنسى أنك عشقتها وتحيا بعقل بشري ناقص.. تنسيه الحياة ويدوم بسكراتها.. ستهرم بقوانين البشر بعقدك الرابع وإن رأيت رفاقك ستهرم بقوانين خلقها سحر العشيرة.

صرخ المريد:
- أمهلني يا أبي..
- ستصير إرادتك بشرية.
صرخ ثانية:
- أمهلني يا أبي..
- ستلعن.
صرخ ثالثة:
- أمهلني يا أبي.......

* * *

كانت الغرفة شاسعة.. جدرانها صفراء قاتمة.. يتوسطها سرير خشبي صغير.. دولاب كبير في المقابل.. مرآة باهتة.. ونافذة مفتوحة تُرسل تيارًا من الهواء جعل شعر السيدة يتطاير بعنف.. ترتدي بيجامة منزلية.. حسناء بقدر يخشاه الحسن.. أنف ذو انحناءة لطيفة.. شفتان رقيقتان.. عينان بنيتان.. شعر مصبوغ بعناية باللون البني.. جسد ممشوق.. تأففت ونظرت لطفل ممدد على السرير بالكاد يظهر وجهه.. وراح في ثبات عميق كملاك نائم..

دخل رجل يرتدي حلَّة سوداء كلاسيكية.. ويدخن سيجارة بشراهة.. وسيم ذو شعر ناعم.. شارب غليظ أسفل أنف طويل حاد..

نظر إليها الرجل بعطف.. استيقظ الفتى وكأنه يراهما بعين تراقب بحذر كأعين الذئاب..

ربت الرجل على كتفها فأزاحت يده وتأففت:
- ما لك يا حورية؟!
قالت بغضب:
- اتصرف في ابن أخوك دا. أنا باربي عيالي بالعافية.
- أعمل إيه يعني؟!

صاحت بغضب:
- ما اعرفش، وديه ملجأ.
- أخويا دمه ما بردش هو ومراته بعد الحادثة، والواد الدكاترة قالت إنه ممكن يفوق من الصدمة..
تابعت بضيق:
- وممكن يفضل كدا باقي عمره. أنت عارف إن الإصابة هتعجزه.
أومأ برأسه في أسى:
- هاوديه مدرسة داخلي للمعاقين.
- مدرسة كمان! وتطلع إيه دي؟
أردف بضيق:
- مدرسة الأمل.

* * *

تدلت مصابيح من السقف على صف واحد في عنبر طولي يحتوي عددًا من الأسرّة كصفين يصنعان ممرًا طوليًا نحو نافذة زجاجية.. كان العنبر خاليًا تمامًا إلا من طفل يجلس على كرسي ويحملق في مياه الأمطار الساقطة بعنفوان على أشجار الحديقة أمامه.. اقتربت منه يد ترتدي خاتمًا فضيًا مزينًا بنقش الثعبان.. ثم قال صاحبها بخفوت..
- هيكون ليك شأن عظيم يا فارس..
ثم تابع:
- أنا عارف إنك ممكن تعيش عاجز باقي عمرك والحادثة أثرت على مخك، لكن باوعدك بإرادة إنسان كامل يقدر يعمل كل حاجة.
ثم اقترب من أذنه وهمس بها:
- أنا كنت زيك ودلوقتي..
تم تنهد وتابع برفق:
- خليك زي إبراهيم...

* * *

قبضت اليد السوداء على قضبان حمراء كحمم.. ثم ابتعدت بغتة.. صرخ صاحب اليد بصوت كالعواء.. واستعر جسده نارًا.. كان بقفص من القضبان الملتهبة.. يثور ويبكي وينتحب.. يتأوه.. يرتِعد.. عاري الجذع.. بقرنين غليظين ملتويين.. كان مريد العشيرة.. في قفص سُجن به.. اقترب صاحب الصولجان منه وصاح فيه..

- رفاقك قد خانوك حتى لا تصيبهم اللعنة ولكنهم سيلعنون أيضًا.
- الرحمة يا أبي..
- هذه القوانين لتفنى بعالم الإنس ولكن لا تثق برفاقك..
- كيف وقد نسيت أمر أنني من العشيرة؟!

قال بحزم:

- احذر إن علمت.
- لقد أرسلتني لقعر محيط ولست من الغواصين!
- أنت من أراد.

ثم غادر صاحب الصولجان فصاح المريد:

- سأفنيكم كما أردتم لي ذلك...

* * *

استيقظت فزعًا وجسدي بلله عرق غزير.. شردت بأمر ما رأيت.. بت أعلم الكثير عما حدث لي.. علمت أمر الكائن الذي اقترن بي منذ صباي.. منذ ذلك الحادث.. أعلم الآن أن إبراهيم كان يدرك من أنا.. أعلم لما نسيت.. ربما لعنة الكائن جعلتني أنسى وربما كنت أنا هو.. أعلم الآن كيف تحدثت تلك اللغات دون أن أدرك..

شردت ثانية..

أكان رفاقي خائنين؟!

ربما خانني إبراهيم وسيخونني وحيد أيضًا.. الآن أعلم سرّ علاقتي بنور أو رياعن.. علمت أن إبراهيم حاول كسر اللعنة بالدواء.. ووحيد حاول

كسرها بالتكنولوجيا.. لكن بقي دوري كحاصد للألسنة.. سأهلك هذه العشيرة إن أنهيت أمر الطلسم..

ربما ما نقشته على ساعدي هو ناقوس خطر لموت محقق.. من منا كان يسير الآخر.. هو من يسيرني أم أنا؟!

بات كل شيء جليًا أمام ناظري.. هي لعبة واستطاعت أن تتحكم بي.. ربما سماها وحيد كذلك لأنه ظن أنها تستطيع..

* * *

بعد أسبوع..

Gamecan

تلك الكلمة أصبحت مخدرًا يسري بجسدي ليقلل أمر لعنة مريدٍ العشيرة ولعنتي.. في الأيام الماضية صرت وحيدًا بلا رفاق.. هجرتهم جميعًا واستسلمت لمصير حتمي.. لم أفكر بأمر النقش على ساعدي.. أو لم يفكر المريد في ذلك.. أدرك الآن أن المريد هو من تحكم بإرادتي.. سر اللوحة وذلك الشخص مطموس الهوية كان مريد.. منبوذ من الجن أو من البشر.. ربما كان إبراهيم.. أو غيره ممن أصابتهم اللعنة..

لكن هناك شيء أخير سننهيه سويًا..

جلست بغرفة مكتبي أمام الـ laptop وأشعلت سيجارة أطلقت بها زفرة حانقة.. كأن تسلسل معاناتي أراه أمامي.. أدركت أن فارس حسين ما هو إلا شيطان إنسي.. نسى مريد وأنساني ما مضى في سنين عمري..

التقطت الهاتف وضغط زر الاتصال:

- وحيد...

- فارس!

قلت بهدوء:

- مافيش علاج.

صاح في بغضب:

- أنت تقدر تفك طلسم اللعنة.

- للأسف ما قدرتش.
تابع بتوسل:
- فارس أرجوك.
- أنا زيك.
ثم تنهدت وأردفت:
- إحنا شياطين يا وحيد. مش دا كلامك؟ أظن الموت هيكون أفضل لينا
- عايز أقابلك!
- ما اعتقدش إن عندي حاجة أفيدك بيها.
ثم تابعت:
- مين اداك طلسم الفلاشة؟!
صمت فتابعت:
- شمس؟
تابع صمته فأغلقت الهاتف ووضعته برفق على المكتب:
- كلكم خونة...

* * *

الساعة 1 مساءً..

لفحت برودة مكيف الهواء وجهي.. ظللت أعبث بذقني شاردًا.. رمقت الطاولات المتراصة بنظام في مقهى مودرن بمنطقة وسط البلد.. المقهى خالٍ إلا مني في ذلك الوقت.. الطاولات زجاجية تحوطها أربعة كراسٍ جلدية بنسق مهندم.. الأرضية بنية.. الجدران ذات نقوش لأشجار.. أطرقت برأسي أتابع النظر لكل شيء.. ثم تناولت فنجان القهوة ورشفت منه الرشفة الأخيرة..

تناولت هاتفي:
- عمر.

قال بودٍّ:

- فارس أنت فين؟!

- مش بتسأل عني ليه؟! أظن افتكرتني مُت وعفنت..

قال بلوم:

- أنت بتقول إيه يا فارس؟! أنا كل يوم باكلمك مش بترد.

- عدي عليّ في الشقة بالليل..

- ما لك؟

- هاحكي لك بس ما تنساش..

- حاضر يا فارس.

ابتسمت ونظرت بعين ثاقبة للنادل الواقف أمامي يرتدي **uniform** بني بلون المقهى.. انحنى ثم ابتسم وقال بود:

- خلاص القهوة حضرتك؟

أومأت برأسي إيجابًا فتابع:

- حضرتك تؤمر بحاجة تانية؟

نظرت إليه بثبات:

- لو اكتشفت إنك شيطان.. تكمِّل ولا تحاول؟

نظر لي بعته فتابعت:

- تحاول تبقى بني آدم؟!

- هو فيه شيطان بيتوب؟

ابتسمت وأردفت:

- فنجان قهوة تاني..

انحنى وأردف:

- تحت أمرك يا افندم.

ثم التقط فنجان القهوة وغادر... تناولت الهاتف ثم ضغطت زر الاتصال فأتى صوتها يحمل أطنانًا من الأسى.

- خلاص يا ملك.
- فارس حبيبي، أنت كويس؟
- أول مرة أتأكد إن عمري ما هابقى كويس.
- بتقول ليه كدا؟!
- أنا اتعالجت.
قالت بسعادة:
- بجد؟
ثم تابعت:
- وليه مش هتبقي كويس؟!
- لأنك مش معايا.
- فارس أنا بحبك.
- وأنا كمان...
ثم تنهدت وأردفت:
- عايز أشوفك بالليل يا ملك، تعالي الشقة لازم نتكلم كتير.
- حاضر...
أغلقت الهاتف وقمت مغادرًا بعد أن وضعت عشر أوراق فئة المائة جنيه على الطاولة.. تقدَّمت بهدوء فنادى النادل.
- القهوة يا افندم.
نظرت إليه وقت بودٍّ:
- اشربها أنت وخلي الباقي علشانك...
* * *
الساعة 7 مساءً..
سرت مترنحًا نحو باب شقتي بعدما أصابني الجرس بالصداع.. نظرت في العين السحرية.. وجدت عمر يقف أمام الباب ولا يكاد يترك زر الجرس.. بدا

متأنقًا يرتدي حلّة سوداء.. فتحت الباب بهدوء فاقترب مني واحتضنني بود ثم أردف:

- أنت كويس يا صاحبي؟

أومأت برأسي:

- اتفضل.

تقدَّم أمامي نحو الداخل خطوات وما زلت أقبض على الباب.. أغلقت الباب برفق ثم تناولت قضيبًا معدنيًا واقتربت منه بحذر.. هويت على رأسه فخر مغشيًا عليه وسالت الدماء من رأسه.. سحبته بوهن نحو غرفة نومي.. قد تملك الضعف مني وأصبح الجسد خاويًا من القوة كقنديل فقد وقوده..

دلفت غرفة النوم ثم اقتربت من ملابسه فنزعت الجاكيت برفق ثم القميص ثم البنطال.. أزحت غطاء السرير.. فرأيت جسدها.. نعم هي ملك التي أتت لمصيرها منذ برهة.. المخدر يسري في جسدها ليجعل هذه الشيطانة تتأهب لنومتها الأبدية.. ترتدي قميص نوم أرهقتني عندما ألبستها.. نظرت إليها بغضب.. ابتسمت بنشوة.. الآن سأنهي أمر كل شيء.. اللعبة تستطيع أن تجعلني أكرر المشهد..

حملت عمر ووضعت جسده على السرير بالقرب منها.. اقتربت من التسريحة وحملت سكينًا ثم توجهت لزاوية على جدار مقابل للسرير.. عدَّلت وضع الكاميرا..

حان الوقت لأنهي أمر المشهد.. صعدت على السرير ثم عدلت جسد عمر ليعتلي جسدها.. اقتربت من ظهره ثم هويت بالسكين..

لكني توقفت عندما لامس ظهره...

صرخت..

بكيت...

لم تكن إرادته ما تحركني..

لست كذلك..

نعم أنا لست دمية.. لست مريد العشيرة.. ألقيت السكين من يدي وركضت هرولة...

* * *

20 مايو..

قلت بصوت عالٍ:

اكتشفت إن الملايكة لو امتلكت إرادة.. ممكن جدًّا تعصي ربنا وسهل جدًّا.. تتحول لشياطين..

الطقس باهت كقلبي.. الساعة الرابعة عصرًا.. لكن الضوء لي كظلام غشى روحي.. تساؤلات تعبث برأسي.. إبراهيم الذي عانى من نقصان الإرادة وأصبح شيطانًا بعد أن امتلكها.. فارس الذي تعرض لحادث أفقده الحركة وجزءًا من رزانة العقل أصبح شيطانًا هو الآخر.. هل اخترت ذلك؟! لماذا لا نرضى بما خُط في قدرنا؟ ذلك المصير المبهم.. الغد لا يحمل كثيرًا من الآمال.. لكنه لم يتحكم بي.. أم أنا من أقوده.. هذا ما قاله وحيد، لم نعِ من منا الشيطان.. حالة سحر لم تحدث قبلًا ولن تحدث.. ما هذا؟! بلاء أم نعمة..

رمقت مياه النيل بثبات.. أشعلت سيجارة.. سحبت نفسًا عميقًا.. ما زال لدي الكثير لأعلمه لكن الواقع يفرض عليّ ألا أعلم كل شيء.. سنترك جزءًا لعقل يجهد في التدبر، ولن يعي سوى القليل..

وضعت كلتا يدي على السور الحديدي.. سحبت نفسًا آخر.. زفرته.. نفسًا ثالثًا.. زفرته.. رابعًا... خامسًا.. ألقيتها في مياه النيل.. تقدَّمت من سيارتي.. فتحت الباب برفق.. صعدت.. صفعته بقوة.. قدت دون أن أقصد وجهتي...

ظللت أفكر.. أعلم الآن لماذا خانني إبراهيم.. لأن رفقاء العشيرة خائنون.. لا داعي لأثق بوحيد.. سأتركه يواجه مصير الموت.. كل الفيديوهات كنت أراها بعين المريد وبعضها شكله اللاوعي.. علمت كيف

فررت من رجال المنظمة.. ساعدني أو بالأحرى ساعد نفسه.. ذلك الطلسم المنقوش على ساعدي الأيسر سيجلب عداء أبناء العشيرة.. لكنه لا يريد أن يفك لغز الطلسم وكذلك أنا...

أكملت شرودي وتابعت القيادة..

* * *

الساعة 6 مساءً..

صففت سيارتي على جانب الطريق.. بعد أن قادني القدر لهذا الشارع غير المعلوم لي.. فتحت الباب الأمامي وترجلت.. تقدمت بخطواتٍ ثابتة بعد أن أغلقت الباب برفق.. كان الشارع بعرض خمسة عشر مترا.. بالأحرى منطقة شعبية.. أصوات آلات التنبيه يصم أذني.. صياح البعض.. البنايات على يميني ويساري.. وصف محلات على اليمين.. مقاهٍ شعبية.. مشيت خطوات بمنتصف الشارع.. غير عابئ بالسيارات التي تمّر بالقرب مني في اتجاهين.. بعضهم يسبني.. بعضهم ينعتني بالجنون.. كأن فارس حسين أصبح غير منتمٍ لذلك العالم.. وقفت أخيرًا بمنتصف الشارع.. أفتش ببصري يمينًا ويسارًا..

نظرت لمقهى على يميني وكانت الطاولات قد ملأت الرصيف.. ثم رأيت هذا العجوز وهو يحمل كتاب كفاحي لهتلر ويقرؤه من أسفل عوينات طبية دائرية العدسة..

قلت بصوت جهور:

- الحرب المرة دي مش حرب تعصب للجنس.

ثم نظرت لشاشة التلفاز فوجدت صورًا لقصف الأراضي المحتلة..

وتابعت بصوت أعلى:

- ولا حرب عدوان..

نظرت على يساري لثلاثة شباب يشتبكون بالأيدي ثم زفرت بضيق وتابعت:

- ولا حرب لاخوات في نفس الأرض..

أطرقت برأسي ونظرت أمامي لأرى الكلب الأسود الذي علا نباحه وهو ينظر لي بشره، ثم صرخت بصوت عالٍ:

- ولا حرب مع الجن.

ثم تنهدت وقلت بصوت خافت:

- الحرب المرة دي مع النفس. ودي أعظم الحروب.

* * *

بعد شهر...

بت أعلم كل شيء الآن.. وارتضيت بقدري الذي كُتب عليّ.. وذلك النقش على ساعدي الأيسر جعلني أرى ما حسبت أنه خفي في غياهب عقلي.. رأيت أمر العشيرة وزاد بأنني رأيت ذلك الماضي الأثيم لفارس.. جميع من كانوا هنا في قلبي قد رحلوا.. أم رحلت عنهم بخلجات نفس واهية تأمرني بسوء فساءت الشيطان ذاته.. اليوم أنا فارس الذي علم كل شيء..

فوق سطح أحد بنايات القاهرة القديمة وقفت أرمق العشوائية أمامي.. ذلك المسكن الذي آلت إليه نفسي.. بعيدًا عن الناس.. بعيدًا عن فارس الصحفي الغني.. أقف، أستند على سور السطح بكلتا يديّ.. أفكر في أشخاص كانوا في قصتي.. لم أجهل مصائرهم حتى أشعر أن قصتي مكتملة..

ملك عادت لفيلا أمين بيه بعد أن أصيبت بنوبة صرع حادة لما فعلته بها.. الآن تكرهني وتشفق عليّ في آن واحد..

عمر يحاول أن يتواصل معي.. يرن هاتفي ثلاثين مرة في اليوم لكني لا أملك الثقة لأسمع نبراته المهددة أو كلمات الانتقام..

مايكل ترك نشاطاته وحاول أن يترهبن.. الحقيقة لا أعلم الكثير عن كيف يحدث الأمر ولكنه أبى أن يظل كذلك..

أما رشاد فما زال كما هو.. الموبوء بالشهرة وحب المجد.. ما زال رشاد المهووس بالجاه.. أراه مرات على شاشة التلفاز.. يتصنع ولم يتغير فيه شيء.. لا يشعر بأي ذنب..

أما شمس فأشعر به دائمًا في تلك الكوابيس التي تغزو عقلي.. كلاب وأشلاء ودماء وكل أمارات الخوف..

وحيد علمت بخبر موته منذ أربعة أيام.. إنها نهاية كل شيء له.. لم يستطع أن يتخلص من لعنته..

أما أنا...

فأنا الناجي الوحيد ممن طالتهم تلك اللعنة.. أحيا بمريد العشيرة ولكن..

كما قال إبراهيم أدق التفاصيل..

أما أنا...

أقول إن هناك دائمًا دواء..

تقدمت بثقة ناحية غرفتي القابعة بركن على السطح.. غرفة صغيرة بحجم ستة أمتار.. فتحت الباب برفق..

الغرفة من الداخل فوضوية.. سرير ملاصق للحائط.. ودولاب صغير أمامه.. ومرآة معلقة على الحائط.. الأرضية بلا فراش.. والحائط إسمنتي بلا دهان.. تقدمت من المرآة ثم وقفت أمامها.. شردت بقسمات وجهي.. ثم حركت يمناي ببطء ولامست الندبة على رقبتي..

تناولت حقنة على كومود صغير بالقرب مني ثم حقنت رقبتي موضع الندبة...

ابتسمت..

ضحكت..

صرخت بنشوة..

أعادي البشر أم عشائر الجن..

لا يهم...

دائمًا ما كان هناك دواء.

تمت..